الجمهورية اليمنية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأندلس
عمادة الدراسات العليا
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم الدراسات الإسلامية

الكتابة واستعمالاتها في ضوء القرآن الكريم

دراسة موضوعية

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في القرآن وعلومه

مقدم من الطالب/
محمد الصغير عبد الله قايد الحاج
إشراف
أ . د/ رفعت حسين عبوره

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٦].

الإهداء

- إلى حبيب القلوب، وشفاء الأرواح، ونور العيون، وضياء الحياة، الصادق الوعد الأمين الشافع لنا يوم الدين محمد -صلى الله عليه وسلم-.

- إلى والدي العزيزين قرة العينين اللذين ربياني صغيرًا، وتعاهدني كبيراً، وبذلا لي الغالي والنفيس من نصحٍ ومحبة، وتوجيهٍ وارشادٍ، فحفظهما الله من كل مكروه، وأنعم عليهما بالصحة والعافية.

- إلى زوجتي ورفيقة دربي التي تحملت معي عناء الترقب والإنتظار، فكانت نعم المعين، وإلى أولادي، نور الله قلوبهم بنور القرآن، وحفظهم من كيد الشيطان.

- إلى إخوتي، وأخواتي الأعزاء الأفاضل الكرماء الغالين على قلبي حفظهم الله، وجزاهم عني خيرًا.

- إلى كل أقاربي ومن يهمهم أمري، وكل من جمعتني بهم لحظة وداد ممن أحبوني، وأحببتهم، وممن علموني وعلمتهم.

- إلى كل من لهم فضل علي في مسيرة حياتي العلمية والعملية والدعوية.

- إلى أساتذتي، ومشايخي الذين نهلت من علمهم، وكنوزهم.

- إلى هؤلاء جميعًا أهدي هذا البحث المتواضع، راجيًا من الله العلي القدير أن ينفع به، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الباحث

شكـــــر وعرفـــــان

بدايةً أتوجه بالشكر لله تعالى على ما مَنَّ به من النعم العظيمة التي لا تعد ولا تحصى، ومنها التوفيق لطلب العلم وإتمام هذا العمل وأسأله القبول.

وبعد شكر المولى عز وجل.

أتوجه بالشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضل الدكتور/ رفعت حسين عبورة، أستاذ/ التفسير وعلوم القرآن المشارك في كلية التربية –بجامعة صنعاء– ورئيس قسم القرآن وعلومه فيها على ما بذله من جهد، وتوجيهات ونصائح نيرة، وحُسن المتابعة، والمعاملة أثناء إشرافه على رسالتي؛ إذ لم يبخل عليّ بشيء من علمه الوافر، ووقته الغالي، وجهده المتواصل فأدعو الله أن يجزيه عني خير ما جزى به شيخًا عن تلميذه.

كما أتوجه بالشكر والتقدير للدكتورين الكريمين:

١ – الأستاذ الدكتور/ عبد اللطيف هايل الحميري أستاذ التفسير بجامعة صنعاء مناقشًا.

٢– الأستاذ الدكتور/ حسان شريان أستاذ التفسير المشارك بجامعة إب مناقشًا.

اللذين تفضلا بقبول مناقشة هذه الرسالة وإبداء رأييهما فيها، فأسأل الله أن يجزيهما عني خير الجزاء.

وكما أتوجه بجزيل الشكر والتقدير لجامعة الأندلس ممثلة برئيسها الأستاذ الدكتور/ أحمد برقعان على إتاحتهم لي مواصلة رسالة الماجستير.

وكذلك الشكر موصول لكُلية الآداب والعلوم الإنسانية، وبالأخص قسم الدراسات الإسلامية وأعضاء هيئة التدريس فيه على جهودهم العظيمة التي يقدمونها لطلاب الدراسات العليا، فلهم مني عظيم الشكر والامتنان.

ملخص البحث:

الحمد لله، والصلاة والسلام على خير الأنام، وعلى آله، وصحبه الكرام، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المقام، وبعد:

فإنني قمت بإعداد هذه الدراسة التي تحمل عنوان: **(الكتابة واستعمالاتها في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية)**، وقد هدفت الدراسة إلى التالي:

١- بيان المقصود بالكتابة في القرآن الكريم، وأهميتها، وأوجه استعمالاتها، وضوابطها.

٢- إبراز معاني استعمال لفظ الكتابة في سياق آيات الاعتقاد، والإتباع والابتداع، والتشريع، والتمكين والولاء والبراء، والرحمة.

٣- إظهار مفهوم استعمال لفظ الكتابة، وما يتعلق بها من أحكام شرعية في سياق آيات العبادات، والمعاملات، والحدود، والجهاد، والقتال، وغيرها.

٤- بيان المعاني الخفية لدلالة الألفاظ المتعلقة بالكتابة، وربطها بالأحكام، والواقع المعاصر بحسب سياق الآية التي وردت فيها الفاظ الكتابة.

ولتحقيق أهداف هذه الدراسة فقد اشتملت على مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة.

وكان حديثي **في الفصل الأول**: عن مفهوم الكتابة، وأهميتها، وأوجه استعمالاتها في القرآن الكريم، وضوابطها، كما احتوى **الفصل الثاني**: على استعمالات لفظ الكتابة في سياق آيات، الاعتقاد، والإتباع والابتداع، والتشريع، والتمكين والولاء والبراء، والرحمة. **والفصل الثالث**: على استعمالات لفظ الكتابة في آي القرآن الكريم حسب السياقات الفقهية.

وسلكت في جمع هذه الرسالة المنهج الوصفي القائم على الاستقراء، بجمع الآيات المتعلقة بلفظ الكتابة، وتصنيفها بحسب الموضوعات المتعلقة بمعنى الآية، وبحسب ترتيب السور إلا إذا كان هناك آيات متقاربة المعنى جمعتها في مطلب واحد، ومن ثمَّ قمت بالتحليل والاستنباط، وكان التحليل من خلال الرجوع إلى مصادر التفسير المعتمدة عند أهل العلم، وأغلب المصادر، والمراجع في علوم الشريعة الإسلامية، كما قمت بالاستنباط، وكان هذا بحسب اجتهادي، مع التركيز والعناية بأصول البحث من التخريج، والعزو، والترجمة للأعلام، والبلدان، والتعريف بالمعاني الغريبة.

وختمت هذه الرسالة بما توصلت إليه من النتائج، والتوصيات، المتعلقة بالبحث، وأوجزتها في أن لفظ الكتابة، ورد ذكره في القرآن الكريم في خمسة وأربعين موضعًا غير المكرر في الآية الواحدة، وكان لفظ الكتابة يحمل دلالات مختلفة، فكان تارةً يُفيد الفرض، وتارةً يُفيد القطع، ومرةً يُفيد الأمر، وأحيانًا يُفيد الإثبات، وأخرى يُفيد فيها البيان، أو القضاء، أو العلم، أو الجعل، وقد يرد أحياناً، ويراد به الكتابة الحقيقية، وغير ذلك من الدلالات المختلفة.

كما أنني أوصيت في ضوء نتائج البحث بالتالي:

١ – الدراسة الموضوعية لكلمات أخرى وردت في القرآن الكريم لها دلالات مختلفة مثل: مصطلح القراءة.

٢– دراسة موضوعية تهتم بالمقاصد القرآنية في التشريع، والعبادات، والقيم الأخلاقية في ضوء الدلالات المختلفة لألفاظ القرآن الكريم.

٣– بيان الدلالات الحسية، والمعنوية المختلفة وبيان أثرها من الوسائل، والآلات المذكورة في القرآن، مثل: الحبل، والحديد، والعصا، والحجارة.

وأسال الله عز وجل أن أكون قد وفقت للصواب في هذه الدراسة.

والحمد لله رب العالمين.

الباحث/ محمد الصغير عبدالله قايد

المقدمة:

الحمد الله الذي علم بالقلم، وجعل الكتابة وسيلةً لضبط العلم، وحفظه للأنام، وجعلها دالةً على الفرض، والقطع، والإثبات، والإلزام، وتوكيدًا على ما شرعه لعباده من الفرائض والأحكام.

أحمده سبحانه على ما منَّ به علينا من النعم، وأشكره على ما أولاه علينا من الفضائل، ودرء النقم، حمدًا يليق بجلاله، وبعظيم سلطانه، وأصلي وأسلم على البشير النذير، والسراج المنير الذي ابتدأ الله رسالته بالقراءة والكتابة والقلم، فقال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤﴾ [سورة العلق: ١-٤].

أما بعد:

فإن علم التفسير يُعدُّ من أشرف العلوم، لشرف موضوعه، وهو القرآن الكريم، ذلك الكتاب الذي أنزله رب العالمين -سبحانه وتعالى- على أشرف الخلق وحبيب الحق محمد -صلى الله عليه وسلم- وأنزله على خير أمة أخرجت للناس، فيه النور المبين لمن تمسك به، فقد أنار الله به قلوبًا من ظلمة الكفر قد اسودَّت، وأجسامًا من لُجَجِ المعاصي قد غَرِقَت، وآذانًا من سماع الهوى قد انصمّت.

علم به من علم، ودل من عباده الموفقين على استخراج كنوز معانيه وفهَّم؛ فسبحانه العليم الحكيم الأكرم ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [سورة العلق: ٥].

ولقد استعمل المولى جل وعلا في القرآن الكريم أساليب وتراكيب بلاغية، وإعجازية لفظية وسمعية، أحياناً يستعمل ألفاظًا لها مدلولات كثيرة، وذلك أن اللغة العربية زاخرة المعاني والمباني، فعلى سبيل المثال استعمل لفظ: الكتابة في القرآن العظيم بصيغ متعددة لكل صيغة أو اشتقاق معنى مغاير أو مقارب.

قال تعالى: ﴿فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧]، اطلبوا بالمباشرة ما قضى الله لكم، وجاء بمعنى آخر فقال تعالى: ﴿لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ﴾ [سورة النساء: ٧٧] أي: أوجبته، وقال تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٥] أي: أثبتنا أو بينا.

وجاء بلفظ تكتبوه، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٢]، أي: تدونونه في وثيقة.

فهذا القرآن على هذه الصورة الإعجازية في جميع مفرداته، وتراكيبه تستهوي كل من يقاربه، وعلى قدر القرب يكون الفتح من الله لطالبه.

ولذا وُجدت حول كتاب الله علوم كثيرة؛ لكنَّ أهمها علم التفسير الذي يقوم على أربعة مناهج وهي: التفسير التحليلي، والتفسير الإجمالي، والتفسير المقارن، والتفسير الموضوعي. وجميع هذه الأنواع تُوقِفنا على فهم مراد الله تعالى من الآيات بقدر الطاقة البشرية؛ لكنَّ التفسير الموضوعي؛ كان من التفاسير العصرية، ولذلك نالَ اهتمامًا من الباحثين والدارسين المتخصصين في الدراسات الإسلامية؛ لأنه يجمع لنا

الآيات القرآنية المرتبطة بموضوع واحد، ويبين ما يتعلق بها من حكم وأسرار، من أجل إبراز جوانبها المختلفة، وإيضاح الهدي القرآني فيها.

ولذا بعد البحث والتتبع والتقصي وسؤال أهل الاختصاص والبحث في مواقع الإنترنت تبين لي أنه لا يوجد بحث بهذا الموضوع المعنون بـ**(الكتابة واستعمالاتها في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية)** كرسالة علمية؛ ونظرًا لكثرة الآيات التي وردت فيها لفظة الكتابة –في خمس وأربعين آية من القرآن الكريم– فإني كتبت فيها، وبينت دلالة اللفظ، ومعنى الآية، واستنبطت أهم الأحكام، والمضامين، والفوائد المتعلقة بالآية، واستعنت في ذلك بأهم المصادر، والمراجع من كتب التفاسير، والحديث، والفقه، والسيرة، وغيرها من المؤلفات المعاصرة، ويتخلل ذلك بعض الإضافات، والشرح، والتوضيح، أو التصرف آملاً أن تصل الرسالة إلى تحقيق الأهداف المرجوة منها، ونسأل الله التوفيق والسداد.

وله الحمد، والمنة، والفضل وحده سبحانه وتعالى.

أهمية الموضوع:

تكمن أهميته في الآتي:

١– يُفيد هذا الموضوع الباحثين في مجال الدراسات القرآنية، وطلاب العلم الشرعي والخطباء، والمرشدين، وغيرهم ممن له اهتمام بالدراسات القرآنية.

٢– يكشف الموضوع عن صلاحيات القرآن العظيم لكل زمان ومكان، من خلال التفسير المتجدد لآياته لمعالجة الوقائع والأحداث المعاصرة.

٣– يظهر ويبرز معاني الألفاظ القرآنية المتعلقة بالكتابة بحسب السياق القرآني، والاستفادة منها في الجوانب العلمية والعملية.

٤– احتواء الموضوع على استنباطات من الأحكام العملية، والمضامين، والفوائد المتعلقة بالواقع، والحياة المعاصرة، والمتضمنة في ألفاظ الكتابة، واستعمالاتها في القرآن الكريم.

أسباب اختيار الموضوع:

هناك أسباب متعددة دعتني لاختيار هذا الموضوع، أهمها التالي:

١- لأنه من الموضوعات القرآنية التي حَفل بها.

٢- تنوع استعمالات لفظ الكتابة في الآيات المتعلقة بأحكام العبادات، والمعاملات، والغيبيات، والحدود، والقصاص، والجهاد، والتكسب والمتاجرة وغيرها، مما لفت نظر الباحث إلى الاهتمام بهذا الموضوع.

٣- إن هذا الموضوع غير مدروس بحسب علم الباحث، وتتبعه واطلاعه كرسالة علمية.

٤- رغبة الباحث في إثراء المعلومات حول قضية معرفية تتعلق باستعمالات الكتابة بدلالات مختلفة في كثير من آيات القرآن الكريم، وتتبعها بصورة متسعة ومستفيضة للتوصل إلى المقاصد القرآنية المتضمنة فيها.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى التالي:

١- بيان المقصود بالكتابة في القرآن الكريم، وأهميتها، وأوجه استعمالاتها، وضوابطها.

٢- إبراز معاني استعمال لفظ الكتابة في سياق آيات العقيدة، والاتباع، والابتداع، والتشريع، والتمكين، وغيرها.

٣- إظهار مفهوم استعمال لفظ الكتابة، وما يتعلق بها من أحكام شرعية في سياق آيات العبادات، والمعاملات، والحدود، والجهاد، والقتال، وغيرها.

٤- بيان المعاني الخفية لدلالة الألفاظ المتعلقة بالكتابة، وربطها بالأحكام، والواقع المعاصر بحسب سياق الآية التي وردت فيها الفاظ الكتابة، وبقدر الاستطاعة.

الدراسات السابقة:

بحسب التتبع والتقصي فقد وقفت على الأبحاث والرسائل العلمية التالية:

أ- ألفاظ الكتابة ومتعلقاتها في القرآن الكريم، وهذا البحث عبارة عن دراسة تاريخيه في نشأة الحرف والكتابة العربية وتطورها قبل الإسلام وبعده، للباحث: محمد دنون زينو الصائغ، ونشرته مؤسسة الانتشار العربي، -بيروت- وليس رسالة علمية، وليس له علاقة برسالتي.

ب- كتابة القرآن الكريم في العهد المكي، تأليف ملتقى أهل التفسير، وهو كتاب عام وليس رسالة علمية، وإنما هو خاص بالخط العربي، وانتقال الكتابة إلى الحجاز، وحالتها في الجزيرة العربية، ومصير القرآن المكي المكتوب، والأدلة على كتابته في العهد المكي، وأدوات الكتابة.

ت- من آداب الخط والكتابة، دراسة تبحث في استنباط الآداب لكتابة آي القرآن الكريم والمصحف الشريف، وهو بحث منشور في مجلة الدراسات الإنسانية، جامعة، دنقلا- السودان-٢٠١٦.

ث- الكتاب في كتاب الله تعالى، تأليف محمد خير رمضان، تطرق فيه لمعاني الكتاب في القرآن الكريم، واشتملت الدراسة على بعض المواضع فقط، وقد تم نشره على مقالات متعددة، في موقع الألوكة، كما هو موجود في المكتبة الشاملة، وهو خاص بلفظ الكتاب وليس الكتابة، وقد صرح المؤلف بذلك فقال: (فليس هذا البحث خاص بفعل كتب وتصريفاته، ولكنه للمصدر كتاب وحده إفرادًا، وجمعًا).

ج- ألفاظ الكتابة وأدواتها في القران الكريم، تأليف: سيد أحمد عبد الواحد، وهو يتحدث، من الناحية اللغوية لاستعمال الكتابة، وقد نشر عنه في النت بيان وجيز، وأنه في ٦٢ صفحة، وليس رسالة علمية.

ح- الكتابة في القرآن الكريم: بحث في موسوعة التفسير الموضوعي، وليس رسالة علمية ويختلف بحثي عن هذا البحث في عدة نقاط منها:

- أن بحث الموسوعة مختصر، فعدد صفحاته٤٨ صفحة، بينما الدراسة التي قمت بها أوسع بكثير.
- ترتيب بحث الموسوعة جرى على ذكر:

مفهوم الكتابة، والكتابة في الاستعمال القرآني، والألفاظ ذات الصلة، وإسناد الكتابة لله تعالى، ومقاصد الكتابة، وضوابطها، وأساليب القرآن في الحث على الكتابة، وهذا الترتيب والطرح يختلف عن محتوى بحثي تمامًا، وربما اتفقت معه في بعض النقاط خاصة في الفصل التمهيدي، فبحثي بشكل مفصل وأوسع بخلاف بحث الموسوعة المختصر الذي لم يفسر الآيات أو أشار إليها بالدراسة الموضوعية المعتمدة عند أهل الاختصاص وكما هو موضح في خطة بحثي.

- عُني بحثي بذكر الكتابة في القرآن الكريم في سياق آيات الاعتقاد، والاتباع، والابتداع، والتشريع، والعبادات والمعاملات، والغيبيات، والحدود والقصاص، والجهاد والقتال، وغيرها، ولا شك أن طريقتي في طرحي للموضوع خدمت هذا، وبطريقة أكاديمية معاصرة تخدم واقع المسلمين اليوم، بخلاف بحث الموسوعة، فكان مركزًا على مقاصد الكتابة وضوابطها وأساليب القرآن في الحث على الكتابة.

- أن هذا البحث الموجود في الموسوعة مثله مثل الموسوعات الأخرى، كموسوعة الأخلاق، والموسوعة الفقهية الكويتية، وموسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة، وغيرها كثير.

حدود البحث:

هذه الدراسة تتناول موضوع: **(الكتابة واستعمالاتها في ضوء القرآن الكريم)**،

فقد تناولت من خلال ٤٥ آية، دراسة الألفاظ الدالة على الكتابة واستعمالاتها من خلال عرض القرآن الكريم لها وفق منهج التفسير الموضوعي، وما اقتضاه المقام من التوسع في بعض مضامين البحث، وقد تم عرضها في مجالات متنوعة من العقيدة، والعبادات، والمعاملات، وما يتعلق بهما.

منهجية البحث:

١- اعتمدت على المنهج الوصفي القائم على الاستقراء، والتحليل والاستنباط؛ فالاستقراء يتم بجمع الآيات المتعلقة بالموضوع، والتحليل يتم من خلال الرجوع إلى مصادر التفسير المعتمدة عند أهل العلم، ثم الاستنباط للمضامين والمفاهيم في الآيات القرآنية التي وردت فيها ألفاظ الكتابة بدلالتها المختلفة بحسب اجتهاد الباحث.

٢- كتبت الآيات القرآنية المتعلقة بالكتابة وفق الرسم العثماني، وعزوتها إلى موضعها في سور القرآن الكريم، ووضعتها بين مزهريتين، وصنفتها حسب الموضوعات إلا إذا كانت متقاربة المعنى جمعتها في مطلب.

٣- خرجت الأحاديث تخريجًا مختصرًا وعزوتها إلى مصادرها الأصلية مع بيان درجتها إلا ما كان في الصحيحين فأكتفي بالعزو فقط.

٤- التعريف بالألفاظ الغريبة بقدر الاستطاعة.

٥- الترجمة للأعلام الواردة ذكرهم في صدد البحث ترجمة موجزة وبحسب الاحتياج إلى ذلك، إلا الخلفاء الأربعة، والأئمة الأربعة، وذلك لشهرتهم.

٦- عملي في إعداد هذا البحث على النحو التالي:

أولاً: قمت بذكر الآية التي ورد فيها لفظ الكتابة.

ثانيًا: ذكرت سبب نزول الآية إن وجد.

ثالثًا: بينت الدلالة اللفظية للفظ الكتابة، وكان هذا بحسب سياق الآية الوارد فيها لفظ الكتابة.

رابعًا: بينت معنى الآية التي ذُكر فيها لفظ الكتابة من خلال كلام المفسرين.

خامسًا: أشرت إلى بعض المسائل المهمة المتعلقة ببعض الآيات.

سادسًا: استخرجت الأحكام الفقهية المتعلقة بلفظ الكتابة، وبدون استطراد في ذلك.

سابعًا: استنبط المضامين العلمية، والعملية، والتربوية، والدعوية المتعلقة بالآية، وربطها بالواقع، والحياة المعاصرة حسب القدرة والاستطاعة.

٧- رمزت للطبعة بـ "ط" وتحقيق بـ "تح"، وتاريخ الوفاة بـ "ت"، وبدون معلومات الطبع بـ: "د، ط، ت".

٨- عملت فهارس كاشفة عن محتويات الرسالة.

تقسيمات البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وثلاثة فصول، وخاتمة على النحو الآتي:

- مقدمة البحث: وقد اشتملت على التالي:
- أهمية الموضوع، أسباب اختيار الموضوع، أهداف البحث، الدراسات السابقة، حدود البحث، منهجية البحث، وتقسيماته.

الفصل الأول: الكتابة (مفهومها، أهميتها، أوجه استعمالاتها في القرآن الكريم، ضوابطها) وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: مفهوم الكتابة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الكتابة لغة.

المطلب الثاني: مفهوم الكتابة اصطلاحاً.

المبحث الثاني: أهمية الكتابة في ضوء القرآن الكريم، وأوجه استعمالاتها فيه.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية الكتابة في ضوء القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أوجه استعمالات الكتابة في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: ضوابط الكتابة من خلال القرآن الكريم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى الضوابط لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: ضوابط الكتابة في القرآن الكريم.

الفصل الثاني: استعمالات لفظ الكتابة في سياق آيات الاعتقاد، والاتباع والابتداع، والتشريع، والتمكين والولاء والبراء، والرحمة.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: استعمالات لفظ الكتابة في سياق آيات الاعتقاد.

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: علم الله وإحاطته بما يقوله أهل الكتاب والمنافقين.

المطلب الثاني: الإيمان والرضى والتسليم بقدر الله واعتقاد الخير فيه.

المطلب الثالث: كتابة الملائكة مكر الماكرين واحصائها للأعمال الصالحة.

المطلب الرابع: إنكار البعث والاستهزاء به والكفر بآيات الله وبرسوله.

المطلب الخامس: كتابة أعمال الإنسان في حياته وآثاره الخالدة بعد موته.

المطلب السادس: إحاطة الله وعلمه بكيد المشركين وسرِّهم ونجواهم.

المطلب السابع: إنكار فِريَة وزعم الكفار بأن الملائكة إناث.

المطلب الثامن: إبطال الله دعاوى المشركين وزعمهم علم الغيب.

المطلب التاسع: وجوب الإيمان بأعمال الملائكة المتعلقة بالإنسان

المبحث الثاني: استعمالات لفظ الكتابة في سياق آيات الاتباع والابتداع.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: خطورة التكسب بتحريف كلام الله والمتاجرة بالدين.

المطلب الثاني: اتباع الحواريين لعيسى-عليه السلام- وتصديقهم به.

المطلب الثالث: اتباع بعض النصارى للنبي -صلى الله عليه وسلم- وإيمانهم به.

المطلب الرابع: بيان صفة النبي-صلى الله عليه وسلم- في التوراة والإنجيل.

المطلب الخامس: وجوب الاتباع والتسليم لله في كل الأمور والرضا بذلك.

المطلب السادس: التشدد والابتداع في رهبانية النصارى.

المبحث الثالث: استعمالات لفظ الكتابة في سياق الآيات الدالة على التشريع والتمكين والولاء والبراء.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التشريعات والتوجيهات المنزلة على موسى عليه السلام، لإصلاح قومه

المطلب الثاني: اتهام المشركين لمصدر التشريع بأنه اختلاق من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

.

المطلب الثالث: وعد الله بإظهار دينه وغلبة رسله وتمكين عباده الصالحين في الأرض.

المطلب الرابع: موالاة الشيطان وأثرها في حياة الإنسان.

المطلب الخامس: تناقض الإيمان بموادَّة وموالاة أعداء الله ورسوله.

المبحث الرابع: استعمالات لفظ الكتابة في سياق الآيات الدالة على الرحمة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تودد الله للمعرضين عنه للإقبال إليه.

المطلب الثاني: إرشاد وتوجيه الله لرسوله -صلى الله عليه وسلم- إلى الطريقة المثلى في الدعوة إليه.

المطلب الثالث: سعة رحمة الله تعالى وشموليتها.
الفصل الثالث: استعمالات لفظ الكتابة في آي القرآن الكريم حسب السياقات الفقهية.
وفيه أربعة مباحث:
المبحث الأول: استعمالات لفظ الكتابة في سياق آيات العبادات
وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: فرض الصيام علينا وعلى من قبلنا إشعار بوحدة الدين.
المطلب الثاني: مشروعية الوصية عند الموت.
المطلب الثالث: إباحة الأكل والشرب والجماع في ليالي رمضان.
المطلب الرابع: مراعاة حقوق الضعيفين المرأة واليتيم.
المبحث الثاني: استعمالات لفظ الكتابة في سياق آيات المعاملات.
وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: الأمر بكتابة الديون والإشهاد عليها.
المطلب الثاني: مشروعية الرهن عوضًا عن الكتابة والتوثيق.
المطلب الثالث: مشروعية مكاتبة العبيد.
المبحث الثالث: استعمالات لفظ الكتابة في سياق آيات القصاص والحدود.
وفيه ثلاثة مطالب.
المطلب الأول: حكم القصاص وعدالة التشريع فيه.
المطلب الثاني: تحريم قتل النفس المعصومة.
المطلب الثالث: وجوب القود في النفس والقصاص في الجراحات.
المبحث الرابع: استعمالات لفظ الكتابة في سياق آيات الجهاد والقتال.
وفيه سبعة مطالب:
المطلب الأول: ليس كل مكروه ضارًا ولا كل محبوب نافعًا.
المطلب الثاني: السبب في طلب بني إسرائيل القتال في سبيل الله ونكوص الكثير منهم عنه.
المطلب الثالث: مِنَنُ الله على المجاهدين يوم أحد وفضح المنافقين والرد على أقوالهم وأراجيفهم.
المطلب الرابع: القعود عن الجهاد خشية القتل أو الأسر عند المغترين بالدنيا.
المطلب الخامس: توجيه وطلب موسى عليه السلام من قومه دخول الأرض المقدسة.
المطلب السادس: عتاب الله للمتخلفين عن الجهاد في سبيله.
المطلب السابع: إجلاء بني النضير من ديارهم وحصونهم وقلاعهم.

خاتمة البحث: وتتكون من التالي:

١- أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

٢- التوصيات في ضوء النتائج التي توصل اليها البحث.

٣- المقترحات التي يقترحها الباحث في ضوء ما سبق من نتائج وتوصيات.

- **فهارس البحث، ويشمل على**:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث والآثار.
- فهرس الأشعار.
- فهرس الأعلام، والبلدان.
- فهرس الألفاظ الغريبة.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

الفصل الأول

الكتابة (مفهومها، أهميتها، أوجه استعمالاتها في القرآن الكريم، ضوابطها) وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الكتابة لغةً واصطلاحًا:

المبحث الثاني: أهمية الكتابة في ضوء القرآن الكريم، وأوجه استعمالات الكتابة في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: ضوابط الكتابة من خلال القرآن الكريم.

المبحث الأول

مفهوم الكتابة لغة واصطلاحاً، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الكتابة لغة.

المطلب الثاني: مفهوم الكتابة اصطلاحاً.

المطلب الأول

مفهوم الكتابة لغة

(ك ت ب) الكاف والتاء والباء أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء، ومن ذلك الكتاب والكتابة، ويقال: كتبت الكتاب أكتبه كتبا، ويقولون: كتبت البغلة، إذا جمعت شفري رحمها[1].

وقال صاحب لسان العرب: " كَتَبَ الشيءَ يَكْتُبه كَتْبًا وكِتابًا وكِتابةً، وكَتَّبه"[2].

ومنه اكتتب، وتكتبوه، ومكاتب، كما جاء في القاموس المحيط: "اكتتب الرجل إذا كتب نفسه في ديوان السلطان، وتكتبوا: تجمعوا، والمكاتبة: التكاتب، وأن يكاتبك عبدك على نفسه بثمنه، فإذا أداه عتق"[3]. "وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ [سورة الفرقان: ٥]، أي: استكتبها"[4].

فالكتابة لغة: "الضم والجمع، ومنه الكتيبة: وهي الطائفة من الجيش العظيم"[5].

يتضح مما سبق أن معنى الكتابة يدور حول ثلاثة معانٍ: الضم، والجمع، والالتزام.

---

[1] ينظر: **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)، تح: عبدالسلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) د، ط (١٥٨/٥).

[2] **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى (ت:٧١١هـ)، الناشر: دار صادر– بيروت، ط ٣، (١٤١٤هـ)، (٦٩٨/١).

[3] **القاموس المحيط** مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت: ٨١٧هـ)، تح: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط ٨، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، (ص: ١٢٩).

[4] **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تح: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، د، ط ت، (١٠١/٤).

[5] **أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء**، قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي (ت: ٩٧٨هـ)، تح: يحيى حسن مراد، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، (٢٠٠٤م-١٤٢٤هـ)، (٦١/١).

المطلب الثاني
مفهوم الكتابة في الاصطلاح

لقد وردت الكتابة في المعنى الاصطلاحي على عدة معانٍ منها:

أنها "جمع الحروف المنظومة وتأليفها بالقلم، ومنه: الكتاب لجمعه أبوابه وفصوله ومسائله، والكتابة: قد تطلق على الإملاء، وقد تطلق على الإنشاء"[١].

ومنها أنه "شاع استعمال الكتابة بمعنى تصوير اللفظ بحروف هجائية؛ لأن فيه جمع صور الحروف وأشكالها"[٢].

وورد في معجم لغة الفقهاء: "الكتابة: بكسر الكاف مصدر، كتب الكتاب: خطه: ما يكتب في القرطاس من الكلام"[٣].

وقال الأصفهاني[٤] هي: "الإثبات والتقدير والإيجاب والفرض والعزم"[٥].

فمن خلال ما سبق يتضح أن التعريفات الاصطلاحية تدل على أمرين.

---

[١] كتابة الإنشاء: والإنشاء من أنشأ، أي: وضع، وبدأ، وخلق، وكتابة الإنشاء المراد بها: كل ما رجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام، وترتيب المعاني: من المكاتبات والولايات والمسامحات والإطلاقات ومناشير الإقطاعات والهدن والأمانات والأيمان، وما في معنى ذلك، ينظر: **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت: ٨٢١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، د، ط ت، (٨٤/١)، و**تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ، باب أنشأ، تح: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، د، ط ت، (٤٦٦/١).

[٢] **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، تح: عدنان درويش، ومحمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، د، ط ت، (ص ٧٦٧-٧٦٨).

[٣] **معجم لغة الفقهاء**، محمد رواس قلعجي، وحامد صادق قنيبي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط: ٢، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، (ص ٣٧٧).

[٤] أبو بكر بن أبي علي الذكواني وهو: محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر بن حفص، المحدث أبوبكر ابن أبي علي الهمداني الذكواني، الأصبهاني، العالم، الحافظ، الرحال، الثقة، المحدث حدث (٦٠) سنة، وسمع بمكة والبصرة والأهواز والري، وجمع وصنف الشيوخ، حسن الخلق، قويم المذهب، (ت: ٤١٩هـ)، ينظر: **التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد**، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، ابن نقطة الحنبلي البغدادي (ت: ٦٢٩هـ)، تح: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، (ص٥٥-٥٦)، وينظر: **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تح: بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٣م، (٣١١/٩).

[٥] **المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تح: محمد سيد كيلاني، الناشر: دار المعرفة، مكان النشر: لبنان، د، ط ت، (ص: ٤٢٣).

١- الكتابة كصناعة وعلم.

٢- وتدل عليها كمعنى: أي دلالة معنوية.

ولم أجد تعريفًا جامعًا مانعًا لما يدل عليه لفظ الكتابة في القرآن الكريم؛ لذلك حاولت أن أخرج بهذا المفهوم الاصطلاحي للكتابة في القرآن الكريم.

هي: علم يضم مجموعة من المعاني التي تربط العلاقة بين الخالق، والمخلوق، وبين الناس مع بعضهم البعض.

الجمع بين المعنى اللغوي، والاصطلاحي للكتابة.

من خلال ما سبق من التعريفات للكتابة يتبين:

١- أنها تدل على الضم والجمع.

٢- أنها تدل على صناعة وعلم.

٣- كما تدل على الآلة التي يُكتب بها.

٤- وتدل على الكتيبة أي: الطائفة.

٥- وتدل على الفرض والقطع والإلزام والأمر.

المبحث الثاني

أهمية الكتابة في ضوء القرآن الكريم وأوجه استعمالاتها فيه،

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية الكتابة في ضوء القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أوجه استعمالات الكتابة في القرآن الكريم.

المطلب الأول
أهمية الكتابة في ضوء القرآن الكريم

للكتابة أهمية كبيرة في الجانب التشريعي، وفي جوانب وشؤون الحياة المختلفة.

"لم تصبح الكتابة مجرد وسيلة لحفظ، وتخزين المعلومات، وأداة لمساعدة الذاكرة البشرية المحدودة الإمكانيات فحسب، بل غدت كذلك قوة فعالة، وعاملًا من أهم العوامل لتحويل حياة المجتمع وثقافته"[1]، وسعادته، وأنماط سلوكه، وعبادته، وتصرفاته، وفق التشريع الإسلامي فقد جعلها القرآن الكريم أسلوبًا قائمًا مقام الفرض، والأمر، والقطع، والوجوب، والإلزام المشتمل على الفرائض، والأحكام، والمعاملات، والغيبيات، وغيرها؛ لذلك تظهر أهمية الكتابة من حيث تنوع استعمالاتها، ودلالتها في القرآن الكريم في النقاط التالية:

أولاً: تعبير الله في القرآن الكريم بالكتابة على الوجوب دليل على زيادة معناه وتوكيده.

قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [سورة الأنعام: ٥٤]، "إذا قلنا كتب بمعنى: أوجب؛ لأنه استعار الكتابة بمعنى: الخط والتسطير للكتابة بمعنى: الإلزام والإيجاب بجامع الإثبات في كل"[2]، فإن الكتابة تدل على الثبوت، فعبر الله بها عن الوجوب؛ ليكون أمر الوجوب ثابتاً ليس فيه تغير، ولا تبديل.

ولهذا كان القسم بالكتابة أسلوباً من أساليب الوجوب في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٢].

﴿كَتَبَ﴾ "بمعنى أوجب والقسم إيجاب، فاحتاج الإيجاب إلى جواب، إذ هو بمعنى القسم في الإيجاب، وله نظائر كثيرة في القرآن تقاس على هذا[3]، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ

---

[1] **تاريخ الفكر الديني الجاهلي**، محمد إبراهيم الفيومي (ت: ١٤٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر العربي، ط ٤، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، (ص: ٣٢).

[2] **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت– لبنان ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، (٢٦٢/٨).

[3] **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه**، أبو محمد مكي ابن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني (ت: ٤٣٧هـ)، تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، (١٩٧٠/٣).

ٱلْجَلَآءَ﴾ [سورة الحشر: ٣] "أي: لولا أن أوجب الله عليهم الإخلال بديارهم"[١].

ثانيًا: تعبير الله بلفظ الكتابة في مجالات مختلفة من العقوبات والفرائض وغيرها.

١- العقوبات:

عبر الله عن حد القصاص الذي فيه الحفاظ على النفس الإنسانية التي هي من الضروريات الخمس في الشريعة الإسلامية بلفظ الكتابة الذي يدل على تحتم فرضية القصاص، قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ [سورة البقرة: ١٧٨].

قال الجصاص[٢]: في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ "معْناه فُرض عليكمْ"[٣].

وقال الإمام القرطبي[٤]: "فإن قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ معناه فرض وألزم ،... ولا خلاف أن القصاص في القتل لا يقيمه إلا أولو الأمر، فرض عليهم النهوض بالقصاص وإقامة الحدود وغير ذلك؛ لأن الله سبحانه خاطب جميع المؤمنين بالقصاص، ثم لا يتهيأ للمؤمنين جميعا أن يجتمعوا على القصاص، فأقاموا السلطان مقام أنفسهم[٥].

"عندما تقرأ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ فافهم أن فيها إلزامًا ومشقة...﴿وَٱكْتُبْ لَنَا﴾ تشعرنا أن الشيء لمصلحتنا، وفي ظاهر الأمر يبدو أن القصاص مكتوب عليك، وساعة يكتب عليك القصاص وأنت

---

(١) **المفردات في غريب القرآن**، للأصفهاني (ص: ٤٢٣).

(٢) أحمد بن علي أبو بكر الرازي الإمام الكبير الشأن المعروف بالجصاص، وهو لقب له، قال الخطيب: "كان إمام أصحاب أبي حنيفة في وقته"، وكان مشهورا بالزهد، تفقه على أبي سهل الزجاج، وتفقه علي أبي الحسن الكرخي، وتفقه عليه أبو بكر أحمد بن موسى الخوارزمي، وغيرهم، وله من المصنفات: أحكام القرآن، وشرح مختصر شيخه أبى الحسن الكرخي، وشرح مختصر الطحاوي، وشرح الجامع لمحمد بن الحسن (ت:٣٧٠هـ)، ينظر: **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، وتعليق بعض الزوائد عليه: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، طبع بمطبعة دار السعادة بجوار محافظة مصر، لصاحبها محمد إسماعيل، ط١، ١٣٢٤هـ، (ص: ٢٧-٢٨).

(٣) **أحكام القرآن**، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠هـ)، تح: عبد السلام محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط ١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م (١٦٤/١).

(٤) محمد بن أحمد بن أبي فرح الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي، مصنف التفسير المشهور، الذي سارت به الركبان، وله مصنفات أخرى منها: "التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة"، و"الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" وكتاب "شرح التقصّي (ت:٦٧١هـ)، سمع من ابن رواج، ومن الجميزي، ينظر: **طبقات المفسرين العشرين**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تح: علي محمد عمر، مكتبة وهبة – القاهرة، ط١، ١٣٩٦م، (ص:٩٢)، وينظر: **طبقات المفسرين** للداوودي (٦٩/٢-٧٠).

(٥) **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تح: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣ م، د، ط (٢٤٥/٢-٢٤٦).

قاتل فيكون ولي المقتول مكتوبًا له القصاص، إذن كل عليك مقابلها لك، وأنت عرضة أن تكون قاتلا أو مقتولا؛ فإن كنت مقتولاً فالله كتب لك، وإن كنت قاتلا فقد كتب الله عليك؛ لأن الذي لي لابد أن يكون على غيري، والذي عليّ لابد أن يكون لغيري فالتشريع لا يشرع لفرد واحد وإنما يشرع للناس أجمعين"[١].

٢- الفرائض:

وعبر الله بالكتابة على فرضية الصيام في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة:١٨٣].

قال الإمام الجصاص: "فالله تعالى أوجب علينا فرض الصيام بهذه الآية؛ لأن قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ﴾ معناه: فرض عليكم"[٢].

فكان دلالة لفظ الكتابة يفيد الفرضية، واللزوم، والوجوب أي: "فرض الله -سبحانه- الصوم على هذه الأمة كما فرضه على الذين من قبلهم، طاعة لربهم، ووقاية لهم من الذنوب والمعاصي"[٣].

ومفهوم ذلك "فكتب يعني: فرض عليكم الصيام، فهو واجب، والإخبار هنا يدلّ على الوجوب"[٤].

ثالثًا: إن منزلة الكتابة تدل على القطع في الأمر الدال على الحكم.

وقد أثبت الله لنفسه، ولرسله الغلبة بلفظ الكتابة الدال على القطع في تحقيق الغلبة لله، ولرسله قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [سورة المجادلة: ٢١] .

وبين الإمام الطبري[٥]: أن المقصود ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ أي: "كتب الله كتابًا وأمضاه"[٦].

---

[١] **تفسير الشعراوي – الخواطر**، محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، نشر عام ١٩٩٧ م، د، ط (٧٤٤/٢).

[٢] **أحكام القرآن**، للجصاص، (٢١١/١).

[٣] **التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه**، أحمد بن عبد الله الزهراني، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- الطبعة: الأعداد ٨٥- ١٠٠ السنوات ٢٢- ٢٥ المحرم ١٤١٠- ذو الحجة ١٤١٣هـ (ص:١٠٩).

[٤] **معاني الحروف الثنائية والثلاثية**، رزاق عبد الأمير مهدي الطيَّار، إشراف: نعمة رحيم العزاوي (ص: ٢٢٦).

[٥] أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري؛ وهو من أهل طبرستان سمع من محمد بن عبد الملك الشوارب، وأبو همام السكواني، وروى عنه خلق كثير، وكان حافظًا لكتاب الله عارفًا بمعانيه، وأحكامه، وعالمًا بسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مميزًا لصحيحها من سقيمها إمام أهل التفسير، وصنف في التفسير، والتاريخ والفقه وغيرها، (ت: ٣١٠هـ)، ينظر: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي (ت: ٦٨١هـ)، تح: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، ط١، ١٩٧١م، (١٩١/٤، ١٩٢).

[٦] **تفسير الطبري** (٤٩٣/٢٢).

وقال الإمام البغوي[1]: أن الكتابة تقتضي الثبوت فقال: "﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ قضى الله قضاءً ثابتًا، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [سورة المجادلة: ٢١]، نظيره قوله: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢﴾ [سورة الصافات: ١٧١-١٧٢][2].

ويتضح مما سبق أهمية لفظ الكتابة في إثبات الغلبة والقدرة "فكَتَبَ اللَّهُ العليم الحكيم وأثبت لهم في لوح قضائه بقوله: ﴿لَأَغۡلِبَنَّ﴾ البتة ﴿أَنَا۠﴾ وَعموم ﴿وَرُسُلِيٓ﴾ المرسلين من عندي بالحجج القاطعة، ولا يظهر، ولا يغلب إلا رسله عليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ المرتدي برداء العظمة والكبرياء قَوِيٌّ في ذاته لا حول ولا قوة في الوجود إلا منه وبه عَزِيزٌ مقتدر غالب لا يغلب مطلقًا في عموم مراداته ومقدوراته"[3]، "كتب الله: أي قضى، وحكم، وفى التعبير عن القضاء والحكم، بالكتابة، إشارة إلى أن ذلك قضاء نافذٌ، وحكم قاطعٌ، أو أن ما قضى الله -سبحانه وتعالى- به، مكتوب في أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ"[4].

---

[1] أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي المفسر، صاحب التصانيف، شرح السنة معالم التنزيل، والمصابيح، وكتاب التهذيب، تفقه على شيخ الشافعية القاضي حسين بن محمد المروروذي، توفي في مرو سنة (٥١٦هـ) ينظر: **سير أعلام النبلاء**، للذهبي (٤٤٢/١٩).

[2] **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، (٥٠/٥).

[3] **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية**، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت: ٩٢٠هـ)، الناشر: دار ركابي للنشر- الغورية، مصر، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م (٣٩٨/٢).

[4] **التفسير القرآني للقرآن**، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، د، ت، (٨٤٣/١٤).

المطلب الثاني
أوجه استعمالات الكتابة في القرآن الكريم

لقد استعمل القرآن الكريم الكتابة بأوجه متعددة، ولا شك أن معناها يختلف باختلاف موضعها من الآية، وسنتعرف عليها باختصار في هذا المطلب.

الوجه الأول: الكتابة بمعنى: الفرض: فذلك قوله في البقرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ ﴾ [سورة البقرة: ١٧٨]، يعني: فرض عليكم، وقال فيها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [سورة البقرة: ١٨٣]، يعني: فرض عليكم، ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ يعني: فرض عليكم كما فرض على الذين من قبلكم[١]، وقد فسر الإمام الطبري: الكتابة بالفرض فقال في بيان آية الصيام: "معنى الآية: يا أيها الذين آمنوا فرض عليكم الصيام، كما فرض على الذين من قبلكم من أهل الكتاب"[٢].

الوجه الثاني: كتب بمعنى: قضى: فذلك قوله في المجادلة: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾ [سورة المجادلة: ٢١]. يعني: قضى الله[٣].

وقال ابن الجوزي[٤]: "كتب الله، أي: قضى الله لأغلبن أنا ورسلي"[١].

---

[١] ينظر: **الوجوه والنظائر في القرآن العظيم**، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت: ١٥٠ هـ)، تح: حاتم صالح الضامن، الناشر: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث دبي، د، ط ت، (ص: ١٨، ١٩)، وينظر: **الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، هارون بن موسى القارئ (ت: ١٧٠هـ)، تح: حاتم صالح الضامن، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام العراقية، د، ط ت، (ص: ١٥).

[٢] **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م، (١٥٥/٣).

[٣] ينظر: **الوجوه والنظائر في القرآن العظيم**، لمقاتل (ص: ١٨، ١٩)، وينظر: **الوجوه والنظائر**، للقارئ (ص: ١٥).

[٤] أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادى الجوزي، كان علاّمة عصره، صنف في فنون عديدة، منها "زاد المسير في علم التفسير، أتى فيه بأشياء غريبة، وله في الحديث تصانيف كثيرة، وله المنتظم في التاريخ، وسمع من أبي القاسم بن الحصين، وعلي بن عبد الواحد الدينوري، حدث عنه: ولده العلامة محيي الدين يوسف، وولده الكبير علي الناسخ، والشيخ موفق الدين ابن قدامة ينظر: **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تح: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م، (٣٦٥/٢١)، **وفيات الأعيان**، لابن خلكان (١٤٠/٣).

في الحج: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سورة الحج: ٤]، يقول: قضى الله عليه، لإبليس، أنه من تولاه فأنه يضله[٢].

الوجه الثالث: كتب بمعنى: جعل: فذلك قوله في المجادلة: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [سورة المجادلة: ٢٢]. يعني: جعل في قلوبهم الإيمان، وقال تعالى: ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٥٣] .

أي: فاجعلنا، وكقوله في المائدة: ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [سورة المائدة: ٨٣]، يقول: فاجعلنا. وكقوله في الأعراف: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٦]، يعني: فسأجعلها.

الوجه الرابع: كتب بمعنى: أمر: فذلك قوله في المائدة: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٢١]، يعني: التي أمركم الله أن تدخلوها[٣].

الوجه الخامس: كتب بمعنى: العلم: كقوله تبارك وتعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [سورة الطور: ٤١]، أي: يعلمون.

=

[١] **زاد المسير في علم التفسير**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط ١، – ١٤٢٢هـ، (٢٥١/٤).

[٢] **الوجوه والنظائر**، للقارئ (ص: ١٦).

[٣] ينظر: **الوجوه والنظائر**، لمقاتل (ص: ١٨-١٩)، وينظر: **الوجوه والنظائر**، للقارئ (ص: ١٥-١٦)، وينظر: **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تح: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ، د، ط (١٤٣/٢).

قال: ابن الأعْرَابِيّ[1]: "الكاتب، أي: العالم عندهم"[2]، وبهذا المعنى قال ابن جزي الكلبي[3]: ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ "المعنى أعندهم علم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه"[4].

وقال ابن عطية[5]: ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ معناه: "هل لهم علم بما يكون فيدعون مع ذلك أن الأمر على اختيارهم"[6].

---

[1] محمد بن زياد أبو عبد الله بن الأعرابي صاحب اللغة، كان إليه المنتهى في معرفة لسان العرب أخذ الأدب عن أبي معاوية الضرير، والمفضل الضبي، والقاسم بن معن ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، وأخذ عنه إبراهيم الحربي، وأبو العباس، وعاش ثمانين سنة، وهو مولى العباس، (ت: ٢٣١)، ينظر: **وفيات الأعيان**، لابن خلكان (٣٠٦/٤)، وينظر: **طبقات النحاة واللغويين**، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الدمشقي، ابن قاضي شهبة (ت: ٨٥١هـ)، د، ط ت، (ص: ٨١).

[2] ينظر: **المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث**، محمد بن عمر بن أحمد بن عمر الأصبهاني المديني، أبو موسى (ت: ٥٨١هـ)، تح: عبد الكريم العزباوي، الناشر: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- مكة المكرمة- دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، ط١، (٣ /١٣).

[3] محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن ابن جزي الكلبي، قال ابن الخطيب كان على طريقة مثلي من العكوف على العلم والاشتغال بالنظر والتقييد مشاركا في فنون من عربية وفقه وأصول وأدب وحديث تقدم خطيبا ببلده على حداثة سنة فاتفقوا على فضله وكان قد قرأ على أبي جعفر بن الزبير وأبي الحسن بن سمعون، ولازم الحافظ ابن رشيد وروى أيضا عن أبي عبد الله بن أبي عامر، وأبي المجد الأحوص وله تصانيف منها وسيلة المسلم في تهذيب مسلم والبارع في قراءة نافع والفوائد العامة في لحن العامة، (ت: ٧٤١هـ) قتلاً، ينظر: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تح: مراقبة محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/الهند، ط٢، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، (٨٩/٥).

[4] **التسهيل لعلوم التنزيل**، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي (ت: ٧٤١هـ) تح: عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت، ط١- ١٤١٦هـ (٣١٤/٢).

[5] عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية الإمام الكبير قدوة المفسرين، حدث عن أبيه الحافظ الحجة أبي بكر، وعن أبي علي الغساني، ومحمد بن الفرج الطلاعي، وخلائق، وكان فقيها، عارفا بالأحكام، والحديث، والتفسير، بارع الأدب، بصيرا بلسان العرب، واسع المعرفة، له يد في الإنشاء والنظم والنثر، وكان يتوقد ذكاء، له التفسير المشهور، ولي قضاء المرية،(ت: ٥٤١هـ)، ينظر: **طبقات المفسرين**، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت: ٩٤٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر د، ط ت (٢٦٥/١).

[6] **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ، (٣٥٤/٥).

الوجه السادس: الكتابة بمعنى: الكتابة بعينها، وهي: الخط والتسطير، كقوله: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٧][١].

وقال الطبري: في تفسير هذه الآية: "محمدا مكتوب في التوراة أنه نبي تجده اليهود مكتوبا عندهم في التوراة، كما هو مكتوب في القرآن أنه نبي"[٢]، ويفهم من كلام الطبري أن المقصود بالمكتوب في الآية الكتابة بعينها.

وقال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٢]، أي: "اكتبوا مبلغ الدَّين؛ لئلا ينسى، ومبلغ الأجل؛ لأن لا يزاد فيه، أو ينقص، ولا خلاف بين فقهاء الأمصار أن الأمر بالكتابة والإشهاد والرهن هاهنا ندب، وإرشاد إلى الأحوط"[٣].

الوجه السابع: الكتابة بمعنى: "الحفظ: كقوله تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾ [سورة آل عمران: ١٨١]"[٤].

وذكر ابن الجوزي: في كتابه نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر أن الكتابة بمعنى الحفظ فقال: ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ [سورة النساء: ٨١][٥]، أَي: "يُحْصى ويحفظ؛ ليجازى عَلَيْهِ"[٦].

الوجه الثامن: بمعنى: الإيجاب في الوجوب، كقوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [سورة المائدة: ٣٢]، وقوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [سورة المائدة: ٤٥][٧].

---

[١] ينظر: **الوجوه**، إسماعيل الحيري (ت:٤٣١ هـ)، المصدر: الشاملة الذهبية، د، ت، ط (ص:١٨٥).

[٢] **تفسير الطبري** (١٣٠/٢١).

[٣] **الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري**، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة-، ط١، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، (ص: ٤٠٧).

[٤] ينظر: **الوجوه** للحيري، (ص: ١٨٤).

[٥] ينظر: **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تح: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة- لبنان/بيروت، ط ١، (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م)، (ص:٥١٥).

[٦] **تفسير القرآن**، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، ط ١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، (٤٥٢/١).

[٧] ينظر: **الوجوه**، للحيري (ص: ١٨٤).

وقال الله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [سورة الأنعام: ٥٤] أي: "أخبر عن عظم ملكه بأن له ما في السموات والأرض، فذكر أنه أوجب على نفسه الرحمة؛ تلطفًا في الاستدعاء إلى الإنابة"[١].

الوجه التاسع: الكتابة بمعنى: كتابة الملائكة في ديوان الحفظة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [سورة يونس: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [سورة الزخرف٨٠][٢]، أي: "إن رسل الله يكتبون مكرهم ويحفظونه، وتعرض عليهم ما في بواطنهم الخبيئة يوم القيامة، ويكون ذلك سببًا للفضيحة التامة، والخزي والنكال نعوذ بالله تعالى منه"[٣].

﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ أي: "الحفظة من قبلنا على أعمالكم ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ أي: مكركم أو ما تمكرونه،... وهذا تحقيق للانتقام منهم، وتنبيه على أن ما دبروا في إخفائه غير خاف على الكتبة فضلاً عن منزّل الكتاب الذي لا تخفى عليه خافية"[٤].

الوجه العاشر: الكتابة بمعنى: التبيين، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٥][٥].

قال السمرقندي[٦]، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ﴾ "يعني: في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وكل كتاب زبور ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ يعني: من بعد اللوح المحفوظ ويقال: الذكر التوراة، يعني: كتبنا في الإنجيل والزبور والفرقان من بعد التوراة، أي: بينا في هذه الكتب"[٧].

---

[١] **التَّفْسِيرُ البَسِيْط** أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تح: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي –جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٣٠هـ، (٣٤/٨).

[٢] ينظر: **الوجوه**، للحيري (ص: ١٨٤).

[٣] **مفاتيح الغيب**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ (٢٣٢/١٧).

[٤] **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، (٩٠/٦).

[٥] ينظر، **الوجوه**، للحيري (ص: ١٨٤–١٨٥).

[٦] أبو الليث الإمام الفقيه المحدث، نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الحنفي، صاحب كتاب "تنبيه الغافلين"، وله كتاب "الفتاوى"، روى عن محمد بن الفضل وجماعة، وروى عنه أبو بكر الترمذي وغيره، (ت: ٣٧٥هـ). ينظر: **سير أعلام النبلاء**، للذهبي (٣٢٣/١٦).

[٧] **بحر العلوم**، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ، دار النشر: دار الفكر – بيروت، محمود مطرجي، د، ط ت، (٤٤٤/٢).

المبحث الثالث

ضوابط الكتابة من خلال القرآن الكريم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى الضوابط لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: ضوابط الكتابة من خلال القرآن الكريم.

المطلب الأول
معنى الضوابط لغة واصطلاحاً

اولاً معنى الضوابط لغة:

لقد عرف علماء اللغة الضوابط بأنها:

ضبط "الضاد والباء والطاء أصل صحيح. ضبط الشيء ضبطًا. والأضبط: الذي يعمل بيديه جميعًا"[١]. وجاء في تهذيب اللغة "ضبط: قال الليث[٢]، الضبط: لزوم شيء لا يفارقه في كل شيء، ورجل ضابط: شديد البطش، والقوة والجسم، قال أبو عبيد[٣]، "هو الذي يعمل بيديه جميعا، يعمل بيساره كما يعمل بيمينه"[٤]،"وضبطه ضبطا وضباطه: حفظه بالحزم. وتضبطه: أخذه على حبس وقهر"[٥].

ويتبين أن الضبط في اللغة يدور حول ثلاثة معانٍ: لزوم الشيء، الحفظ والحزم، القوة والشدة.

ثانياً: معنى الضوابط في الاصطلاح:

ذهب بعض العلماء إلى أن الضابط والقاعدة بمعنى واحد، والصحيح المشهور أن بينهما فرقاً، كما قال ابن نجيم[٦]: "والفرق بين الضابط والقاعدة أن القاعدة تجمع فروعا من أبواب شتى،

---

[١] **معجم مقاييس اللغة**، (٣٨٦/٣).

[٢] الليث بن سعد أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن إمام أهل مصر في الفقه والحديث، كان مولى قيس بن رفاعة، وهو مولى عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي وأصله من أصبهان، وكان ثقة سريا سخيا، قال الليث: كتبت من علم محمد ابن شهاب الزهري علما كثيرا، وطلبت ركوب البريد إليه إلى الرصافة، فخفت أن لا يكون ذلك لله تعالى فتركته. وقال الشافعي رضي الله عنه: الليث بن سعد أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به، (ت: ١٧٥) ينظر: **سير أعلام النبلاء**، للذهبي (١٣٦/٨)، **وفيات الأعيان**، لابن خلكان (١٢٧/٤).

[٣] أبو عبيد واسمه سعد مولى عبد الرحمن بن عوف. قال الزهري: وكان من القدماء وأهل الفقه. قال شهدت العيد مع عمر، وقد روى عن عثمان وعلي وأبي هريرة. وكان اسمه سعدا، وكان ثقة، وله أحاديث، (ت: ٩٨هـ)، ينظر: **الطبقات الكبرى**، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت (٦٣/٥)، ط١، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م.

[٤] **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تح: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ط١، ٢٠٠١م، (٣٣٩/١١).

[٥] **القاموس المحيط** (ص: ٦٧٥)

[٦] إبراهيم بن محمد ابن نُجَيْم المصري زين العابدين. الإمام العلامة، أخذ عن ابن قطلوبغا والبرهان الكركي وغيرهما. وأخذ عنه: أخوه عمر، والتمرتاشي وسبط ابن أبي شريف المقدسي، من مؤلفاته: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، الرسائل الزينية، والأشباه والنظائر (ت: ٩٢٦هـ) ينظر: **ديوان الإسلام**، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد

والضابط يجمعها من باب واحد، هذا هو الأصل"[1].

وعرف السبكي[2] الضابط بأنه: "فيما اختص بباب وقصد به نظم صور متشابهة"[3].

وأما تعريف ضوابط الكتابة في القرآن الكريم فلم أجد من عرفها، ويمكن أن نعرفها بالآتي:

هي مجموعة من الأحكام والمصالح الشرعية الصريحة القائمة على العلم والعدل.

=

الرحمن بن الغزي (ت: ١١٦٧هـ)، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، (٣٣٨/٤).

[1] **الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان**، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (ت: ٩٧٠هـ)، وضع حواشيه وخرج أحاديثه: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م، (ص: ١٣٧).

[2] عبد الوهاب بن علي الإمام العالم الفقيه المحدث النحوي الناظم تاج الدين أبو نصر ابن العلامة قاضي القضاة السبكي، وسمع من المقدسي وطبقته بمصر، وأجاز له الحجار وعني بالرواية وسمع كثيرا وقرأ بنفسه على شمس الدين الذهبي كثيرا من مصنفاته، وغيرها، وأفتى ودرس ونظم الشعر وعمل الألغاز، وحج من الشام هو وأخوه، وعمل الورقات في الطبقات ذكر فيها الفقهاء أصحاب الشافعي رضي الله عنه (ت: ٧٧١هـ)، ينظر: **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر:١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، (٢٠٩/١٩)، وينظر: **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت: ٨٧٤هـ)، حققه ووضع حواشيه: محمد محمد أمين تقديم: سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د، ط ت، (٣٨٥/٧).

[3] **الأشباه والنظائر**، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: ٧٧١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

المطلب الثاني
ضوابط الكتابة من خلال القرآن الكريم

الضابط الأول: أن تكون الكتابة صريحة في إثبات الحقوق وإقامة الحجج.

ومن أهم شروط الكتابة أن تكون صريحة، أما إذا كانت كناية فتعليل قالوا فيه: إن الإنسان قد يكتب، ولا يريد حقيقة ما كتب، وإنما يريد تجربة القلم، والمداد أو تجويد الخط، فنقصت عن مرتبة صريح الكلام لهذا الاحتمال... أي: لم تقم الكتابة مقام الصريح إلا بنية القلب.

والكتابة الصريحة هي التي تقوم مقام قول الكاتب، ألم تر أن النبي–صلى الله عليه وسلم– كان مأمورًا بتبليغ رسالته، فحصل ذلك في حق البعض بالقول، وفي حق آخرين بالكتابة، وقد جرت الشريعة الإسلامية على استعمال الكتابة في الحقوق، والعقود والمعاهدات؛ وذلك لأن الكتابة تقوم في الإفهام مقام الكلام، ثم هي أعم في إفهام الحاضر والغائب من الكلام المختص بإفهام الحاضر دون الغائب[1].

وقد استعمل القرآن لفظ الكتابة استعمالاً صريحًا في كثير من الفرائض والأحكام وغيرها، ومن ذلك فرضية الصيام كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ [سورة البقرة: ١٨٣].

وكذلك حد القصاص قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰ ﴾ [سورة البقرة: ١٧٨].

وعبر الله بالكتاب في حال التداين قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٣].

الضابط الثاني: أن العادة جارية باستعمال الكتابة في موضع الكلام فاقتضى أن تكون جارية في الحكم مجرى الكلام.

قال الإمام الماوردي[2]: "ولأن العادة جارية باستعمالها في موضع الكلام، فاقتضى أن تكون

---

[1] ينظر: **كتاب الحاوي الكبير**، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، دار النشر: دار الفكر . بيروت د، ط ت، (١٠/٣٩٦– ٣٩٩) بتصرف.

[2] علي بن محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي البصري الشافعي، تفقه على أبي القاسم الصيمري، وأبي حامد الإسفرايني، وكان حافظا للمذهب، له المصنفات الكثيرة في كل فن، الفقه، والتفسير، والأصول، والأدب، ولي القضاء ببلاد كثيرة، ودرس بالبصرة وبغداد سنين، ومن تصانيفه الحاوي في الفقه، تفسير القرآن سماه النكت، الأحكام السلطانية، وغير ذلك، روى عن الحسن الجيلي وغيره، وروى عنه الخطيب، ووثقه، واتهم بالاعتزال قال ابن

جارية في الحكم مجرى الكلام؛ ولأن الصحابة –رضي الله عنهم– قد جمعوا القرآن في المصحف خطا، وأقاموه مقام تلفظهم به نطقا، حتى صار ما تضمنه إجماعا لا يجوز خلافه"[1].

ومما يحتوي عليه القرآن لفظ الكتابة الذي تنوعت دلالتها واستعمالاتها في القرآن بين الأحكام والغيبيات والجهاد والعقود وغير ذلك، ومنها مكاتبة الرقيق قال الله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [سورة النور: ٣٣]، قال الإمام ابن قدامة[2]: "الكتابة: إعتاق السيد عبده على مال في ذمته يؤدى مؤجلا، سميت كتابة؛ لأن السيد يكتب بينه وبينه كتابا بما اتفقا عليه"[3].

وقد أنزل الله الكتابة بمنزلة الخطاب في جميع الشرائع السماوية فقال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [سورة الأنعام: ١٩]، فدل على أن الإنذار بالكتب كالإنذار باللفظ؛ لأن الكتابة المرسومة جارية مجرى الخطاب، ألا ترى أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كان يبلغ بالخطاب مرة، وبالكتابة أخرى، وبالرسول ثالثة؟ وكان التبليغ بالكتاب والرسول كالتبليغ بالخطاب، فدل أن الكتابة المرسومة بمنزلة الخطاب[4].

لهذا عبر الله بلفظ الكتابة الذي يقوم مقام الخطاب الذي خوطب به المكلف في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [سورة المائدة: ٣٢]، وقوله تعالى:

=

السبكي: والصحيح أنه ليس معتزليًا، ولكنه يقول بالقدر، وهي البلية التي غلبت على أهل البصرة، (ت:٤٥٠هـ)، ينظر: **طبقات المفسرين**، للسيوطي (ص: ٨٣)، **طبقات المفسرين**، للداوودي (٤٢٨/١).

[1] **كتاب الحاوي الكبير**، للماوردي (٣٩٦/١٠).

[2] عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بْن مقدام بْن نصر بْن عبد اللَّهِ المقدسي، ثُمَّ الدمشقي، الصالحي الفقيه، الزاهد الإمام، شيخ الإسْلام، وأحد الأعلام، موفق الدين أبو محمد، أَخو الشيخ أَبِي عُمَر، ولد (٥٤١هـ)، سمع من والده، وأبي المكارم بْن هلال، وأبي المعالي بْن صابر وغيرهم، وله مصنفات كثيرة منها: "المغني في الفقه"، و"الروضة في الأصول"، و"المقنع" وغيرها ، (ت:٦٢٠هـ)، ينظر: **ذيل طبقات الحنابلة**، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م، (٢٨١/٣). وينظر: **سير أعلام النبلاء**: للذهبي (١٦٥/٢٢).

[3] **المغني، شرح مختصر الخرقي**، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ) الناشر: دار إحيار التراث العربي، ط١، سنة النشر: ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م (٣٣٣/١٠).

[4] **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (ت: ٥٨٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، (١٠٩/٣).

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٧].

الضابط الثالث: أن تكون الكتابة قائمة على العدل والعلم فيما يقع عليه التراضي.

١- العدل في الكتابة:

قال الله تعالى: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٣]، قوله: "بالعدل: أي بالحق والعدل أي لا يكتب لصاحب الحق أكثر مما قاله، ولا أقل، وانما قال بينكم، ولم يقل أحدكم؛ لأنه لما كان الذى له الدين يتهم في الكتابة الذى عليه الدين، وكذلك العكس، شرع -سبحانه- كاتبا غيرهما يكتب بالعدل، لا يكون في قلبه، ولا قلمه انحياز لاحدهما، ثم الباء في قوله تعالى بالعدل متعلقة بقوله: ﴿وَلْيَكْتُب﴾ وليست متعلقة بكاتب؛ لأنه كان يلزم أن يكتب الوثيقة كاتب عدل في نفسه، وقد يكتبها صبى وعبد إذا فقهوا، أما المنتصبون للكتابة من الكتبة العموميين فلا يجوز الترخيص لهم بالكتابة إلا إذا كانوا عدولا مرضيين"[(١)].

قال الإمام مالك: "لا يكتب الوثائق بين الناس الا عارف بها عدل في نفسه مأمون، لقوله تعالى ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾[(٢)].

ومن أهم ضوابط الكتابة العدل قال الله تعالى: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾ ولذلك قال "الجمهور: أن الأمر للاستحباب، وليكتب بينكم كاتب بالعدل لا يزيد، ولا ينقص، ولا بد أن يكون عدلا حتى يجيئ مكتوبه موثوقا به"[(٣)].

ولهذا كتابة الوحي كانت على أيدي الصحابة -رضي الله عنهم- فهم عدول، والخيانة منهم مأمونة، ولو فرضنا أنه كان يمكن أن يقع من أحدهم، فإن الله تبارك وتعالى يعلم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بذلك.

وقال المراغي[(٤)]: في بيان اشتراط العدل في الكتابة ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾ "أي

---

(١) **المجموع شرح المهذب مع تكملة السبكي والمطيعي**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ) الناشر: دار الفكر، د، ط ت. (٩٩/١٣).

(٢) **توضيح الأحكام شرح تحفة الحكام**، عثمان بن المكي التوزري الزبيدي، الناشر: المطبعة التونسية، ط١، ١٣٣٩ هـ، (٦٩/١).

(٣) **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ)، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، وحسن عباس زكي – القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ، (٣١٣/١).

(٤) محمد مصطفى المراغي، ولد الشيخ سنة ١٨٨١ في المراغة من أعمال جرجا بالصعيد، وكان بيتهم بيت علم، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة في بلده، وتحت رعاية أبيه، ثم دخل الأزهر، وحصل على العالمية سنة ١٩٠٤، وكان

وليكن الكاتب الذي يكتب لكم الديون عادلا يساوى بين المتعاملين، لا يميل إلى أحدهما فيزيده على حقه، ولا يميل عن الآخر فيبخسه من حقه"[1].

٢- اشتراط العلم بالكتابة.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٣] "هذا نهي لمن يعرف الكتابة أن يمتنع عن كتابة الدين إذا دعي إلى كتابته، فقد أنعم الله عليه بأن علّمه ما لم يكن يعلم، فلينفق من هذا الرزق الذي رزقه الله إياه، في سبيل الخير، فذلك من زكاة هذه النعمة"[2].

ولا شك أن العلم بالكتابة، وما يتعلق بها من أحكام فقهية، وشروط، وضوابط جاء الأمر بها في قوله تعالى: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٣]، فبعد أن شرط الله في الكاتب العدالة شرط فيه العلم بالأحكام والفقه في كتابة الدين، إذ الكتابة لا تكون ضمانًا تامًا إلا إذا كان الكاتب عالما بالأحكام الشرعية، والشروط المرعية عرفا وقانونا، وكان عادلا حسن السيرة، لا غرض له إلا بيان الحق بلا محاباة، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فإن تعليم الله إياه ليس خاصا بصناعة الكتابة، بل هو يعم ما وفقه له من علم الأحكام والفقه فيها[3].

=

إبان وجوده في الأزهر، يحضر دروس الشيخ محمد عبده في الرواق العباسي، فعرفه الإمام عن كثب، وبعد حصوله على الشهادة العالمية ذهب إلى السودان لتولي القضاء هناك، وكان الأستاذ الإمام هو الذي رشحه لذلك، وقد أبدى الشيخ نشاطًا وجرأة وتفهمًا عين شيخًا للأزهر سنة ١٩٢٨م، واستمر في منصبه هذا أربعة عشر شهرًا، ثم عاد إليه مرة ثانية (ت: ١٩٤٥م)، ينظر: **التفسير والمفسرون**، محمد السيد حسين الذهبي (ت: ١٣٩٨هـ): الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، د، ط ت، (٤٣٢/٢)، وينظر: **التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث**، فضل حسن عبَّاس، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م، (٢٢٩/٢).

[1] **تفسير المراغي**، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط ١، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م، (٧٢/٣).

[2] **التفسير القرآني للقرآن**، لعبد الكريم الخطيب (٣٧٩/٢).

[3] ينظر **تفسير المراغي** (٧٣/٣)، وينظر: **تفسير المنار**، لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن علي خليفة الحسيني، (ت: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م، د، ط (١٠١/٣).

الضابط الرابع: تحقيق الكتابة للمصالح الشرعية بأخذ الحيطة والحذر إحقاقا للحق وإبطالا للباطل.

ولما كانت الكتابة وسيلة مهمة في حفظ الحقوق والواجبات أمر الله بها فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٣].

قال ابن جرير الطبري وبعض السلف: إن كتابة الدين واجبة لقوله تعالى: ﴿فَٱكۡتُبُوهُ﴾ ؛ إذ الأصل في الأمر إفادة الوجوب، ومما يؤيد دلالة هذا الأمر على الوجوب اهتمام الآية ببيان من له حق الإملاء، وصفة الكاتب، وحثه على الاستجابة إذا طلب منه ذلك، والحث على كتابة القليل والكثير، ثم التعبير عن عدم وجوب الكتابة في المبادلات الناجزة بنفي الجناح، حيث إنه يشعر بلوم من ترك الكتابة عند تعامله بالدَّينْ[١].

وذلك لأن الكتابة تتحقق بها مصالح كثيرة وتحفظ بها الأموال وغيرها.

قال السرخسي[٢]: "ثم المقصود بالكتابة: التوثق والاحتياط؛ فينبغي أن يكتب على أوثق الوجوه، ويتحرز فيه من طعن كل طاعن"[٣].

وقال القفال[٤]: "فكان بيَّنًا في الآية الأمر بالكتابة في الحضر والسفر، وذكر الله تبارك وتعالى الرهن إذا كانوا مسافرين، ولم يجدوا كاتبًا، فكان معقولاً- والله أعلم- فيها أنهم أمروا بالكتابة والرهن احتياطًا لمالك الحق بالوثيقة، والمملوك عليه بأن لا ينسى ويذكر، لا أنه فرض عليهم أن

---

[١] ينظر: **تفسير الطبري** (٧٧/٥ -٧٨) **تفسير للقرطبي** (٣٨٣/٣)، **والموسوعة الفقهية الكويتية**، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الطبعة: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧هـ)، (١٢٣/٢١).

[٢] هو محمد بن أحمد بن أبي سهل أبو بكر السرخسي تكرر ذكره في الهداية الإمام الكبير شمس الأئمة صاحب المبسوط وغيره، أحد الفحول الأئمة الكبار، كان إماما علامة حجة متكلما فقيها أصوليا مناظرا لزم الإمام شمس الأئمة أبا محمد الحلواني حتى تخرج به، وأخذ في التصنيف وناظر الأقران فظهر اسمه وشاع خبره أملأ المبسوط نحو خسمة عشر مجلدا وهو في السجن بأوزجند محبوس، تفقه عليه أبو بكر الحصيري وأبو عمر، وعثمان بن علي البيكندي، (ت:٤٩٠هـ)، وقيل غير ذلك ينظر: **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (ت: ٧٧٥هـ)، الناشر: مير محمد كتب خانه – كراتشي، د، ط ت، (٢٨/٢، ٢٩).

[٣] **المبسوط** محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت: ٤٨٣هـ)، دار المعرفة – بيروت، د، ط تاريخ النشر: ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، (١٥٥/١١).

[٤] الإمام، العلامة، الفقيه، الأصولي، اللغوي، عالم خراسان، أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي الشافعي القفال الكبير، إمام وقته، بما وراء النهر، وصاحب التصانيف، سمع من أبي بكر بن خزيمة، وابن جرير الطبري، وغيرهما، وهو ممن صنف الجدل الحسن من الفقهاء، وله كتاب في أصول الفقه، وله "شرح الرسالة" وعنه انتشر فقه الشافعي بما وراء النهر، توفي سنة خمس وستين وثلاث مائة بالشاش، ينظر: **سير أعلام النبلاء** (٢٨٣/١٦).

يكتبوا"[1]، "وفائدة الكتابة والإشهاد أن ما يدخل فيه الأجل، وتتأخر فيه المطالبة يتخلله النسيان، ويدخله الجحد، فصارت الكتابة كالسبب لحفظ المال من الجانبين؛ لأن صاحب الدين إذا علم أن حقه قد قيد بالكتابة، والإشهاد عليها تحرز عن طلب الزيادة، ومن تقديم المطالبة على حلول الأجل، ومن عليه الدين إذا عرف ذلك تحرز من الجحود، وأخذ قبل حلول الأجل في تحصيل المال ليتمكن من أدائه وقت حلول الأجل، فلما حصل في الكتابة، والإشهاد هذه الفوائد أمر الله به"[2].

الضابط الخامس: موافقة الكتابة لأحكام الشريعة وقواعدها.

وإن من ضوابط الوسائل ألا يكون فيها تناقض مع أحكام الشريعة وقواعدها، ومن ذلك الكتابة؛ فإن من شرطها ألا تحل حراما، ولا تحرم حلالا، بل تكون قائمة على أصول التشريع، وقواعد الدين، ولما كان لفظ الكتابة يدل على القطع، والتوكيد، والثبوت في الأحكام؛ عبر الله به في كثير من الأحكام لتوكيدها فإن "مقصد الشريعة من تشريع الحدود، والقصاص، والتعزير وأروش الجنايات ثلاثة أمور: تأديب الجاني، وإرضاء المجنيّ عليه، وزجر المقتدي بالجناة"[3].

وهذه الأمور عُبر عن بعضها بلفظ الكتابة للعلاقة بينها، وبين الكتابة باليد؛ فإن الكتابة باليد تدل على ثبوت المكتوب ولزومه؛ لهذا كان اللزوم في هذه الكتابة الموافقة للأحكام الشرعية وقواعدها، فقوله –صلى الله عليه وسلم–: ((كاتبه))[4] فيه دليل على تحريم كتابة الربا إذا علم ذلك، وكذلك الشاهد لا يحرم عليه الشهادة إلا مع العلم، فأما من كتب أو شهد غير عالم فلا يدخل في الوعيد، ومن جملة ما يدل على تحريم كتابة الربا، وشهادته، وتحليل الشهادة والكتابة في غيره قوله تعالى: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٣]، وقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ فأمر بالكتابة والإشهاد فيما أحله وفهم منه تحريمهما[5].

---

[1] **حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء**، سيف الدين أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي القفال، حققه وعلق عليه: ياسين أحمد إبراهيم درادكه، الأستاذ المساعد في كلية الشريعة – الجامعة الأردنية، الناشر: مكتبة الرسالة الحديثة – المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ط١، ١٩٨٨م، (٤٠٧/٤).

[2] **الموسوعة الفقهية الكويتية** (٣٦٣/٢٤).

[3] **مقاصد الشريعة الإسلامية**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، عام النشر: ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م، د، ط ، (٥٠٠/١).

[4] **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، كتاب المساقاة، باب لعن آكل الربا ومؤكله، من حديث جابر رضي الله عنه، (١٢١٩/٣)، برقم: (١٥٩٨)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، د. ط. ت.

[5] **المفصل في أحكام الربا** (١–٨)، علي بن نايف الشحود، المصدر: الشاملة الذهبية، د، ط ت، (١٤٩/١).

فقوله: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ أمر بالكتابة والإشهاد فيما أحله، وفهم منه تحريمها فيما حرمه، فكانت الكتابة وسيلة لحفظ الدين، وثبوت العقود، وحفاظا على الممتلكات، ومحرمة فيما يخالف الشرع مثل العقود الربوية والمعاهدات الجائرة، وكذلك المصالحة القائمة على شيء محرم، ويستثنى من ذلك "المصالحة التي يجرى الصلح فيها على شيء لا يحلل حراما، ولا يحرم حلالا، فلا بأس"[1].

[1] **شرح منظومة القواعد والأصول لابن عثيمين**، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، المصدر: الشاملة الذهبية، د، ط ت، (ص: ٢٠٦).

الفصل الثاني

استعمالات لفظ الكتابة في سياق آيات الاعتقاد، والإتباع والابتداع، والتشريع، والتمكين والولاء والبراء، والرحمة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: استعمالات لفظ الكتابة في سياق آيات الاعتقاد.

المبحث الثاني: استعمالات لفظ الكتابة في سياق آيات الاتباع والابتداع.

المبحث الثالث: استعمالات لفظ الكتابة في سياق الآيات الدالة على التشريع والتمكين والولاء والبراء.

المبحث الرابع: استعمالات لفظ الكتابة في سياق الآيات الدالة على الرحمة.

المبحث الأول

استعمال لفظ الكتابة في سياق آيات الاعتقاد

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: علم الله وإحاطته بما يقوله أهل الكتاب والمنافقين.

المطلب الثاني: الإيمان والرضى والتسليم بقدر الله واعتقاد الخير فيه.

المطلب الثالث: كتابة الملائكة مكر الماكرين واحصائها للأعمال الصالحة.

المطلب الرابع: إنكار البعث والاستهزاء به والكفر بآيات الله وبرسوله.

المطلب الخامس: كتابة أعمال الإنسان في حياته وآثاره الخالدة بعد موته.

المطلب السادس: إحاطة الله وعلمه بكيد المشركين وسرِّهم ونجواهم.

المطلب السابع: إنكار فِريَة وزعم الكفار بأن الملائكة إناث.

المطلب الثامن: ابطال الله دعاوى المشركين وزعمهم علم الغيب.

المطلب التاسع: وجوب الإيمان بأعمال الملائكة المتعلقة بالإنسان.

المطلب الأول

علم اللّه وإحاطته بما يقوله أهل الكتاب والمنافقين

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: علم الله وإحاطته بما يقوله أهل الكتاب.

قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٨١].

سبب نزول الآية:

ذكر الإمام الواحدي[١]، أن سبب نزول هذه الآية أنه: "دخل أبو بكرٍ الصديق -رضي الله عنه- ذات يومٍ بيت مِدْرَاس اليهود[٢]، فوجد ناسًا من اليهود قد اجتمعوا على رجلٍ منهم يقال له: فِنْحَاص بن عَازُورا[٣]، وكان من علمائهم، فقال أبو بكرٍ لفنحاص: اتق الله، وأسلم، فو الله إنك لتعلم أن محمدًا رسول الله، قد جاءكم بالحق من ربكم، تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة، فآمن وصدّق، واقرض الله قرضًا حسنًا يدخلك الجنة، ويضاعف لك الثواب. فقال فنحاص: يا أبا بكرٍ، تزعم أن ربنا يستقرض أموالنا، وما يستقرض إلا الفقير من الغني، فإن كان ما تقول حقًا فإن الله إذن لفقير

---

[١] محمد بن علي أبو الحسن الواحدي النيسابوري، كان واحد عصره في التفسير لازم أبا إسحاق الثعلبي، وأخذ العربية عن أبي الحسن القهندزي، ودأب في العلوم وأخذ اللغة عن أبي الفضل العروضي، وسمع ابن محمش، وأبا بكر الحيري وجماعة، وروى عنه أحمد الأرغياني، وعبد الجبار بن محمد الخواري وطائفة، صنف التفاسير الثلاثة البسيط والوسيط والوجيز وأسباب النزول والمغازي والإعراب عن الإعراب، وغيرها، ونفي التحريف عن القرآن الشريف، وتصدر للإفادة وللتدريس مدة، وله شعر حسن، (ت: ٤٦٨)، ينظر: **طبقات المفسرين**، للسيوطي (ص:٧٨).

[٢] مدراس لقب للرجل من اليهود كان يدرس التوراة للأطفال وكان يعرف بيته ببيت مدراس اليهودي ومدراس معناه الفقيه، ينظر: **المدينة بين الماضي والحاضر**، إبراهيم بن علي العياشي، الناشر: مكتبة الثقافة المدينة المنورة، ط١، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م (ص: ٣٩٧).

[٣] فِنْحَاص بن عازورا وعازوراء لقب لجدهم إلياس بن هارون ابن العيزرا، وكان فنحاص حبر من أحبار اليهود، وكان يطعن في الإسلام وفي الذات الإلاهية، ويقول إن الله فقير، فسمعه أبو بكر وهو يقول ذلك فضربه ضربا شديدا ونزل فيه قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [سورة آل عمران:١٨١]، ينظر: **السيرة النبوية لابن هشام**، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، (ت: ٢١٣هـ)، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م، (٥٥٨/١).

ونحن أغنياء، ولو كان غنيًا ما استقرض أموالنا، قال: فغضب أبو بكرٍ –رضي الله عنه– وضرب وجه فنحاصٍ ضربةً شديدةً، وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله. فذهب فنحاص إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال: يا محمد، انظر إلى ما صنع بي صاحبك؟ فقال رَسُوْل الله – صلى الله عليه وسلم– لأبي بكر: ((ما الذي حملك على ما صنعت؟)) فقال: يا رَسُوْل الله، إن عدو الله، قال قولاً عظيمًا، زعم أن الله فقير وأنهم أغنياء، فغضبت لله وضربت وجهه. فجحد ذلك فنحاص، فأنزل الله تَعَالَى هذه الآية ردًا عَلَى فنحاص وتصديقًا لأبي بكر– رضي الله عنه–"[1].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

قال مقاتل[2]: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ [سورة آل عمران: ١٨١] فأمر الحفظة أن تكتب كل ما قالوا[3].

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ "سنجازيهم عليه. وقيل: سنكتبه في صحائف أعمالهم، أي نأمر الحفظة بإثبات قولهم حتى يقرءوه يوم القيامة في كتبهم التي يؤتونها، حتى يكون أوكد للحجة عليهم، وهذا كقوله: ﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٩٤]، وقيل: مقصود الكتابة الحفظ، أي: سنحفظ ما قالوا لنجازيهم"[4].

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ أي: "سنحفظ قولهم، وقيل: سنكتبه في صحف الحفظة بأن تكتبه الحفظة"[5]، كقوله: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢)﴾ [سورة الانفطار: ١١–١٢].

ويفهم من دلالة الآية: أن المقصود بالكتابة كتابة الألفاظ وتدوينها ليوم الحساب.

---

(١) **أسباب النزول**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تح: ماهر ياسين الفحل، الناشر: دار الميمان، ط١، تاريخ النشر:١٤٢٦هـ، (ص: ٣٠٠).

(٢) مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي الخراساني أبو الحسن البلخي المفسّر، نزيل مرو، ويقال له: ابن دوال دوز، كذبوه وهجروه، ورمي بالتجسيم، من الطبقة السابعة، (ت: ١٥٠هـ)، روى عن مجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وأبي إسحاق السبيعي، والضحاك بن مزاحم، وغيرهم، وعنه بقية بن الوليد الحمصي، وعبد الرازق بن همام الصنعاني، وحرميّ ابن عمارة وغيرهم، وكان من العلماء الأجلاء، ينظر: **طبقات المفسرين**، للداوودي (٣٣٠/٢).

(٣) **تفسير مقاتل بن سليمان**، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت: ١٥٠هـ)، تح: أحمد فريد، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، (٢٠٧/١).

(٤) **تفسير القرطبي** (٢٩٤/٤).

(٥) **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م (٣٧٥/٣).

معنى الآية:

والمعنى: "أن الله سمع مقالتهم الشنيعة، وأنه سيعاقبهم عليها، ولذلك قال: سنكتب ما قالوا أي: سنسطرها عليهم في صحائف أعمالهم، أو سنحفظها في علمنا ولا نهملها؛ لأنها كلمة عظيمة، فيها الكفر بالله والاستهزاء بكتاب الله وتكذيباً لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولذلك انظمت مع قتلهم الأنبياء، حيث عطفه عليه، وفيه تنبيه على أن قولهم الشنيع ليس هو أول جريمة ارتكبوها، وأن من اجترأ على قتل الأنبياء لم يستبعد أمثال هذا القول منه"[1].

إثبات صفة الكتابة لله تعالى:

وقد أثبتت هذه الآية وغيرها من الآيات صفة الكتابة لله تعالى، وهي صفة فعلية لله تعالى، وهي إحدى مراتب القدر وقد دلت عليها أحاديث صحيحة وصريحة.

ومنها ما جاء في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-[2]، يقول سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي سبقت غضبي، فهو مكتوب عنده فوق العرش))[3]، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما-[4]، قال: سمعت

---

[1] **البحر المديد**، للفاسي (٤٤٤/١).

[2] اختلف في اسمه وأشهرها ما صرح بقوله كان اسمي في الجاهلية عبد شمس بن صخر، فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلّم عبد الرحمن، وكنيت أبا هريرة، لأني وجدت هرّة فحملتها في كمّي، فيكون اسمه عبد الرحمن بن عامر بن عبد ذي الشّرى بن ظريف بن عتاب بن أبي صعب بن منبه بن دوس بن كعب الدوسيّ، كان من المكثرين لرواية الحديث، كان أحفظ الصحابة لأخبار رسول الله، ودعا له بأن يحبّبه إلى المؤمنين، وكان إسلامه بين الحديبيّة وخيبر قدم المدينة مهاجرا، وسكن الصّفة، وقيل أسلم يوم خيبر، (ت ٥٧هـ)، ينظر: **الإصابة في تميز الصحابة**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، – ١٤١٥هـ، (٣٤٨/٧- ٣٦٢).

[3] **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، كتاب التوحيد، باب قوله: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ} [البروج: ٢١]، (١٦٠/٩)، برقم: (٧٥٥٤)، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط ١، ١٤٢٢هـ.

[4] عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن كعب بن لؤي القرشي، أسلم قبل أبيه، وكان أصغر من أبيه باثنتي عشرة سنة، وكان فاضلا عالما قرأ القرآن والكتب المتقدمة، قال أبو هريرة- رضي الله عنه-: ما كان أحد أحفظ لحديث رسول الله مني، إلا عبد الله بن عمرو بن العاص، فإنه كان يكتب ولا أكتب، وشهد مع أبيه فتح الشام، وكانت معه راية أبيه يوم اليرموك، وشهد معه أيضا صفين، وكان على الميمنة، (ت: ٦٣) وقيل غير ذلك، ينظر: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، تح: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، ط ١، سنة النشر: ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، (٣٤٥/٣).

رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: ((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء))[١]، "كأن الإشارة بهذا إلى خلق اللوح والكتابة فيه، وذلك قد كان قبل خلق السموات والأرض"[٢]، " كتب الله مقادير الأشياء قبل أن يخلق السموات والأرض وجفت الأقلام وجرت المقادير "[٣].

"وهو يكتب ما علم أن سيكون، وقد يكتب إيجابه والتزامه؛ كما قال: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [سورة المجادلة: ٢١]، وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [سورة الأنعام: ٥٤]"[٤]، فالإيمان "بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا وأبدا، وعلم: جميع أحوالهم، من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال، ثم كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق "[٥].

قال أبو حيان[٦]: في بيان قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [سورة المائدة: ٤٥] "ويجوز أن يراد الكتابة حقيقة، وهي الكتابة في الألواح؛ لأن التوراة مكتوبة في الألواح"[٧].

وجاء في الحديث عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: ((احتج آدم وموسى –عليهما السلام– عند ربهما، فحج آدم موسى... فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن

---

[١] **صحيح مسلم**، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، (٤/٢٠٤٤)، برقم: (٢٦٥٣).

[٢] **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تح: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض، د، ت، (٤/١٢٩).

[٣] **مجالس التذكير من حديث البشير النذير**، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (ت: ١٣٥٩هـ)، الناشر: مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط ١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، (ص: ١١٦).

[٤] **النبوات**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تح: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، (٢/٩١٣).

[٥] **العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تح: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الناشر: أضواء السلف–الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م، (ص: ١٠٥).

[٦] محمد بن يوسف بن علي بن حيان الغرناطي أثير الدين أبو حيان الأندلسي ولد سنة: (٦٥٤هـ). وقرأ القرآن على الخطيب عبد الحق إفرادًا وجمعًا قال: وعدد من أخذت عنهم أربعمائة وخمسين شخصًا، وكان باللغة والنحو والتصريف الإمام المطلق، وله اليد الطولى في التفسير، والحديث، وتراجم الناس، توفي سنة (٧٤٥هـ)، ينظر: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، لابن حجر (٦/٥٨).

[٧] **البحر المحيط في التفسير**، لأبي حيان (٤/٢٧١).

أخلق...))[1]، وفي رواية: ((... وخط لك التوراة بيده...))[2]، ورواية أخرى: ((... وكتب التوراة بيده...))[3].

بينت هذه الاحاديث "أن المراد بهذه الكتبة كتبها في الألواح التي أعطى موسى، وذكر في كتابه العزيز وصفه، وقال: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٥]"[4].

ومما يدل على إثبات صفة الكتابة لله – عز وجل– ما جاء عن أبي هريرة– رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: ((إن الله حين خلق الخلق كتب بيده على نفسه: إن رحمتي تغلب غضبي))[5].

---

[1] **صحيح مسلم**، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، من حديث ابي هريرة رضي الله عنه، (٢٠٤٣/٤)، برقم: (٢٦٥٢)، وينظر: **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (ت: ٤١٨هـ)، تح: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة – السعودية، ط ٨، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م، (٦٤٢/٤).

[2] **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، كتاب الديات، باب القدر، (٢٢٦/٤)، برقم:(٤٧٠١)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، قال البغوي: هذا حديث صحيح متفق على صحته"، ينظر: **شرح السنة**، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٦هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط– محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، (١٢٤/١).

[3] **العظمة**، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (ت: ٣٦٩هـ)، باب خلق آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام، من حديث عبد الله بن الحارث، تح: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة – الرياض، ط ١، ١٤٠٨هـ، (١٥٥٥/٥)، قال البيهقي: هذا حديث مرسل، ينظر: **الأسماء والصفات**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، باب ما جاء في إثبات اليدين صفتين، (١٢٥/٢)، برقم:(٦٩٢)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: مقبل بن هادي الوادعي، الناشر: مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م.

[4] **تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة**، القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، **تح**: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، عام النشر: ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م، (٩٠/١).

[5] **سنن الترمذي**، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، (ت: ٢٧٩هـ)، (٥٤٩/٥)، برقم: (٣٥٤٣)، تح: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح، وينظر: **سنن ابن ماجه**، أبو عبد الله محمد بن يزيد

"أي: التزمها تفضلًا وإحسانًا والكتابة باليد تصوير وتمثيل لإثباته وتقديره"[١]، و"يجب الإيمان بها والسكوت عن تأويلها مع تنزيه الرب"[٢].

وهذا الحديث من الأدلة الواضحة في إثبات صفة الكتابة لله، ويؤكد هذا المعنى قول الرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض))[٣].

وقال صاحب مفاتيح الغيب: "كتب الله في اللوح المحفوظ مما هو كائن، وكل حكم حكم به على عباده فقد أثبته في اللوح المحفوظ"[٤] فقوله: كتب الله، يدل على إثبات الكتابة لله تعالى.

قال الطيبي[٥]: "كتب الله معناه أجرى القلم على اللوح المحفوظ بتحصيل ما بينهما من التعلق، وأثبت فيه مقادير الخلائق، على وفق ما تعلقت به إرادته أزلا"[٦]، ومعنى كلامه أن الله أجرى القلم أي: كتب في اللوح المحفوظ، ولله يكتب ما شاء في أي وقت شاء، وكيفما شاء، بما يليق بشأنه، وليس ككتابة المخلوقين.

=

القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣هـ)، باب فيما أنكرت الجهمية، (٦٧/١)، برقم:(١٨٩)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، د، ت.

[١] **التيسير بشرح الجامع الصغير**، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، (٢٠٦/٢).

[٢] **التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ**، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (ت: ١١٨٢هـ)، تح: محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، ط ١، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م، (١٣٠/٨).

[٣] **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ الروم: ٢٧، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما، (١٠٥/٤)، برقم: (٣١٩١).

[٤] **مفاتيح الغيب**، للرازي، (٢٧٢/٥).

[٥] الحسن بن محمد بن عبد الله شرف الدين الطّيبيّ، قال الحافظ ابن حجر: كان آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن، مقبلا على نشر العلم متواضعا حسن المعتقد، شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة مظهرا فضائحهم، شديد الحب لله ورسوله، ومن مصنفاته: شرح "الكشاف"، التبيان وشرحه"، وصنف "تفسير القرآن" وشرح "مشكاة المصابيح" (ت: ٧٤٤هـ)، ينظر: **طبقات المفسرين للداوودي**، (١٤٦/١– ١٤٧).

[٦] **شرح الطيبي على مشكاة المصابيح**، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: ٧٤٣هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة – الرياض، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧، (٥٣٠/٢).

وذكر ابن القيم[1]، الإجماع على صفة الكتابة لله تعالى: فقال: "وأجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب، وقد دل القرآن على أن الرب تعالى كتب في أم الكتاب"[2].

وقال أيضًا موضحًا علم الله، وكتابته: "علمه بما كان قبل كونه وكتابته له بعد علمه، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة يس: ١٢]، فجمع بين الكتابين الكتاب السابق لأعمالهم قبل وجودهم، والكتاب المقارن لأعمالهم، فأخبر أنه يحييهم بعد ما أماتهم للبعث، ويجازيهم بأعمالهم، ونبّه بكتابته لها على ذلك، قال: نكتب ما قدّموا من خير أو شر فعلوه في حياتهم، وآثارهم ما سنّوا من سنة خير أو شر، فاقتدي بهم فيها بعد موتهم"[3].

ومما يؤكد إثبات صفة الكتابة لله تعالى: ما جاء في الجواهر الحسان في تفسير القرآن في بيان معنى قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [سورة الأنعام: ٥٤]، "قال علماؤنا: كَتَبَ: معناه أَوْجَبَ، وعندي أنه كتب حقيقة"[4].

والذي يظهر للباحث أن الله قد يأمر الملائكة بالكتابة، أو يأمر القلم، أو بقول كن فيكون، وقد يتولى الله ذلك بنفسه فنحن نؤمن بذلك دون تشبيه أو تكييف أو تعطيل، قد ذكرنا أن الكتابة هي إحدى مراتب القدر؛ التي يجب الإيمان بها، وهذه المراتب هي عند أهل السنة والجماعة أربع، ولا يتم إيمان العبد بالقدر إلا بإيمانه بهن: **الأولى**: العلم: **الثانية**: الكتابة: وهي الإيمان بأنّ الله كتب عنده في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

---

[1] شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، إمام الجوزية، ولد في سنة (٦٩١هـ)، وسمع الحديث، واشتغل بالعلم، وبرع في العلوم المتعددة، لا سيما علم التفسير، والحديث، وكان حسن القراءة، والخلق، كثير التودد (ت:٧٥١هـ). ينظر: **البداية والنهاية**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت:٧٧٤هـ)، تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، (٢٧٠/١٤)، وينظر: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ابن العماد شهاب الدين عبد الرحمن بن أحمد العكبري الحنبلي، إشراف وتخريج وتح: عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط دار بن كثير– بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ– ١٩٩٢م، (٢٨٧/٨).

[2] **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين، ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ) تح وتعليق: عصام فارس الحرستاني، خرج أحاديثه: محمد إبراهيم الزغلي، الناشر: دار الجيل – بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، (ص: ١١٧).

[3] **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، (ص: ١١٠).

[4] **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)، تح: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، – ١٤١٨هـ (٤٦٩/٢).

الثالثة: المشيئة: **الرابعة**: الخلق[1]، ومعنى كتابة المقادير: "أن الله، سبحانه، قد قدر الأشياء وعلمها وكتبها، وأن الإيمان بذلك أصل من أصول الإيمان الستة التي يجب على كل مسلم الإيمان بها[2].

"والمذهب الصحيح أن كتابة الله المقادير قبل السماوات والأرض بمقدار خمسين ألف سنة صفة ثابتة لله تعالى نثبتها ونعتقدها لا نكيفها ولا نمثلها ولا نؤوّلها"[3].

المضامين المستنبطة من الآية:

١- قوله: ﴿سَنَكْتُبُ﴾ "مبالغة في تغليظ هذا الجرم وتهويله، فقد كتبه الله عليهم ووثّقه، كما يكتبون هم ما يستدينه الدائنون منهم ويوثّقونه، فلا سبيل إلى الضياع أو الإنكار"[4].

٢- "أن الكتابة فيها تأكيد للعلم وتأكيد للسيادة على الكون في انتظامه على ما هو مكتوب لا يخرج عنه قيد شعرة، فالكتابة دليل على عظمة هذه السيادة والربوبية"[5].

٣- "قد جاءت كلمة: ﴿سَنَكْتُبُ﴾ حتى لا يؤاخذهم -سبحانه وتعالى- يوم القيامة بما يقول هو إنهم فعلوه، ولكن بما كتب عليهم وليقرؤوه بأنفسهم، وليكون حجة عليهم، كأن الكتابة ليست كما نظن فقط، ولكنها تسجيل للصوت وللأنفاس، ويأتي يوم القيامة ليجد كل إنسان ما فعله مسطورًا"[6].

٤- "هذا القول: ﴿سَنَكْتُبُ﴾ يدل على أنه ساعة يرى الإنسان ما كتب في الكتاب سيعرف أنه منه، وإذا كنا نحن الآن نسجل على خصومنا أنفاسهم وكلماتهم أتستبعد على من علمنا ذلك أن

---

[1] ينظر: **جهود محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف**، عبد العزيز ين صالح بن إبراهيم الطويان، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، (٥٣٧/٢).

[2] **حكم الإسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض**، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت: ١٤٢٠هـ)، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: السنة السابعة، العدد الأول، رجب ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، (ص: ٢٠).

[3] **الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (المسمَّى: الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج)**، محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، نزيل مكة المكرمة والمجاور بها، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة، هاشم محمد علي مهدي، المستشار برابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة، الناشر: دار المنهاج - دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، (٥٤٧/٢٤).

[4] **التفسير القرآني للقرآن**، لعبد الكريم الخطيب (٦٥٨/٢).

[5] **الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار**، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (ت: ٥٥٨هـ)، تح: سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، (٥٨/١).

[6] **تفسير الشعراوي** (١٩١١/٣).

يسجل الأنفاس والأصوات والحركات بحيث إذا قرأها الإنسان ورآها لا يستطيع أن يكابر فيها أو ينكرها"[1].

٥- "الظاهر أن الآيات في عمومها نزلت بمناسبة دعوة اليهود إلى الوفاء بالتزاماتهم المالية الناشئة عن معاهدتهم مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- ودعوتهم كذلك إلى الإيمان بالرسول- صلى الله عليه وسلم- والإنفاق في سبيل الله"[2].

٦- "فيها تعزية للرسول-صلى الله عليه وسلم- وحمله على الصبر والثبات أمام ترهات اليهود وأباطيلهم"[3].

وعلى هذا ينبغي على المسلم أن يدرك أن الله يعلم ويسمع كل ما تلفظ به، وأن هناك أيضًا حفظة يسجلون عليه كل ما يقول، وأنه لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بمعروف أو بصدقة، أو كلمة حق، أو ذكر لله، وما في معناه مما يصلح الدين والدنيا، ويؤكد هذه المعاني ما ورد في أكثر من موضع من القرآن ومنها: قوله: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [سورة ق: ١٨]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾ [سورة المجادلة: ٨]، وقوله: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ١١٤].

المسألة الثانية: علم الله وإحاطته بأقوال المنافقين

قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ۖ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [سورة النساء: ٨١].

سبب نزول الآية:

وقال ابن عباس -رضي الله عنهما[4]- إنها نزلت في ((ناس كانوا يقولون عند رسول الله -

---

[1] **تفسير الشعراوي** (١٩١١/٣).

[2] **في ظلال القرآن**، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة، ط ١٧، -١٤١٢هـ، (٥٣٦/١).

[3] **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ٥، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، (٤٢٠/١).

[4] عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بْن عبد مناف بْن قصي القرشي الهاشمي، يكنى أَبَا الْعَبَّاس، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وَكَانَ ابْن ثلاث عشرة سنة إذ توفي رسول الله وقد دعا له فقال "اللَّهمّ علمه الحكمة وتأويل القرآن، وفي بعض الروايات: اللَّهمّ فقّهه في الدين علمه التأويل"، وكان عالما بالحلال، والحرام، والعربية، والأنساب، ويلقب ترجمان القرآن، وحبر هذه الأمة، (ت: ٦٨هـ)، بالطائف، في أيام ابن الزبيْر، ينظر: **الاستيعاب في معرفة**

صلى الله عليه وسلم– آمنا بالله ورسوله ليأمنوا على دمائهم وأموالهم، فإذا برزوا من عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم– خالفوا إلى غير ما قالوا عنده؛ فعابهم الله، فقال: ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ [سورة النساء: ٨١] يقول: يغيرون ما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–))[١].

وعزا هذا القول ابن الجوزي إلى ابن عباس، وأضاف أنها نزلت في المنافقين[٢].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

ودلالة الكتابة بحسب سياق الآية أن المراد بها "كتابة أعمال المنافقين وأقوالهم التي يخفونها ومن ثم يخبر الله بذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– بما أخفوه، ويحفظه عليهم ليحاسبهم به يوم القيامة"[٣]. وعلى هذا تكون دلالة الكتابة بمعنى الكتابة الحقيقية التي تتضمن الحفظ لأعمالهم وفضحهم ومجازتهم.

معنى الآية:

"ويقولون طاعة، يعني: المنافقين يقولون باللسان للرسول– صلى الله عليه وسلم–: أنا آمنا بك فمرنا فأمرك طاعة، قال النحويون: أي أمرنا وشأننا أن نطيعك، فإذا برزوا، خرجوا، من عندك بَيَّتَ طائفة منهم غير الذي تقول، قال قتادة[٤]، والكلبي: بَيَّتَ، أي: غَيَّرَ وَبَدَّلَ الذي عهد إليهم النبي– صلى الله عليه وسلم–، ويكون التبييت بمعنى التبديل، وقال أبو عبيدة[٥]، والقتيبي[٦]: معناه: قالوا وقدروا ليلًا

=

الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تح: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م (٣/٩٣٣-٩٣٩).

[١] **تفسير الطبري** (٧/٢٤٩).

[٢] **زاد المسير**، لابن الجوزي (١/٣٤٧).

[٣] المصدر السابق (٧/٢٤٧).

[٤] قتادة بن دعامة الحافظ العلامة أبو الخطاب السدوسي البصري الضرير المفسر؛ روى عن أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب قال قتادة: ما قلت لمحدث قط: أعد علي وما سمعت أذناي قط شيئا إلا وعاه قلبي!! وكان قتادة عالم بالتفسير، وباختلاط العلماء، (ت: ١١٨هـ)، ينظر: **تذكرة الحفاظ**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، ط١، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م (١/٩٢-١٠٠).

[٥] أبو عبيدة ابن عبد الله ابن مسعود مشهور بكنيته والأشهر أنه لا اسم له غيرها ويقال اسمه عامر كوفي ثقة روى عن: البراء بن عازب، وأبيه عبد الله بن مسعود، ولم يسمع منه، وعمرو بن الحارث بن المصطلق، والراجح أنه لا يصح سماعه من أبيه، وروى عنه إبراهيم بن يزيد النخعي، وتميم بن سلمة، وأبو ظبيان حصين بن جندب، (ت: ٨٠هـ)، ينظر: **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (ت: ٧٤٢هـ)، تح: بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط ١، ١٤٠٠–١٩٨٠، (١٤/٦١)، وينظر: **تقريب التهذيب**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تح: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد، سوريا، ط١، ١٤٠٦ – ١٩٨٦ (ص: ٦٥٦).

[٦] عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري النحوي اللغوي، نزيل بغداد، قال الخطيب: كان رأسا في العربية واللغة والأخبار، ولي قضاء الدينور، وحدث عن إسحاق بن راهويه، وأبي حاتم السجستاني، وعنه ابنه القاضي أحمد، وقال البيهقي: كان

غير ما أعطوك نهارًا وكل ما قدر بليل فهو تبييت، وقال أبو الحسن الأخفش[1]: تقول العرب للشيء إذا قُدِّرَ بيت، يشبهونه بتقدير بيوت الشعر: والله يكتب، أي: يثبت ويحفظ، ما يبيتون، ما يزورون ويغيرون ويقدرون"[2].

وقال الضحاك[3]: عن ابن عباس: "يعني ما يسرون من النفاق، فأعرض عنهم، يا محمد ولا تعاقبهم، وقيل: لا تخبر بأسمائهم، منع الرسول –صلى الله عليه وسلم– من الإخبار بأسماء المنافقين، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [سورة النساء: ٨١]، أي: اتخذه وكيلا فكفى بالله وكيلا وناصرا"[4].

وقال ابن كثير[5]: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ "أي: يعلمه ويكتبه عليهم بما يأمر به حفظته الكاتبين، الذين هم موكلون بالعباد، يعلمون ما يفعلون، والمعنى في هذا التهديد أنه تعالى أخبر بأنه عالم بما يضمرونه ويسرونه فيما بينهم، وما يتفقون عليه ليلا من مخالفة الرسول وعصيانه، وإن كانوا قد أظهروا له الطاعة والموافقة، وسيجزيهم على ذلك، كما قال تعالى:

=

كراميا، وقال الدارقطني: كان يميل إلى التشبيه واستبعد؛ فإن له مؤلفا في الرد على المشبهة، وقال الحاكم: اجتمعت الأمة على أنه كذاب، وقال الذهبي: ما علمت أحدا اتهم القتيبي في نقله؛ مع أن الخطيب قد وثقه، صنف: إعراب القرآن، معاني القرآن، غريب القرآن، وغيرها (ت: ٢٧٦هـ)، ينظر: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية – لبنان، صيدا، د، ت، ط (٦٤/٢).

[1] علي بن سليمان بن الفضل أبو الحسن الأخفش النحوي، سمع من ثعلب والمبرد وغيرهما، وروى عنه علي بن هارون القرمسيني، وأبو عبيد الله المرزباني وغيرهما، وكان ثقة، (ت:٣١٥هـ) ينظر: **تاريخ بغداد**، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية بيروت، د، ط ت، (٤٣٣/١١).

[2] **إعراب القرآن**، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، (ت: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية– بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ. (٨٢/١).

[3] الضحّاك بن مزاحم الهلاليّ أبو القاسم الخراساني المفسر، يروى تفسيره عنه عبيد بن سليمان، والضحاك خراساني صدوق كثير الإرسال، من الطبقة الخامسة. مات بعد المائة، خرّج أحاديثه الأربعة، ينظر: **طبقات المفسرين للداودي**، (٢٢٢/١).

[4] **تفسير البغوي** (٦٦٦/١).

[5] إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القيسي، نشأ بدمشق وسمع ابن الزراد وإسحاق الآمدي وابن عساكر والمزي وطائفة وأجاز له من مصر الدبوسي، والواني، وغيرهم واشتغل بالحديث مطالعة في متونه ورجاله فجمع التفسير، جمع التاريخ الذي سماه البداية والنهاية، وعمل طبقات الشافعية، وجرح أحاديث أدلة التنبيه، وأحاديث مختصر ابن الحاجب الأصلي، وأخذ عن ابن تيمية ففتن بحبه وامتحن لسببه سارت تصانيفه في البلاد ومنها تفسير القرآن العظيم، (ت: ٧٧٤هـ)، ينظر: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، لابن حجر (٤٤٥/١).

﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة النور: ٤٧].

وقوله: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ أي: اصفح عنهم واحلم عليهم، ولا تؤاخذهم، ولا تكشف أمورهم للناس، ولا تخف منهم أيضًا: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [سورة النساء: ٨١]، أي: كفى به وليًا وناصرًا ومعينًا لمن توكل عليه وأناب إليه"[١].

المضامين المستنبطة من الآية:

قولهم: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ﴾ [سورة النساء: ٨١].

١- "هذا ليس بنافع؛ لأنَّ مَن لم يعتقد الطاعة ليس بمطيع حقيقة؛ لأنَّ الله تعالى لم يحقق طاعتهم بما أظهروه، فلو كانت الطاعة بلا اعتقاد حقيقة لحكم بها لهم، فثبت أن الطاعة بالاعتقاد مع وجودها"[٢].

٢- في الآية "تهديد بإعلامهم أنه لن يفلتهم من عقابه، فلا يغرنهم تأخر العذاب مدة، وقد دل بصيغة المضارع في قوله: ﴿يَكۡتُبُ﴾ على تجدد ذلك، وأنه لا يُضاع منه شيء"[٣].

٣- "لعل النص يصوّر حال الجماعة المسلمة كلها، ويستثني منها هذه الطائفة ذات الشأن الخاص ويكون المعنى: أن المسلمين يقولون: ﴿طَاعَةٞ﴾ بجملتهم، ولكن طائفة منهم، وهي هذه الطائفة المنافقة إذا خرجت بيّت أفرادها غير ما قالوا، وهي صورة ترسم تلك الخلخلة بعينها في الصف المسلم، فإن هؤلاء مندسّون فيه على كل حال، وتصرّفهم على هذا النحو يؤذي الصفّ ويخلخله، والجماعة المسلمة تخوض المعركة في كل ميادينها وبكل قوتها"[٤].

وهذا ما يستخدمه منافقو هذه الأزمان من استخدام الشعارات والخطابات البارقة المزخرفة والمزينة لشعوبهم والتي ينتقونها بعناية كبيرة للتغطية على حقيقة باطلهم، بشتى الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية وغيرها، وإظهارها بصورة محسنة مزينة، وهم في الحقيقة إنما يستخفون ويتلاعبون بعقول الناس ويحملونهم على طاعتهم ولانقياد لأنظمتهم وتشريعاتهم، وقد أثبت لنا الواقع مخالفة أقوالهم لأفعالهم، والله يكتب ما يبتون وسيجازيهم يوم القيامة.

---

[١] **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تح: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، (٣٦٤/٢).

[٢] **تفسير القرطبي** (٢٨٨/٥).

[٣] **التحرير والتنوير تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس: ١٩٨٤ هـ، د، ط (١٣٦/٥).

[٤] **في ظلال القرآن**، لسيد قطب (٧٢٠/٢)

المطلب الثاني

الإيمان والرضى والتسليم بقدر الله واعتقاد الخير فيه

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة التوبة: ٥١].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ "أي قضي من خير أو شر"[١]، وقيل: ﴿مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ " أي: أثبته لمصلحتنا الدنيويةِ أو الأخروية من النُّصرة عليكم، أو الشهادة المؤديةِ إلى النعيم الدائم"[٢]، وقيل: ﴿إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ أي: قدره لنا"[٣].

فالقضاء، ثم الإثبات، ثم القدر، فهذه الثلاثة المعاني التي يدل عليها لفظ الكتابة من سياق الآية.

معنى الآية:

قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ﴾ [سورة التوبة: ٥١] "يقول تعالى ذكره مؤدبًا نبيه محمدًا -صلى الله عليه وسلم-: قل: يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عنك: ﴿لَّن يُصِيبَنَآ﴾ أيها المرتابون في دينهم ﴿إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ في اللوح المحفوظ وقضاه علينا. ﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ يقول: هو ناصرنا على أعدائه، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، فإنهم إن يتوكلوا عليه ولم يرجوا النصر من عند غيره ولم يخافوا شيئًا غيره، يكفهم أمورهم وينصرهم على من بغاهم وكادهم"[٤].

---

[١] **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م (٦٨٥/١).

[٢] **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، د، ط ت، (٧٣/٤).

[٣] **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ)، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة: ١٢٨٥هـ، (٦٢٠/١).

[٤] **تفسير الطبري**، (٤٩٥/١١).

وهكذا يقول الله لرسوله –صلى الله عليه وسلم–: ﴿قُل﴾ "يا أكمل الرسل للمشامتين المنافقين... بربك ﴿لَّن يُصِيبَنَآ﴾ من الحوادث والمصيبات الكائنة في علم الله ولوح قضائه ﴿إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ المقدر للآجال والأرزاق وجميع الأحوال والأفعال، وعموم الحوادث والملمات الجارية في عالمي الغيب والشهادة ﴿لَنَا﴾ وخصصنا به في حضرة علمه ولوح قضائه؛ إذ ﴿هُوَ﴾ بذاته وبمقتضيات أسمائه الكاملة وأوصافه الشاملة ﴿مَوْلَىٰنَا﴾ ومتولى عموم أمورنا يصنع بنا بمقتضى ما قد ثبت في حضرة علمه بلا تبديل ولا تغيير، وبالجملة مالنا إلا الرضا بعموم ما جرى علينا من القضاء لذلك ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ لا على غيره من الوسائل والأسباب العادية؛ إذ مرجع الكل إليه كما ان مبدأه منه أولا وبالذات ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ بتوحيد الذات وسريان سر الوحدة الذاتية الإلهية المتجلية على صفحات الكائنات، وصحائف المكونات"[1].

المضامين المستنبطة من الآية:

١- يستفاد من الآية ثلاثة استنباطات:

الأول: تحقيق العلم بسبقية القضاء والقدر، حتى يتحقق بأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ .

الثاني: تحقق العبد برأفت الله ورحمته، وأنه لا يفعل به إلا ما هو في غاية الكمال في حقه، إن كان جمالا فيقتضي منه الشكر، وإن كان جلالًا فيقتضي منه الصبر.

الثالث: تحقق العبد بخالص التوحيد فإذا علم أن الفاعل هو الله ولا فاعل سواه رضي بفعل حبيبه، كيفما كان[2].

٢- ومما يستفاد من الآية "أن كل ما يصيب المؤمنين هو لصالحهم؛ ولذلك قال: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ فلم يكتب سبحانه الأمور علينا بل لنا، ولنا تفيد الملكية؛ إما: تأديبًا، وإما تكفيرًا عن ذنوب، وإما اتجاهًا إلى الحق بعد زيغ الباطل، وكل ذلك لصالحنا"[3]، فإذا "تحقق المصاب من أن المصيبة بتقدير الله، وإرادته هانت عليه، والمصاب إذا علم، وتحقق أن المصيبة بتقدير الله وإرادته هانت عليه"[4].

---

[1] ينظر: **الفواتح الإلهية**، للنخجواني (٣٠٧/١).

[2] ينظر: **البحر المديد**، للفاسي، (٣٩٠/٢، ٣٩١).

[3] **تفسير الشعراوي**، (٥١٧٩/٩).

[4] **الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود الحنبلي الدمشقي الصالحي (ت: ٨٥٦هـ)، تح: مصطفى عثمان صميدة، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م، (ص: ٤٩٣).

٣- "أشار بهذه الآية إلى أن الله تعالى أعلم عباده أن ما يصيبهم في الدنيا من الشدائد والمحن والضيق والخصب والجدب إن ذلك كله فعل الله تعالى، يفعل من ذلك ما يشاء لعباده ويبتليهم بالخير والشر، وذلك كله مكتوب في اللوح المحفوظ"[١]، والله "هو الذى بيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، فتعلُق القلب بغيره رجاءً وخوفا وتوكلا وعبودية: ضرر محض، لا منفعة فيه، وما يحصل بذلك من المنفعة فهو سبحانه وحده الذى قدرها ويسرها وأوصلها إليك"[٢].

---

[١] **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي (ت: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، د، ت، (١٦٢/٢٣).

[٢] **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تح: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، د، ت، (٤٢/١).

المطلب الثالث

كتابة الملائكة مكر الماكرين واحصائها للأعمال الصالحة

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: كتابة الملائكة مكر الماكرين

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ﴾ [سورة يونس: ٢١].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

يدل لفظ الكتابة في الآية على أن "الكاتبين الكرام يكتبون عليه جميع ما يفعله، ويحصونه عليه، ثم يعرضونه على عالم الغيب والشهادة، فيجازيه على الحقير والجليل والنقير والقطمير"[١].

وذكر الطبري في بيان لفظة الكتابة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ﴾ يقول: "إن حفظتنا الذين نرسلهم إليكم، أيها الناس، يكتبون عليكم ما تمكرون في آياتنا"[٢].

فعلى هذا تكون دلالة لفظ الكتابة في الآية دالةً على أن هناك ملائكة يسجلون ويكتبون أعمال وأفعال أهل المكر من أجل حفظها وتدوينها حتى يجازون عليها يوم القيامة.

معنى الآية:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ﴾ هذه الآية بينت أحوال أهل المكر وتقلبهم عند تغير أحوالهم بين السراء والضراء، والشدة والرخاء، ومعنى ذلك أنهم إذا أصابهم ضرّ ومحنة فرحمناهم وكشفنا عنهم، أحالوا الأمر على غيرنا، وتوهموه مما هو سوانا مثل قولهم: ((مطرنا بنوء كذا))[٣]، ومثل قولهم: إن هذه سعادة نجم أو مساعدة دولة أو تأثير فلك أو خيرات دهر، فهذا كان مكرهم أما مكر الله -سبحانه-

---

[١] **تفسير ابن كثير** (٣/٢٥٨-٢٥٩).

[٢] **تفسير الطبري** (١٢/١٤٥).

[٣] **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء (١/٨٣)، برقم: (٧١)، وقال الإمام ابن حجر: " قوله" "مطرنا بنوء كذا" أي بنجم كذا، والنوء عند العرب سقوط نجم من نجوم المنازل الثمانية والعشرين وهي معينة بالمغرب مع طلوع الفجر وطلوع مقابله من قبل المشرق" ينظر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ، (١/١٩٩).

بهم فهو جزاؤهم على مكرهم...؛ لأنهم إذا لم يرتقوا عن ملاحظة أحوالهم... بشهود الحقّ فمكر الله بهم بأن شتّتهم في تلك الأحوال من غير ترقّ عنها أو وجود زيادة عليها، وهذا مكره بخواصّهم[1].

ومعنى قوله: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةً﴾ مكروا وإن تصبهم سيئة قنطوا، واعلم أن إذاً في قوله: ﴿إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ﴾ تفيد المفاجأة، معناه أنهم في الحال أقدموا على المكر وسارعوا إليه، وسمى الله تكذيبهم بآياته مكرًا؛ لأن المكر عبارة عن صرف الشيء عن وجهه الظاهر بطريق الحيلة، وهؤلاء يحتالون لدفع آيات الله بكل ما يقدرون عليه من إلقاء شبهة أو تخليط في مناظرة أو غير ذلك من الأمور الفاسدة...

أما قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ﴾ فالمعنى أن هؤلاء الكفار لما قابلوا نعمة الله بالمكر، فالله سبحانه وتعالى قابل مكرهم بمكر أشد من ذلك، وهو من وجهين:

الأول: ما أعد لهم يوم القيامة من العذاب الشديد، وفي الدنيا من الفضيحة والخزي والنكال.

والثاني: أن رسل الله يكتبون مكرهم ويحفظونه، وتعرض عليهم ما في بواطنهم الخبيثة يوم القيامة، ويكون ذلك سببًا للفضيحة التامة والخزي والنكال نعوذ بالله تعالى منه[2].

المضامين المستنبطة من الآية:

١- أن المكر ضربان مكر محمود، ومكر مذموم، وعلى هذا ينبغي على الأمة وعلى قادتها وزعمائها ودعاتها أن يستفيدوا من هذا التشريع ومن هذه النصوص التي توحي لهم باستخدام هذا النوع من المكر المحمود حتى يستطيعوا تشتيت العدو الماكر الحاقد على الإسلام والمسلمين.

قال الراغب الأصفهاني: "المكر صرف الغير عما يقصده بحيلة وذلك ضربان:

- **مكر محمود**: وهو أن يتحرى بذلك فعل جميل وعلى ذلك قال: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٥٤].

- **ومكر مذموم**: وهو أن يتحرى به فعل قبيح، قال: ﴿وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئُۖ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾ [سورة فاطر: ٤٣]، ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [سورة الأنفال: ٣٠][3].

---

[1] **لطائف الإشارات**، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، تح: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط ٣، د، ت، (٨٧/٢)، بتصرف يسير.

[2] **مفاتيح الغيب**، للرازي (٢٣٢/١٧). بتصرف

[3] **المفردات في غريب القرآن** للأصفهاني (ص: ٤٧١).

٢- وفي هذه الآية" تحقيق للانتقام وتنبيه على أن ما دبروا في إخفائه لم يخف على الحفظة فضلًا أن يخفى على الله تعالى"[١].

٣- "أن ما يبطل كيد الماكرين من البشر، يكون بإحدى ثلاث وسائل: إما أن يكون بوشاية من أحد الماكرين، وإما أن يكون بقوة التخابر من الغير، وإما أن يكون من رسل العليّ القدير وهم الملائكة الذين يكتبون كل ما يفعله البشر"[٢].

٤- كما في الآية تسلية للدعاة والعلماء ومن يصارعون الباطل، وينشرون المعروف والخير والفلاح للأمة، وإقامة العدل في الأرض، لا ضير ولا حزن عليهم فيما يجدونه من المكر بهم والاستهزاء وغير ذلك فالله يمهل حتى إذا أخذ لم يفلت ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ٢١﴾ [سورة يونس: ٢١].

٥- وفي الآية أيضا دلالة على أن الكفار يعلمون أنهم بدون لله لا شيء، وأنه لا اله إلا هو فله السّلطان الغيبي المطلق، والتّصرف الشّامل في الكون، لكنه الجحود والعناد حملهم على عبادة غيره، ولذلك إذا مسهم الضر يطلبون العون والفرج منه- سبحانه وتعالى- "وتلك هي الطبيعة الإنسانية غير الصابرة، تذوق النعمة فتبطر معيشتها، وتمسها الضراء، فإذا بها في ضعف وخور ويأس، تلجأ إلى الله فإذا أذاقها الرحمة عادت إلى طغيانها"[٣].

٦- كما أنَّ في الآية إثبات صفة المكر لله عز وجل بالمقابلة، وهو من باب المشاكلة اللفظية[٤]، "ولهذا لم يصف الله نفسه به إلا على سبيل المقابلة والتقييد؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرًا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٥٠﴾ [سورة النمل: ٥٠]، ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُ﴾ [سورة الأنفال: ٣٠]، ولا يوصف الله -سبحانه وتعالى- به على الإطلاق؛ فلا يقال: إن الله ماكر! لا

---

[١] **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط ١، – ١٤١٨هـ، (١٠٩/٣).

[٢] **تفسير الشعراوي**، (٥٨٤١/١٠).

[٣] **زهرة التفاسير**، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي، د، ت، (٣٥٤٢/٧).

(٤) المشاكلة: "ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا، أو تقديرا"، ومنه قول الشاعر:

قالوا اقترح شيئًا نجد لك طبخه = قلت اطبخوا لي جبة وقميصا، ينظر: **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تح: محمد إبراهيم عبادة، الناشر: مكتبة الآداب القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م، (ص: ١٠١)، وينظر: **مفتاح العلوم**، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي (ت: ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، (ص: ٤٢٤).

على سبيل الخبر، ولا على سبيل التسمية؛ ذلك لأن هذا المعنى يكون مدحًا في حال ويكون ذمًا في حال؛ فلا يمكن أن نصف الله به على سبيل الإطلاق"[1].

وأثر هذه الصفة يحمل دلالتين:

الدلالة الأولى: دلالة ترهيب وتهديد وإنذار؛ لكل من وقف ضد دين الإسلام وضد الحق ودعاته وأهله وأبرم الخطط والمكر، فالله أسرع مكرًا بهم، والله خير الماكرين بأعداء الإسلام والمسلمين، وأعداء أوليائه، وحملة الخير، والدعوة، وأعداء المصلحين بين الناس، والقائمين بالعدل في الأرض.

الدلالة الثانية: دلالة ترغيب وتسلية للمؤمنين والمصلحين أن كل ما يلقونه في سبيل الحق والدين من الإيذاء والمكر فإن الله معهم يمكر بمن مكر بهم، ومكر الله بهم إبطال مكرهم، ومعاقبتهم في الدنيا قبل الآخرة، بإنزال العذاب عليهم، ورد كيدهم في نحورهم، وإنجاء المؤمنين من شرورهم.

المسألة الثانية: إحصاء الملائكة للأعمال الصالحة.

قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٩٤].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

دل لفظ الكتابة هنا على أن المراد بها كتابة السعي والحسنات، وإثباتها في اللوح المحفوظ، أي: "﴿وَإِنَّا لَهُۥ﴾ للسعي أي الحفظة بأمرنا ﴿كَٰتِبُونَ﴾ في صحيفة عمله فنثيبه به"[2].

﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ "تكتب له حسناته حتى يجزى بها الجنة"[3].

"﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ قيل: مقصود الكتابة الحفظ، أي سنحفظ ما قالوا لنجازيهم[4].

وقيل: كاتبون "أي: مثبتون غير مضيعين لعمله، كقوله: ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [سورة آل عمران: ١٩٥]"[5].

---

[1] **شرح العقيدة الواسطية**، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١ هـ)، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ٦، ١٤٢١ هـ، (٣٣٢/١).

[2] **تفسير النسفي**، (٤٢٠/٢).

[3] **تفسير يحيى بن سلام**، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت: ٢٠٠هـ)، تقديم وتح: هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنا، ط١، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م، (٣٤٠/١).

[4] **تفسير القرطبي** (٢٩٤/٤).

[5] **عمدة الحفاظ**، للسمين الحلبي، (٣٧٢/٣).

معنى الآية:

﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ "أي: منهم الآن ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ﴾ أي: والحال أنه ﴿مُؤۡمِنٞ﴾ أي: يأتي بعمله على الأساس الصحيح ﴿فَلَا كُفۡرَانَ﴾ لِسَعْيِهِ أي: لا جحود ﴿لِسَعۡيِهِۦ﴾ بل يشكر ويثاب عليه.

فقوله تعالى: فلا كفران نفى الجنس ليكون أبلغ من أن يقول: فلا نكفر سعيه ﴿وَإِنَّا لَهُۥ﴾ أي: لسعيه ﴿كَٰتِبُونَ﴾ أي: مثبتون في صحيفة عمله وما أثبتناه فهو غير ضائع فلا يفقد منه شيئًا قل أو جل، ومن المعلوم أنّ قسيمه, وهو من يعمل من السيئات وهو كافر، فلا نقيم له وزنًا، ومن يعمل منها وهو مؤمن فهو تحت مشيئتنا"[1].

فتبين أن الإيمان شرط في قبول الأعمال والإنسان مجزي بعمله إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، قال تعالى: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [سورة فصلت: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٩٤].

أي: "ومن يعمل صالح الأعمال وقلبه ملئ بالإيمان بربه، والتصديق لأنبيائه ورسله، واليقين بيوم الآخر يوم تجزى كل نفس بما عملت من خير أو شر، فإنا لا نضيع سعيه ولا نبخسه حقه، بل نوفيه على عمله الجزاء الأوفى، وإنا مثبتون له ذلك في صحيفة أعماله، لا نترك منه شيئا جلّ أو قل، عظم أو حقر"[2].

المضامين المستنبطة من الآية:

١- في قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ﴾ أي: لذلك السعي كاتِبُونَ مبالغة... فإن المثبت في الصحيفة أبعد من النسيان والغلط كما قيل: قيدوا العلم بالكتابة، ولا سيما إذا كان الكاتب ممن لا يجوز عليه السهو والنسيان[3].

فيها دلالة "ألا يقبل من الأعمال الصالحات إلا بالإيمان؛ لأنه شرط في قبولها، كقوله: ﴿فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ﴾ أي: لشكر سعيه، ويقبل ولا يجحد ولا يكفر، كقوله: ﴿وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران١١٥]"[4].

---

[1] **السراج المنير**، للشربيني، (٥٢٩/٢).

[2] **تفسير المراغي** (٧٠/١٧).

[3] **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ)، تح: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، ط ١، – ١٤١٦هـ، (٥٣/٥).

[4] **تأويلات أهل السنة**، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تح: مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، (٣٧٥/٧).

٢- ويفهم من الآية أنها تحث على المسارعة على الطاعات والقربات والخير والبر والإصلاح والعمل الصالح بأنواعه؛ لأن الإيمان بدون عمل لا ينفع صاحبه فلابد مع الإيمان من العمل فالإيمان عند أهل السنة قول مع الاعتقاد وعمل بالجوارح والأركان[1]، ومن كان هذا حاله فإن الله لا يضيع عمله وسيجد الراحة والسعادة في الدنيا، والجزاء والثواب والأجر في الآخرة.

٣- كما يفهم من الآية أن الأعمال بدون الإيمان لا تنفع صاحبها كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة الكهف: ١٠٣-١٠٥].

---

[1] ينظر: **الشريعة**، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (ت: ٣٦٠هـ)، تح: عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الناشر: دار الوطن، الرياض، السعودية، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، (٦٣٩/٢)، وينظر: **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، للالكائي (٦٣/١).

المطلب الرابع

إنكار البعث والاستهزاء به والكفر بآيات الله وبرسوله

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [سورة مريم: ٧٩].

معنى هذه الآية مرتبط بما قبلها وما بعدها[١]، من الآيات.

سبب نزول الآية:

ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية سببان نذكر أصحهما، وعليه أغلب المفسرين فعن خباب[٢]، قال: ((كنت رجلًا قينا[٣]، وكان لي على العاص بن وائل[٤] دين فأتيته أتقاضاه، فقال لي: لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، قال: قلت: "لن أكفر به حتى تموت، ثم تبعث"، قال: وإني لمبعوث من بعد الموت، فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد، قال: فنزلت: ﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾ [سورة مريم: ٧٧-٧٩]))[٥].

---

[١] قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾ [سورة مريم:٧٧-٨٠].

[٢] خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي، ويقال الخزاعي، أبو عبد الله.، سبي في الجاهليّة فبيع بمكّة، فكان مولى أم أنمار الخزاعية، وقيل غير ذلك، ثم حالف بني زهرة، وكان من السّابقين الأوّلين، أسلم سادس ستة، وهو أول من أظهر إسلامه وعذّب عذابا شديدا لأجل ذلك، وشهد خبّاب بدرا وما بعدها، ونزل الكوفة، (ت: ٣٧هـ)، ينظر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، لابن حجر، (٢/٢٢١-٢٢٢).

[٣] القين: وهو الحداد والصانع، ينظر **لسان العرب** لابن منظور (١٣/٣٥٠).

[٤] العاص بن وائل السهمي من المستهزئين. ولما مات عبد الله بْن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: إن محمدا أبتر، لا يعيش له ذكر. فأنزل الله عز وجل فيه: ﴿إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ الكوثر:٣، مات العاص بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بأشهر، وهو ابن خمس وثمانين سنة. وكان يكنى أبا عمرو، ينظر: **جمل من أنساب الأشراف**، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت: ٢٧٩هـ)، تح: سهيل زكار ورياض الزركلي، الناشر: دار الفكر – بيروت، ط ١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م، (١/١٣٩).

[٥] **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب قوله عز وجل: ﴿ونرثه ما يقول ويأتينا فردا﴾، (٦/٩٤)، برقم: (٤٧٣٥).

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

فمدلول لفظ الكتابة في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ يدور على عدة معانٍ كما ذكرها المفسرون، وهي متقاربة في الدلالة.

أولا: الكتابة بمعنى الأمر: أي: "سنأمر الحفظة بإثباته لنجازيه في الآخرة"[١].

وقيل: أي: "نأمر الملائكة بالكتابة، فهو من إسناد الشيء إلى سببه"[٢].

ثانيا: الكتابة بمعنى الإظهار: أي: "قوله والمراد سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله؛ لأنه كما قال كتب من غير تأخير، قال الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق: ١٨][٣].

ثالثا: الكتابة بمعنى الانتقام: أي "سننتقم منه انتقام من كتبت معصيته" [٤].

ويتضح مما سبق أن دلالة لفظ الكتابة في الآية يدل على ثلاثة معانٍ وهي: **الأمر، الإظهار، الانتقام.**

معنى الآية:

﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ﴾ كلا لا يعطى العاص بن وائل ما يُعطى المؤمنون، فقال سبحانه: ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ يعنى: الحفظة من الملائكة تكتب ما يقول العاص أنه يعطى ما يعطى المؤمنون في الجنة ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ يعنى: الذي لا انقطاع له"[٥].

﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ "أي ليس الأمر كذلك، وما اطلع على الغيب، فعلم صدق ما يقول وحقيقة ما يذكر، ولا اتخذ عند الرحمن عهدا موثّقا بذلك، بل كذب وكفر بربه، وسنظهر له أننا كتبنا قوله، ونزيده من العذاب في جهنم بقيله الكذب والباطل في الدنيا زيادة على كفره بالله وتكذيبه برسوله"[٦].

﴿كَلَّا﴾ "هي لفظة نفي وزجر كلا لم يطلع على الغيب ولم يتخذ عند الله عهدًا، إنما هو يكفر ويسخر؛ فالتهديد إذن والوعيد هو اللائق لتأديب الكافرين السافرين ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ

---

[١] **التَّفْسِيرُ البَسِيْط** للواحدي (٣١٧/١٤).

[٢] **تفسير حدائق الروح والريحان**، للهرري (٢٤٢/١٧).

[٣] **تفسير النسفي**، (٣٥٠/٢).

[٤] **فتح القدير**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط ١، – ١٤١٤ هـ، (٤١٢/٣).

[٥] **تفسير مقاتل**، (٣٢١/٢).

[٦] **تفسير المراغي**، (٨١/١٦).

وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ سنكتب ما يقول فنسجله عليه ليوم الحساب فلا يُنسى ولا يقبل المغالطة، وهو تعبير تصويري للتهديد، وإلا فالمغالطة مستحيلة، وعلم الله لا تَنِد عنه صغيرة ولا كبيرة ونمد له من العذاب مدًا، فنزيده منه ونطيله عليه ولا نقطعه عنه!

ويستمر السياق في التهديد على طريقة التصوير أيضًا: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ [سورة مريم: ٨٠] ، أي: نأخذ ما يخلفه مما يتحدث عنه من مال وولد، كما يفعل الوارث بعد موت المورث ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ لا مال معه، ولا ولد، ولا نصير له ولا سند، مجردًا ضعيفًا وحيدًا فريدًا.

فهل رأيت إلى هذا الذي كفر بآيات الله وهو يحيل على يوم لا يملك فيه شيئًا يوم يجرد من كل ما يملك في هذه الدنيا إنه نموذج من نماذج الكفار. نموذج الكفر والادعاء والاستهتار"[1].

ولما كان منطق هؤلاء الكفار قائم مقام الاستهتار والاستهزاء والسخرية ناسب أن يستخدم الله معهم أسلوب الردع والزجر فقد "هدد الله تعالى هذا الكافر وأمثاله بقوله: ﴿كَلَّا﴾ ، وهي كلمة ردع وزجر لما قبلها، وتأكيد لما بعدها، ولم ترد في النصف الأول من القرآن، وهذه في سورة مريم أول ذكر لها.

وقوله: ﴿سَنَكْتُبُ﴾ مع أنه يكتب من غير تأخير، لمحض التهديد من المتوعد، والمعنى: ليس الأمر كما قال العاص بن وائل وأمثاله، بل سنحفظ ما يقول، فنجازيه في الآخرة، ونزيده عذابا فوق عذابه، ونمده بالعذاب مدا في الدار الآخرة على قوله ذلك، وكفره بالله في الدنيا، مكان ما يطلبه من المدد بالمال والولد، جزاء عمله، وسوف نميته ونرثه المال والولد الذي يقول: إنه يؤتاه، ونسلبه إياه، ويأتينا يوم القيامة فردًا، لا مال له ولا ولد، مما كان معه في الدنيا لأنا نسلبه منه، فكيف يطمع أن نعطيه مالا وولدا؟ وهذا المعنى مقرر في آيات أخرى، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [سورة الأنعام: ٩٤]"[2].

إثبات حقيقة البعث والجزاء والحساب:

لقد أثبتت هذه الآية حقيقة البعث والجزاء والرد على منكريه، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾ [سورة مريم: ٧٩].

هذا رد على العاص بن وائل الذي أنكر وجود البعث والجزاء بكل جحود وسخرية فرد الله عليه بأسلوب الاثبات، كما رد الله على غيره من منكري البعث والجزاء في أكثر من موضع من القرآن،

---

[1] **في ظلال القرآن**، لسيد قطب (٤/٢٣٢٠).

[2] **التفسير الوسيط** وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر – دمشق، ط١ – ١٤٢٢ هـ، (٢/١٥٠٠).

ومنها ما يلي: قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [سورة يس: ٧٨] " أي: مجادل في الخصومة مبين للحجة، يريد بذلك أنه صار بعد أن لم يكن شيئًا خصيمًا مبينًا، فاحتمل ذلك أمرين: أحدهما: أن ينبهه بذلك على نعمه عليه. الثاني: أن يدله بذلك على إحياء الموتى كما ابتدأه بعد أن لم يكن شيئًا"[١].

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [سورة يس: ٧٧-٧٩].

وقال هاهنا: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾ [سورة مريم: ٦٦] يستدل، تعالى، بالبداءة على الإعادة، يعني أنه تعالى قد خلق الإنسان ولم يك شيئًا، أفلا يعيده وقد صار شيئًا، كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [سورة الروم: ٢٧]"[٢].

وفي الحديث الصحيح: ((يقول الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له أن يكذبني، وآذاني ابن آدم ولم يكن له أن يؤذيني، أما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من آخره، وأما أذاه إياي فقوله: إن لي ولدا، وأنا الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد))[٣].

المضامين المستنبطة من الآية:

١- "الكشف عن نفسيات الكافرين لاسيما إذا كانوا أقوياء بمال أو ولد أو سلطان؛ فإنهم يعيشون على الغطرسة منه والاستعلاء وتجاهل الفقراء واحتقارهم"[٤].

٢- "في هذا الأسلوب -القرآني- إيذان للمؤمن أن يحتقر صفات المشركين وأعمالهم وإيقاظ انفعال الاشمئزاز من باطلهم وكفرهم حتى تصبح هذه الانفعالات عاطفة متأصلة في نفس المتعلم عن طريق التكرار، وهذه طريقة تلقين غير مباشر تكون أشد تأثيرًا في بعض الأحيان من التلقين المباشر"[٥].

٣- فوز أهل الإيمان وخسران أتباع الشيطان، فقد أوضحت الآية القرآنية الفريقين يوم القيامة، فأهل الإيمان الذين آمنو بالله وحده وعبدوه وصدقوا بالبعث والنشور والجزاء والحساب منعمون في

---

[١] **النكت والعيون**، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (٣٣/٥).

[٢] **تفسير ابن كثير** (٢٥١/٥).

[٣] **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (وامرأته حمالة الحطب)، (١٨٠/٦)، برقم: (٤٩٧٤).

[٤] **أيسر التفاسير**، للجزائري (٣٣٠/٣).

[٥] **تقويم أساليب تعليم القرآن الكريم وعلومه في وسائل الإعلام**، محمد حسن محمد سبتان، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، د، ت، (ص: ٢٦).

الجنة مكرمون غاية التكريم، حتى إن أهل النار ممن كانوا في الدنيا من أهل النعم الذين جحدوا بالبعث والنشور واستهزأوا بآيات الله يستنجدون أهل الجنة ويتذللون لهم من أجل شربة ماء فلا يجاب لهم؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ [سورة الأعراف: ٤٤].

المطلب الخامس

كتابة أعمال الإنسان في حياته وآثاره الخالدة بعد موته

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة يس: ١٢].

سبب نزول الآية:

عن أبي سعيد الخدري[١] -رضي الله عنه- قال: كان بنو سلمة في ناحية من المدينة فأرادوا أن ينتقلوا إلى قرب المسجد؛ فأنزل الله عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ﴾ [سورة يس: ١٢]، فدعاهم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقال: ((إنه يكتب آثاركم)) ثم قرأ عليهم الآية فتركوا[٢].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

دل لفظ الكتابة في الآية على معنى **الحفظ، والضبط، والإحصاء.**

قال السمرقندي: في قوله: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟﴾ "يعني: نحفظ ما عملوا وما أسلفوا من أعمالهم"[٣].

وقال أبو حيان: "ونكتب ما قدموا، كناية عن المجازاة: أي: ونحصي، فعبر عن إحاطة علمه بأعمالهم بالكتابة التي تضبط بها الأشياء"[٤].

كما أن الكتابة هنا عامة تتناول جميع الأشياء، وأنها محفوظة في علم الله الأزلي وعليه؛ فإن "المراد من كتابة ذلك مجازاتهم عليه، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، ثم ذكر أن الضبط والإحصاء

---

(١) أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر، وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخدري، وكان من الحفاظ لحديث رسول الله المكثرين، ومن العلماء الفضلاء العقلاء، وعن أبي سعيد قال: عرضت على رسول الله يوم الخندق، وأنا ابن ثلاث عشرة، فجعل أبي يأخذ بيدي ويقول: يا رسول الله، إنه عبل العظام، فردني، وقال: وخرجت مع رسول الله في غزوة بني المصطلق، قال الواقدي: وهو ابن خمس عشرة سنة، (ت: ٧٤هـ)، ينظر: **أسد الغابة**، لابن الأثير (١٣٨/٦).

(٢) **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)، فضائل سورة يس، (٤٦٥/٢)، برقم: (٣٦٠٤)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١ – ١٩٩٠، وقال: "هذا حديث صحيح عجيب من حديث الثوري» وقد أخرج مسلم بعض هذا المعنى من حديث حميد عن أنس".

(٣) **بحر العلوم** للسمرقندي (١١١/٣).

(٤) **البحر المحيط** لأبي حيان (٥٢/٩).

لا يخص أعمال بني آدم، بل يتناول جميع الأشياء، فقال: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [سورة يس: ١٢]؛ أي: وبينّا كل شيء، وحفظناه في أصل عظيم يؤتم به, ويُتبع ولا يخالف، وهو علمنا الأزلي القديم الذي لا يغادر صغيرةً ولا كبيرة إلا أحصاها"، ونحو الآية قوله: ﴿قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ٥٢﴾ [سورة طه: ٥٢]، وقوله: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٞ ٥٣﴾ [سورة القمر: ٥٢-٥٣][1].

معنى الآية:

﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ أي: "الأموات بالبعث أو الجهال بالهداية ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ﴾ أي: ما اسلفوا من الأعمال الصالحة والطالحة ﴿وَءَاثَٰرَهُمۡ﴾ الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه, والسيئة كإشاعة باطل وتأسيس ظلم ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ يعني: اللوح المحفوظ"[2].

"ونكتب ما قدموا ما أسلفوا من الأعمال الصالحات وغيرها، وآثارهم ما تركوه بعدهم من آثار حسنة، كعلم علموه، أو كتاب صنفوه، أو حبس حبسوه، أو رباط أو مسجد صنعوه، أو آثار سيئة، كبدعة ابتدعوها في الإسلام، ونحو قوله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [سورة القيامة: ١٣]، أي: قدم من عمله وأخر من آثاره.

وفي الحديث: أن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: ((من سن في الإسلام سنة حسنة، فعمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، فعمل بها بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء))[3].

وعن أنس[4] -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((سبع يجري للعبد أجرهن من بعد موته، وهو في قبره: من علم علمًا، أو كرى نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلاً، أو

---

(١) **تفسير حدائق الروح والريحان**، للهرري (٢٣/٤٨٩).

(٢) **تفسير البيضاوي** (٤/٢٦٤).

(٣) **صحيح مسلم**، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، من حديث جرير بن عبدالله، (٤/٢٠٥٩)، برقم: (١٠١٧).

(٤) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصاري، خادم رسول الله كان يتسمى به، ويفتخر بذلك، ودعا له النبي-صلى الله عليه وسلم-، وخرج أنس مع رسول الله إلى بدر وهو غلام يخدمه، وكان عمره لما قدم رسول الله المدينة- مهاجرا عشر سنين، وقيل غير ذلك، اختلف في وقت وفاته، ومبلغ عمره، فقيل: توفي سنة إحدى وتسعين، وقيل غير ذلك، ينظر: **أسد الغابة**، لابن الأثير (١/٢٩٤).

بنى مسجدًا، أو ورث مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته))[1].

وهذا كله داخل في قوله تعالى: ﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ قيل: آثارهم: خطاهم إلى المساجد، للجمعة وغيرها، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ﴾ حفظناه، أو عددناه وبيناه ﴿فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ كتاب مبين اللوح المحفوظ؛ لأنه أصل الكتب وإمامها، وقيل: صحف الأعمال.

والمراد: تهديد العباد بإحصاء ما صنعوه من خير أو شر، لينزجروا عن معاصي الله، وينهضوا إلى طاعة الله[2].

المضامين المستنبطة من الآية:

١- في الآية "قدم إحياء الموتى على الكتابة ولم يقل نكتب ما قدموا ونحييهم لأجل الجزاء؛ لأن الكتابة ليست مقصودة بالذات وإنما المقصود الأصلي هو الإحياء للجزاء ولو لم يكن إحياء وإعادة لم يكن للكتابة أثر.

وأيضًا قوله ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ دال على العظمة والجبروت، والإحياء أمر عظيم لا يقدر عليه أحد إلا الله سبحانه بخلاف الكتابة، فقدّم الأمر العظيم ليناسب اللفظ الدال على العظمة. وأيضا أراد أن يرتب على كتابة الأعمال قوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ ومعناه: أن قبل هذه الكتابة كتابة أخرى؛ فإن الله كتب عليهم أنهم سيفعلون كذا، ثم إذا فعلوا كتب عليهم أنهم فعلوه، وفيه: بيان أن الكتابة مقرونة بالحفظ والإحصاء، فرب مكتوب غير محفوظ ولا مضبوط، وفيه تعميم بعد تخصيص كأنه قال: ليست الكتابة مختصة بأفعالهم وإنما هي لكل شيء.

---

(١) **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق المعروف بالبزار، (ت: ٢٩٢هـ)، مسند أنس ابن مالك، (٤٨٣/١٣)، برقم: (٧٢٨٩)، تح: المحفوظ الرحمن زين الله، وأخرون، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط١، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)، وينظر: **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، (٣٤٣/٢)، الناشر: السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م، ثم صورتها عدة دور منها، دار الكتاب العربي بيروت، وغيرها (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تح)، وقال البيهقي " محمد بن عبيد الله العرزمي ضعيف غير أنه قد تقدمه ما يشهد لبعضه، والله أعلم، وهما لا يخالفان الحديث الصحيح، فقد قال فيه إلا من صدقة جارية وهي تجمع ما وردا به من الزيادة، ينظر: **شعب الإيمان**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، باب الاختيار في صدقة التطوع، (١٢٢/٥)، برقم: (٣١٧٥)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف: على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣م.

(٢) **البحر المديد**، للفاسي (٥٦٠/٤).

والإمام اللوح؛ لأن الملائكة يتبعون ما كتب فيه من أجل ورزق وإماتة وإحياء، والمبين هو المظهر للأمور، والفارق بين أحوال الخلق، وحيث بين أن الإنذار لا ينفع من أضله الله وكتب عليه أنه لا يؤمن"[1].

٢- وفي الآية "عرض لبعض مظاهر قدرة الله، وهى من الغيب الذي آمن به المؤمنون، والذي كان مضلّة للمشركين، وهو الحياة بعد الموت، والحساب والجزاء، وفى هذا التقرير يتأكد للمؤمنين إيمانهم بهذا الغيب، وتزداد خشيتهم لله"[2].

٣- ينبغي أن يحرص المسلم على أن يترك عملاً صالحًا وأثرًا طيبًا بعد موته يُقتدى به وهذه الأعمال كثيرة: ومنها نشر العلم، والخير، والدعوة، وغيرها، وكذا استغلال مواقع التواصل الاجتماعي؛ لأنها تحتل جزءًا كبيرًا في حياة الناس فيحرص من خلالها أن يترك آثارًا طيبةً تزيد في حسناته وترفع من درجاته، وهذا مصداقًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٨٤]، كما أنه يزاحم فيها أهل الشر الذين ينشرون الفساد والضلال والأفكار الهدامة والإلحاد والتشكيك في الدين والشبهات والمحرمات وغيرها وقد حذر الله من ذلك فقال: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [سورة النحل: ٢٥].

---

(١) **تفسير النيسابوري** (٥٢٧/٥).

(٢) **التفسير القرآني للقرآن**، لعبد الكريم الخطيب (٩١١/١١).

المطلب السادس

إحاطة اللّه وعلمه بكيد المشركين وسرِّهم ونجواهم

قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٨٠].

سبب نزول الآية:

عن محمد بن كعب القرظي[١] قال: ((بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها، قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي، فقال واحد من الثلاثة: أترون الله يسمع كلامنا؟ فقال الأول: إذا جهرتم سمع، وإذا أسررتم لم يسمع قال الثاني: إن كان يسمع إذا أعلنتم، فإنه يسمع إذا أسررتم قال: فنزلت: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة الزخرف: ٨٠]"[٢].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

قوله تعالى: ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ "أي: يكتبون عليهم جميع أحوالهم"[٣]، يعني: ما تناجوا به مع بعضهم البعض وما أعلنوه، ففي كل الأحوال الحفظة تكتب عليهم، والله يعلم ذلك.

﴿وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ "أي: يكتبون بما يعملون ويقولون"[٤].

﴿وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ "أي: الحفظة عندهم يكتبون عليهم"[٥].

فالمقصود بالكتابة في الآية الحفظ، والإحصاء كما تقدم في بيان الآيات السابقة.

---

[١] محمد بن كعب أبو حمزة القرظي مدني سمع ابن عباس وزيد بن أرقم، قال أبو نعيم مات سنة ثمان ومائة، سمع منه الحكم بن عتيبة وابن عجلان، ويقال محمد بن كعب بن سليم وكان ابوه ممن لم ينبت يوم قريظة فترك، ينظر: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ)، **(التاريخ الكبير)**، دائرة المعارف العثمانية، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، حيدر آباد – الدكن، د، ط ت، (٢١٦/١).

[٢] **لباب النقول في أسباب النزول**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان (ص: ١٧٣).

[٣] **اللباب في علوم الكتاب**، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت /لبنان، ط١، ١٤١٩هـ –١٩٩٨م، (٢٩٦/١٧).

[٤] **تفسير القرآن**، للسمعاني (١١٨/٥).

[٥] **تفسير القرطبي** (١١٩/١٦).

معنى الآية:

قوله تعالى: "﴿أَمْ يَحْسَبُونَ﴾ يعني: بل يظنون، ويقال: أيظنون، والميم صلة ﴿أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ اللفظ لفظ الاستفهام والمراد به التوبيخ ومعناه إن الله تعالى يعلم سرهم ونجواهم.

قال ابن عباس –رضي الله عنهما–: "الذين يتناجون خلف الكعبة، يعني: الذين يقولون: إن الله لا يسمع مقالتنا، قال الله تعالى بلى يعني: نسمع ذلك ورسلنا لديهم يكتبون مقالتهم"[1].

وقال الطبري: في بيان قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ [سورة الزخرف: ٨٠] "يقول: أم يظن هؤلاء المشركون بالله أنا لا نسمع ما أخفوا عن الناس من منطقهم، وتشاوروا بينهم وتناجوا به دون غيرهم، فلا نعاقبهم عليه لخفائه علينا وقوله: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ أي: بل نحن نعلم ما تناجوا به بينهم، وأخفوه عن الناس من سر كلامهم، وحفظتنا لديهم، يعني عندهم يكتبون ما نطقوا به من منطق، وتكلموا به من كلامهم"[2].

المضامين المستنبطة من الآية:

١– ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ "هذا وعيد وتنبيه منه لهم؛ يخبر أن رسله يكتبون ما يسترون ويخفون من المنكر وغيره؛ ليكونوا أبدا على حذر ويقظة"[3].

٢– عبر بالكتابة بصيغة المضارع؛ لأنه كلما تجدد منهم النجوى، أو الإسرار فإن الحفظة تكتب عليهم "فالكتابة أوقع في التهديد؛ لأن من علم أن أعماله محصاة مكتوبة تجنب ما يخاف عاقبته"[4].

---

[1] **بحر العلوم**، للسمرقندي (٢٥٢/٣).

[2] **تفسير الطبري** (٦٥٢/٢٠).

[3] **تفسير الماتريدي** (١٨٩/٩).

[4] **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، (ت: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د، ط ت، (٤٨٧/١٧).

المطلب السابع

إنكار فِريَة وزعم الكفار بأن الملائكة إناث

قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [سورة الزخرف: ١٩] .

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

قال الله تعالى: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [سورة الزخرف: ١٩]، أي: تكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة، ويسألون عنها يوم القيامة"[١]، ومن يقوم بهذه الكتابة هم الملائكة ﴿سَتُكْتَبُ﴾ أي: "بكتابة من وكلناهم بهم من الحفظة الذين لا يعصوننا فنحن نَقدِرهُم على جميع ما نأمرهم به"[٢].

قال السمرقندي: في قوله تعالى: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ يعني: ستكتب مقالتهم ﴿وَيُسْـَٔلُونَ﴾ عنه يوم القيامة"[٣]، "أي: ستكتب هذه الشهادة التي شهدوا بها في الدنيا في ديوان أعمالهم، ويسألون عنها يوم القيامة ليأتوا ببرهان على صحتها، ولن يجدوا لذلك سبيلا[٤]. "ستكتب... أي: ستحفظ في علمنا لا نهمله؛ لأنه مقالة عظيمة بحَيْثُ تكاد السَّمَاوَات يتفطرن منها؛ لأنها كفر عظيم بعد كفر جسيم، والسين للتأكيد[٥].

معنى الآية:

"المراد بقوله: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ﴾ أي: حكموا به، ثم قال: ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾، وهذا استفهام على سبيل الإنكار يعني: أنهم لم يشهدوا خلقهم، وهذا مما لا سبيل إلى معرفته بالدلائل العقلية، وأما الدلائل النقلية فكلها مفرعة على إثبات النبوّة، وهؤلاء الكفار منكرون للنبوة، فلا سبيل لهم إلى إثبات هذا المطلوب بالدلائل النقلية، فثبت أنهم ذكروا هذه الدعوى من غير أن عرفوه لا بضرورة، ولا

---

[١] **التسهيل لعلوم التنزيل** لابن جزي (٢/٢٥٦).

[٢] **السراج المنير**، للشربيني (٣/٥٥٨).

[٣] **بحر العلوم**، للسمرقندي (٣/٢٤٢).

[٤] **تفسير المراغي** (٢٥/٧٨).

[٥] **حاشيتا القونوي وابن التمجيد عَلَى البيضاوي**، عصام الدين إسْمَاعيل بن مُحَمَّد الحنفي (صاحب: «حاشية القونوي» على البيضاوي). (ت: ١١٩٥هـ) مصلح الدين بن إبْرَاهيم الرومي الحنفي (صاحب: حاشية ابن التمجيد» على البيضاوي). (٨٨٠ هـ)، تح: عبد الله محمود مُحَمَّد عمر، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، سنة النشر: ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، (١٧/٢٩٩).

بدليل ثم إنه تعالى هددهم فقال: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾، وهذا يدل على أن القول بغير دليل منكر، وأن التقليد يوجب الذم العظيم والعقاب الشديد"[1].

ومما ورد في معنى قوله: ﴿سَتُكْتَبُ﴾ "أي: بكتابة من وكلناهم بهم من الحفظة الذين لا يعصوننا، فنحن نقدرهم على جميع ما نأمرهم به ﴿شَهَٰدَتُهُمْ﴾ أي: قولهم فيهم أنهم إناث الذي لا ينبغي أن يكون إلا بعد تمام المشاهدة، فهو قول ركيك سخيف ضعيف كما أشار إليه التأنيث ﴿وَيُسْـَٔلُونَ﴾ عنها عند الرجوع إلينا"[2].

اشتملت الآية على أربع مسائل:

وهذه المسائل لخصها صاحب تفسير أضواء البيان فقال:

الأولى: "أن الكفار افتروا على الملائكة أنهم إناث، زاعمين أنهم بنات الله"[3].

وقد اعتمدوا في هذا القول والافتراء على الظن، والهوى، فقال الله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [سورة النجم: ٢٣]، والرسول -صلى الله عليه وسلم- حذر من الاعتماد على ذلك كما في الصحيحين قال: ((إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث))[4].

الثانية: "أنه وبخهم على ذلك توبيخا شديدًا وأنكر عليهم ذلك في قوله: أشهدوا خلقهم يعني هل حضروا خلق الله لهم فعاينوهم إناثًا"[5].

قد تكرر إنكار الله وتوبيخه لهم في أكثر من موضع من القرآن ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [سورة الصافات: ١٥١-١٥٢]، وقال تعالى: ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾ [سورة الصافات: ١٥٠].

الثالثة: "أن شهادتهم الكاذبة بذلك ستكتب عليهم"[6]، حتى ينالوا جزاءهم وعقابهم يوم القيامة.

---

[1] **مفاتيح الغيب**، للرازي (٦٢٥/٢٧).

[2] **السراج المنير**، للشربيني (٥٥٨/٣).

[3] **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، (٩٢/٧).

[4] **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الحجرات:١٢]، (١٩/٨)، برقم: (٦٠٦٦)، **وصحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن، والتجسس، والتنافس، والتناجش ونحوها، (١٩٨٥/٤)، برقم: (٢٥٦٣).

[5] **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٩٢/٧)**.

[6] المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.

الرابعة: "أنهم يسألون عنها يوم القيامة"[1]، ودل على هذا قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة العنكبوت: ١٣].

المضامين المستنبطة من الآية:

١- تُبين الآية أن التقليد، والقول بغير برهان، منكر لا يغنى من الحق شيئا، وهذا هو التقليد المذموم الذي كان عليه المشركون، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٠]، والتقليد والتبعية مما أصيبت به الأمة في كثير من مجالات الحياة سواءً في السياسية، والقوانين والسلوك، والأفكار الغربية، وغيرها حتى ضعفت الأمة أمام عدوها، وعدو دينها، وهو سبب الخذلان والاستضعاف والفرقة التي تمر بها الأمة اليوم، وقد حذر النبي -صلى الله عليه وسلم- من ذلك، فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((لتتبعن سنَنَ من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا: يا رسول الله: اليهود، والنصارى قال: فمن؟))[2].

٢- في قوله تعالى: ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ [سورة الزخرف: ١٩] دليل على أن الرؤية تعتبر شهادة وبرهان وحجة، وبعدمها تعتبر زور وكذب وبهتان يحاسب عليها العبد ويتحمل تبعات ذلك.

٣- في الآية أن العقيدة، ومنها الغيبيات لابد أن تكون قائمة على الدليل من الكتاب، والسنة الصحيحة الصريحة، وأن الخوض والكلام في أمور الغيب بدون علم أو دليل كفر، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة النمل: ٦٥]، "وقد استقر عند الناس كلهم أن أمور الغيب لا يعلمها إلا الله أو من أطلع من عباده على بعضها"[3].

٤- كما تبين الآية أن الغلبة والقوة والسلطان في الكون لله وحده، وهو المستحق للعبادة وحده؛ ولذلك قال: توبيخًا وإذلالاً لهؤلاء أشهدوا خلقهم، وقال: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ [سورة الصافات: ١٥٠]، فهم لم يشهدوا خلقهم، ولا خلق السموات والأرض، كما قال الله: ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [سورة الكهف: ٥١].

---

[1] **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٩٢/٧)**.

[2] **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (١٦٩/٤)، برقم: (٣٤٥٦).

[3] **التحرير والتنوير**، لابن عاشور (١٠٣/٢٩).

المطلب الثامن

إبطال الله دعاوى المشركين وزعمهم علم الغيب

قال الله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [سورة الطور: ٤١].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

قال ابن عباس: "معناه أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه، ويخبرون الناس به"[١].

وقال القتيبي: ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾، أي: يحكمون"[٢].

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ أي: "أعندهم اللوح المحفوظ الذي فيه الغيوب كلها فهم يكتبون منه ما يجادلونك به، ويزعمون أنهم على كفرهم أفضل منزلة عند الله من أهل الإيمان به"[٣].

"أم عندهم الغيب: أي اللوح المحفوظ، فهم يكتبون: أي يثبتون ذلك للناس شرعا"[٤].

وبهذا دل لفظ الكتابة على ثلاثة معانٍ: الكتابة الحقيقية، والحكم، والإثبات.

معنى الآية:

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ يعني ألهم "لوح القضاء فَهُمْ يَكْتُبُونَ منه جميع ما يحكمون به من الإقرار والإنكار وبه يستغنون عن تعليمك وارشادك لذلك يكذبونك وينكرون عليك، وهم وإن بالغوا في العناد والإنكار"[٥]﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾، أي: "يجدّدون للناس كتابة جميع ما غاب عنهم مما ينفعهم ويضرّهم حتى يحسدوك فيما شاركتهم به منه فيردوه لذلك، وينسبوك إلى ما نسبوك إليه مما يعلم كل أحد نزاهتك عنه وبعدك منه... واللام في الغيب لا للعهد ولا لتعريف الجنس بل المراد نوع الغيب"[٦].

---

[١] **تفسير البغوي** (٢٩٦/٤).

[٢] **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، (ت: ٤٢٧هـ)، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق، نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، (١٣٢/٩).

[٣] **مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي)**، أبو محمد مكي بن أبي طالب بن محمد بن مختار القيسي القيرواني القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ)، تح: جامعة الشارقة، بإشراف، الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية– جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨ م، (٧٦٥٣/١٢).

[٤] **البحر المحيط** لأبي حيان (٥٧٦/٩).

[٥] **الفواتح الإلهية**، للنخجواني (٤٣٨/٢).

[٦] **السراج المنير**، للشربيني (١١٩/٤).

"والمعنى أعندهم علم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا: لا نبعث وإن بعثنا لا نعذب؟ وقيل: المعنى فهم يكتبون للناس سننا وشرائع من عبادة الأصنام وتسييب السوائب[1]، وشبه ذلك"[2]، وهذه الآية هي نفس الآية التي وردة في سورة القلم ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [سورة الطور: ٤١]، وهي أيضا تبين تحدي الله للمشركين وتخرصاتهم، وعنادهم، وجدالهم، وزعمهم علم الغيب.

المضامين المستنبطة من الآية:

١- ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [سورة الطور: ٤١] "إشارةٌ إلى العلم والتحقق والاعتقاد"[3].

٢- تبين الآية أن المشركين "يعلمون أن ليس عندهم الغيب، وأن ليس لهم به علم، وأن ليس لهم عليه قدرة، وأنهم لا يكتبون في سجل الغيب شيئا، إنما يكتب الله فيه ما يريد، مما يقدره للعبيد"[4]؛ لكنه العناد حملهم على عدم الانصياع لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولما جاء به من عند ربه، وهكذا هو الكبر والتقليد الأعمى والتبعية.

٣- ويفهم من الآية أن الكبر والعناد والتبعية سبب لعدم قبول الحق والانصياع له قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة النمل: ١٤].

---

[1] السوائب: هي تسييب الدواب وإرسالها تذهب وتجيء كيف شاءت، ينظر: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تح: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، د، ط (٤٣١/٢).

[2] **التسهيل لعلوم التنزيل**، لابن جزي (٣١٤/٢).

[3] **عمدة الحفاظ**، للسمين الحلبي (٣٧٣/٣).

[4] **في ظلال القرآن**، لسيد قطب (٣٤٠١/٦).

المطلب التاسع
وجوب الإيمان بأعمال الملائكة المتعلقة بالإنسان

قال تعالى: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [سورة الانفطار: ١١].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ "يعني: أنكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم أعمالكم لتجازوا بها"[١].

﴿كِرَامًا﴾ أي: "على الله تعالى﴿كَاتِبِينَ﴾ أي: لهذه الأعمال في الصحف كما تكتب الشهود منكم العهود؛ ليقع الجزاء على غاية التحرير"[٢]، وقال البغوي: "يكتبون أقوالكم وأعمالكم"[٣].

فعلى هذا تكون دلالة لفظ الكتابة في الآية، هي الكتابة الحقيقية، وتدوينها في الصحف كما سبق بيان ذلك في معرض بعض الآية السابقة.

معنى الآية:

﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ تتحدث الآية: "أن هؤُلاءِ الملائكة الحفظة كرام لدينا ذوو محاسن كبيرة، ومنزلة عظيمة، ومكانة رفيعة، وهم يكتبون كل ما يصدر منكم، ويسطرونه في صحائف أَعمالكم، وفي تعظيم الله لهؤُلاءِ الكرام الكاتبين بالثناءِ عليهم تعظيم، وتفخيم لأَمر الجزاء، وأَنه عند الله من جلائل الأَعمال؛ حيث استعمل هؤُلاءِ الكرام لديه –تعالى– في ضبط وإِحصاء ما يحاسب الناس عليه"[٤].

مسألة: ما يلزمنا نحو الملائكة:

أولاً: الإيمان بهم جملة وتفصيلا.

والإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان الذي لا يصح إيمان العبد إلا به، كما دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة، وهي كثيرة، وسأكتفي بدليلين فقط؛ لما هو معلوم من الدين بالضرورة.

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ . . .﴾ [سورة البقرة: ١٧٧].

الدليل الثاني: وهو ما ورد في السنة كما جاء في الحديث الصحيح من حديث أبي هريرة– رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كان يومًا بارزًا للناس، إذ أتاه رجل يمشي،

---

[١] **تفسير النسفي** (٦١١/١١)

[٢] **السراج المنير**، للشربيني، (٤٩٨/٤).

[٣] **تفسير البغوي** (٢٢٠/٥).

[٤] **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط١، (١٣٩٣هـ-١٩٧٣م) - (١٤١٤هـ- ١٩٩٣م)، (١٨١٨/١٠).

فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: ((الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر...))[1].

ثانيًا: حبهم ومولاتهم جميعًا دون التفريق بينهم.

فالمسلم يحب جميع الملائكة دون أن يفرق بين أحدٍ منهم، ومن عادى واحدًا منهم فقد عادى الله وجميع الملائكة، وقد زعم اليهود أن لهم أولياء، وأعداء من الملائكة فزعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم، فحذرهم الله، وبين كذبهم فقال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [سورة البقرة: ٩٧-٩٨].

ثالثًا: إكرامهم وعدم أذيتهم.

قال ابن كثير: "وإن عليكم لملائكة حفظة كرامًا فلا تقابلوهم بالقبائح فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم"[2], إذا لابد من إكرام الملائكة وعدم أذيتهم, ويتمثل في الآتي:

١- **إكرامهم**: فقد ورد في إكرامهم، عن ابن عباس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إن الله ينهاكم عن التعري، فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات: الغائط، والجنابة، والغسل، فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه، أو بخذمة حائط[3]، أو ببعيره))[4].

٢- **عدم أذيتهم**: فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم كالروائح الكريهة والأقذار والأوساخ.

ومن ذلك ما رواه مسلم من حديث جابر بن عبد الله[5] -رضي الله عنهما- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((من أكل من هذه البقلة، الثوم، وقال مرة: من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن

---

[1] **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾، (١١٥/٦)، برقم: (٤٧٧٧).

[2] **تفسير ابن كثير** (٣٤٤/٨).

[3] قطعة شقت من الجدار، ينظر: لسان العرب، باب الخاء (١٦٩/١٢) بتصرف.

[4] **مسند البزار**، مسند ابن عباس، (٩٠/١١)، برقم: (٤٨٠٠)، قال الهيثمي: "رواه البزار وقال: لا يروى عن ابن عباس إلا من هذا الوجه، وجعفر بن سليمان لين" ينظر: **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، تح: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، (٢٦٨/١)، برقم: (١٤٥١).

[5] جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السّلميّ- يكنى أبا عبد الله، وأبا عبد الرحمن، وأبا محمد، أحد المكثرين عن النبيّ -صلّى الله عليه وسلم-، وروى عنه جماعة من الصّحابة، وله ولأبيه صحبة، وفي الصّحيح عنه أنه كان مع من شهد العقبة، قال: غزا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم))[1]، وهذه أهم النقاط السابقة مع أدلتها باختصار فيما يجب على المسلم نحو الملائكة.

المضامين المستنبطة من الآية:

١- في الآية "تقرير عقيدة كتابة الأعمال حسنها وسيئها والحساب بمقتضاها يوم القيامة بواسطة ملكين كريمين على كل إنسان مكلف للحديث الصحيح: ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار...))[2][3].

٢- "هناك من الملائكة من يسجل على الإنسان أعماله، وكل قول يقوله، وكل فعل يفعله، بل ويكتبون هذه الأفعال، ومنهم من يحفظه من الشياطين، ومنهم من ينفذ أقدار الله في الأرض، هؤلاء جميعًا لهم مهمة مع الإنسان"[4].

٣- في هذه الآية دلالة على "أنّ الشاهد لا يشهد إلا بعد العلم لوصف الملائكة بكونهم حافظين كرامًا كاتبين"[5].

٤- "وصفهم الله بذلك لشرفهم في أبناء جنسهم، ونخلةٌ كريمةٌ، أي طيبة الحمل أو كثيرته، وشاةٌ غزيرة اللبن"[6].

٥- وفي الآية دلالة على تنزيه الملائكة من الزيادة أو النقص، فقد بلغوا الغاية في الأمانة فلما "أثبت لهم الحفظ، نزههم عن الزيادة، والنقص فقال: ﴿كِرَامًا﴾ أي: فهم في غاية ما يكونون من طهارة الأخلاق والعفة والأمانة، ولما أثبت الحفظ والأمانة بغاية الإبانة، وكان الحافظ ربما ينسى قال: ﴿كاتبين﴾ أي هم راسخون في وصف الكتابة يكتبونها في الصحف"[7]؛ ليكون الجزاء والحساب في غاية العدل.

٦- كما يدل "تعظيم الكتبة بكونهم كرامًا عند الله لتعظيم الجزاء"[8]، والحساب يوم القيامة.

=

إحدى وعشرين غزوة بنفسه شهدت منها تسع عشرة غزوة، وعن قتادة قال: كان آخر أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- موتا بالمدينة جابر، (ت: ٧٨)، وقيل غير ذلك، ينظر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، لابن حجر (٥٤٧/١).

[1] **صحيح مسلم** كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهي من أكل ثوما أو بصلا أو كراثا أو نحوها، (٣٩٥/١)، برقم: (٥٦٤).

[2] **صحيح البخاري** كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، (١٣٣/٤)، برقم: (٣٢٢٣)، من حديث أبي هريرة.

[3] **أيسر التفاسير**، للجزئري (٥٣١/٥).

[4] **تفسير الشعراوي** (٢٥٥/١).

[5] **السراج المنير**، للشربيني، (٤٩٨/٤).

[6] **عمدة الحفاظ**، للسمين الحلبي، (٣٨٩/٣).

[7] **نظم الدرر** للبقاعي، (٣٠٥/٢١- ٣٠٦).

[8] **تفسير البيضاوي**، (٢٩٣/٥)

المبحث الثاني

استعمال لفظ الكتابة في سياق آيات الاتباع والابتداع

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: خطورة التكسب بتحريف كلام الله والمتاجرة بالدين.

المطلب الثاني: اتباع الحواريين لعيسى-عليه السلام- وتصديقهم به.

المطلب الثالث: اتباع بعض النصارى للنبي- صلى الله عليه وسلم- وإيمانهم به.

المطلب الرابع: بيان صفة النبي-صلى الله عليه وسلم- في التوراة والإنجيل.

المطلب الخامس: وجوب الاتباع والتسليم لله في كل الأمور والرضا بذلك.

المطلب السادس: التشدد والابتداع في رهبانية النصارى.

المطلب الأول

خطورة التكسب بتحريف كلام الله والمتاجرة بالدين

قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة البقرة: ٧٩].

سبب نزول الآية:

قال الواحدي: "نزلت في الذين غيّروا صفة النبي -صلى الله عليه وسلم- وبدلوا نعته"(١).

"وعن ابن عباس -رضي الله عنهما-: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾، قال: نزلت في أهل الكتاب"(٢).

"وذلك أن أحبار اليهود خافوا ذهاب مأكلتهم، وزوال رياستهم حين قدم النبي -صلى الله عليه وسلم- المدينة، فاحتالوا في تعويق اليهود عن الإيمان به، فعمدوا إلى صفته في التوراة، وكان صفته فيها: حسن الوجه، حسن الشعر، أكحل العينين، ربعة(٣)، فغيروها، وكتبوا مكانها: طوال أزرق سبط الشعر(٤)، فإذا سألهم سفلتهم عن صفته، قرؤوا ما كتبوا، فيجدونه مخالفا لصفته، فيكذبونه قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ يعني: كتبوا بأنفسهم اختراعا من تغير نعته - صلى الله عليه وسلم-"(٥).

---

(١) **أسباب النزول**، للواحدي (ص: ١١٧).

(٢) **خلق أفعال العباد للبخاري**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (: ٢٥٦هـ)، باب ما جاء في قول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [سورة المائدة:٦٧]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "بلغوا عني ولو آية، وليبلغ الشاهد الغائب، وإن الوحي قد انقطع"، تح: عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار المعارف السعودية - الرياض، د، ت (ص: ٩٢).

(٣) ربعة بين الطول والقصر، ينظر: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لابن الأثير، (١٩٠/٢).

(٤) (سبط الشعر) بفتح، فكسر، أو بفتحتين: أي مسترسله، وهو ضد الجعودة، ينظر: **شرح سنن النسائي المسمى ذخيرة العقبى في شرح المجتبى**، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي الناشر: دار المعراج الدولية للنشر جـ ١-٥- دار آل بروم للنشر والتوزيع جـ ٦ -٤٠، ط١، جـ (١٣-٤٠) /١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م (١٣٩/٢٩).

(٥) **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (ت: ٩٢٧هـ)، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر إصدارات وزارة الأوقاف والشُؤُون الإسلاميّة -إدارَة الشؤُون الإسلاميّة، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، (١٣٧/١).

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ﴾ يعني: "يغيرون صفة محمد رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي كتابهم"[1].

قال الإمام الماتريدي[2]: ﴿يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ﴾ يحتمل وجهين:

الوجه الأول: يكتبون: يمحون نعته، وصفته عن التوراة.

الوجه الثاني: يكتبون: يُحْدثون كتابة، على خلاف نعته وصفته، ثم يقولون: هذا من عند الله؛ فتكون الكتابة في هذا إثباتًا كقوله: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ [سورة المجادلة: ٢٢]، والمثبت: هو ذلك الملحق ليظن أنه كذلك في الأَصل"[3].

والنبي -صلى الله عليه وسلم- حذر من البدع والإحداث في الدين فقال: ((... وشر الأمور محدثاتها))[4]، وفي السنن قال: ((... وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار))[5]،وفي رواية أخرى: ((وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة))[6].

ومما ورد في دلالة اللفظ في قوله تعالى: و﴿يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ﴾ أن "فيه تنبيهٌ أنهم يختلقونه ويفتعلونه"[7].

---

[1] **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تح وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، وآخرون، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، (١٦٣/١).

[2] محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، إمام الهدى، له كتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب رد أوائل الأدلة للكعبي، وكتاب بيان وهم المعتزلة، وكتاب تأويلات القرآن، مات بسمرقند سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، ينظر: **تاج التراجم**، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطْلُوبغا السودوني الجمالي الحنفي (ت: ٨٧٩هـ)، تح: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م، (ص: ٢٥٠).

[3] **تفسير الماتريدي** (٥٠٠/١).

[4] **صحيح البخاري** كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، (٩٢/٩)، برقم: (٧٢٧٧).

[5] **المجتبى من السنن، السنن الصغرى للنسائي**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، باب كيفية الخطبة، (١٨٨/٣)، برقم: (١٥٧٨)، (ت: ٣٠٣هـ)، تح: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط ٢، ١٤٠٦ – ١٩٨٦، وصححه الألباني ينظر: **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، د، ط ت، (٢٨٧/١)، برقم: (١٣٥٢).

[6] **سنن ابن ماجه**، باب اجتناب البدع والجدل، (١٨/١)، برقم: (٤٦).

[7] **عمدة الحفاظ**، للسمين الحلبي، (٣٧٤/٣).

وقال الأصفهاني في بيان قوله –تعالى–: ﴿مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: "مما اخترعوه من تلقائهم"[1].

فلفظ الكتابة من خلال كلام المفسرين يدل على التغير، والمحو، والإحداث والإثبات، والاختلاق والافتعال، والاختراع، وكلها تدل على تجرأ اليهود، ومن سار على شاكلتهم في الابتداع في الدين، والكذب على الله باسم الله وباسم الدين، وهذا بهتان وجرم عظيم نسأل الله العافية.

معنى الآية:

﴿فَوَيْلٌ﴾ معنى ذلك: "تحسر وهلك، ومنهم من قال: إنه واد أو جبل في جهنم فمعناه: أن فيها موضعًا يتبوأ فيه من جعل له الويل، ولعله سماه بذلك مجازًا، وهو في الأصل مصدر لا فعل له، وإنما ساغ الابتداء به نكرة لأنه دعاء.

﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: المحرفين، ولعله أراد به ما كتبوه من التأويلات الزائغة.

﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ تأكيد كقولك: كتبته بيميني ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ كي يحصلوا به عرضًا من أعراض الدنيا، فإنه وإن جعل قليل بالنسبة إلى ما استوجبوه من العقاب الدائم.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ يعني: المحرف، ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ يريد به الرشى"[2]؛ لهذا كان التهديد بالويل مناسبًا لفعلهم القبيح.

"﴿فَوَيْلٌ﴾ شدة عذاب ﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي: مختلقًا من عندهم ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا وهم اليهود غيروا صفة النبي في التوراة وآية الرجم وغيرهما، وكتبوها على خلاف ما أنزل ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ من المختلق ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ من الرشا جمع رشوة"[3].

---

[1] **تفسير الراغب الأصفهاني**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تح: محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب – جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، (٢٤٠/١).

[2] **تفسير البيضاوي** (٩٠/١).

[3] **تفسير الجلالين**، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، الناشر: دار الحديث – القاهرة، ط ١، د، ت، (ص: ١٦).

المضامين المستنبطة من الآية:

١- في الآية "حثٌّ علَى تعلّم العلم؛ حتّى لا يحتاج الإنسان إلى تقليد غيره، وأن يقرأ شيئًا لا يكون له به معرفة"[١].

٢- "ذكر الأيدي في قوله: ﴿يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ مع أن الكتابة لا تكون إلا بالأيدي؛ لدفع توهم المجاز بأن المراد أملوه لغيرهم، وللتأكيد بأن الكتابة باشروها بأنفسهم"[٢].

٣- "أن الجزاء بحسب العمل؛ لقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ ، وكذلك إثبات العلل، والأسباب؛ لقوله تعالى: ﴿مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ؛ فإن هذا بيان لعلة الوعيد؛ وهذه غير الفائدة السابقة؛ لأن الفائدة السابقة جزاؤهم بقدر ما كتبوا؛ وهذه بيان السبب" [٣].

٤- بيان تضليل اليهود للناس وخداعهم لهم باسم الدين والعلم مع بيان جرأتهم في الكذب على الناس، وعلى الله مع علمهم بأنهم يكذبون، فناسب معه تكرار تهديد الله لهم بكلمة الويل المذكورة في الآية، فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم، ثم فويل لهم مما كتبت أيديهم، ثم وويل لهم مما يكسبون؛ فالويل أولاً على الكتابة، والويل ثانيًا على الكذب، والويل ثالثًا على الكسب من هذه الكتابة.

٥- وفي الآية تحذير للمسلم من سلوك اليهود في التضليل والقول على الله والرسول لأجل الأغراض الدنيوية الفاسدة من منصب، أو، جاه، أو مالٍ، أو، غير ذلك، مما نشاهده اليوم في واقع المسلمين من تسابق وهرولة في الإعراض عن الشريعة الإسلامية واستبدالها بالقوانين الغربية الوضعية تحت مسميات عديدة منها حرية الرأي، والتعبير، وحقوق الإنسان، وحقوق المرأة، وغيرها، وهناك من يشرعن لها، ويلوي نصوص الشريعة الإسلامية لينال بها أغراضًا دنيوية، أو يتهمها بأن فيها جور مثل ادعائهم أن الإسلام هضم المرأة في الميراث، وحرمها حقوق الحرية في الحياة مع أن الإسلام أعطى كل ذي حق حقه حتى من لم يكونوا مسلمين.

٦- "نبه الله تعالى بالآية على التحذير من تغيير أحكامه، وتبديل آياته، وكتمان الحق عن أهله، وترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر طمعًا في عرض من أعراض الدنيا"[٤].

---

[١] **التفسير البَسِيط** للوحدي (٣/٩٠).

[٢] **تفسير حدائق الروح والريحان**، للهرري (٢/٥٥).

[٣] **تفسير الفاتحة والبقرة**، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٣هـ، (١/٢٥٩).

[٤] **تفسير الراغب الأصفهاني** (١/٢٤٠).

المطلب الثاني

إتباع الحواريين لعيسى- عليه السلام- وتصديقهم به

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٥٣].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

ذكر مقاتل في بيان مدلول لفظ الكتابة لقوله تعالى: ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ "يقول: فاجعلنا مع الصادقين"[١].

أي: "اكتبنا مع الذين شهدوا للأنبياءِ بالتصديق، وحقيقة الشاهد أنه الذي يبين تصحيح دعوى المدعي، فالمعنى صدقنا بالله واعترفنا بصحة ما جاءَ به النبي -صلى الله عليه وسلم- وثَبَتْنَا، فاكتبنا مع من فعل فعلنا"[٢].

وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال في قوله: ((فاكتبنا مع الشاهدين، قال: أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-))[٣]، قال السمرقندي يعني: اجعلنا مع من أسلم قبلنا وشهدوا بوحدانيتك[٤].

وعلى هذا يكون مدلول لفظ الكتابة من خلال السياق بمعنى الجعل.

معنى الآية:

قال الطبري في بيان معنى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٥٣]: "هذا خبر من الله -عز وجل- عن الحواريين أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾، أي: صدقنا ﴿بِمَآ أَنزَلْتَ﴾ يعني: بما أنزلت على نبيك عيسى من كتابك ﴿وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾ يعني بذلك: صرنا أتباع عيسى على دينك الذي ابتعثته به، وأعوانه على الحق الذي أرسلته به إلى عبادك، وقوله: ﴿ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، يقول: فأثبت أسماءنا مع أسماء الذين شهدوا بالحق، وأقروا لك بالتوحيد، وصدقوا رسلك، واتبعوا أمرك ونهيك، فاجعلنا في

---

[١] **تفسير مقاتل** (١٧١/١).

[٢] **معاني القرآن وإعرابه**، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تح: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، (٤١٨/١).

[٣] **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، تح: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط ٣، – ١٤١٩ هـ، (٦٦٠/٢).

[٤] **بحر العلوم**، للسمرقندي (٢٤٢/١).

عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به من كرامتك، وأحلنا محلهم، ولا تجعلنا ممن كفر بك، وصد عن سبيلك، وخالف أمرك ونهيك، يعرف خلقه جل ثناؤه بذلك سبيل الذين رضي أقوالهم وأفعالهم، ليحتذوا طريقهم، ويتبعوا منهاجهم، فيصلوا إلى مثل الذي وصلوا إليه من درجات كرامته، ويكذب بذلك الذين انتحلوا من الملل غير الحنيفية المسلمة في دعواهم على أنبياء الله أنهم كانوا على غيرها"[1].

ومما جاء في بيان معنى الآية: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ﴾ "أي: في كتبك، تضرع إلى الله –سبحانه– وعرض لحالهم عليه بعد عرضها على الرسول مبالغة في إظهار أمرهم ﴿وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾ أي: عيسى وحذف المتعلق مشعر بالتعميم أي اتبعناه في كل ما يأتي به ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ يعني شهدوا: لك بالوحدانية ولرسولك بالرسالة فأثبت أسماءنا بأسمائهم، واجعلنا في عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به، أو اكتبنا مع الأنبياء الذين يشهدون لأممهم، وقيل: مع محمد –صلى الله عليه وآله وسلم– وأمته أنهم شهدوا له أنه قد بلغ، وشهدوا للرسل أنهم قد بلغوا[2].

المضامين المستنبطة من الآية:

١– في الآية دلالة ولفتة "أن عهد المؤمن هو ابتداء مع ربه، ومتى قام الرسول بإبلاغه فقد انتهت مهمة الرسول من ناحية الاعتقاد وانعقدت البيعة مع الله، فهي باقية في عنق المؤمن بعد الرسول، وفيه كذلك تعهد لله باتباع الرسول. فليس الأمر مجرد عقيدة في الضمير ولكنة اتباع لمنهج، والاقتداء فيه بالرسول"[3].

٢– ويفهم من سياق الآية مشروعية التوسل في الدعاء بالعمل الصالح دل على ذلك سياق الآية: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٥٣]، ويؤكد هذا قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [سورة آل عمران: ١٦].

ومن ذلك ما تضمنته قصة أصحاب الغار؛ فإن كلاً منهم ذكر عملاً صالحًا تقرب به إلى الله ابتغاء وجهه –سبحانه– فتوسل بعمله الصالح، فاستجاب الله له[4].

---

(١) **تفسير الطبري** (٤٤٥/٥).

(٢) **فتحُ البيان في مقاصد القرآن** أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، (٢٤٥/٢).

(٣) **في ظلال القرآن**، لسيد قطب (٤٠٢/١).

(٤) ينظر: **صحيح البخاري** كتاب الإجارة، باب من استأجر أجيرا فترك الأجير أجره، فعمل فيه المستأجر فزاد، أو من عمل في مال غيره، فاستفضل (٩١/١)، برقم: (٢٢٧٢).

٣- وفي الآية دلالة على أهمية الاقتداء والاتباع لمنهج الرسل فيما اتفقت عليه جميع الشرائع السماوية من توحيد الله بالعبادة والإخلاص والخضوع والاستسلام له وحده لا شريك له، والاقتداء والاتباع بمحمد -صلى الله عليه وسلم- هو خير سبيل لقبول الأعمال فقبولها لابد، وأن يكون أولاً بالإخلاص لله، والانقياد والاتباع لخاتم الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليه- قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة البينة: ٥]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [سورة آل عمران: ٣١].

٤- يوضح لنا سياق الآية ﴿فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ ، أهمية اختيار الجليس الصالح وحب الصالحين والدعاء والتضرع لله بأن تكون منهم، وفي زمرتهم لذلك يجب على الانسان أن يختار من الجلساء أصلحهم؛ لأن الجليس الصالح يصلحك ويعينك إلى كل خير، والجليس السوء يعديك شره، وربما أفسدك، وأفسد عليك دينك وأخلاقك؛ ولذلك تؤكد لنا كثير من النصوص الواردة في ذلك ومنها ما ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ((إنما مثل الجليس الصالح، والجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة))[1].

والواقع اليوم خير شاهد على هذا، فكم أفسد أصدقاء قرناءهم؟ وقد تعد الأمر إلى الاستهزاء والسخرية بمن يجالس الصالحين، بل تعد الأمر إلى التحذير من مجالستهم، وهذا مما أصيبت به الأمة اليوم، ومع خطورة هذا إلا أنه يجب على الصالحين، والمصلحين بصورة عامة ألا ييأسوا، وأن يتسمروا بالسير في هذا الطريق؛ لأن فيه النجاة والفوز في الدارين.

---

[1] **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء، من حديث أبي موسى- رضي الله-، (٢٠٢٦/٤)، برقم: (٢٦٢٨).

المطلب الثالث

اتباع بعض النصارى للنبي- صلى الله عليه وسلم- وإيمانهم به

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [سورة المائدة: ٨٣].

سبب نزول الآية:

عن عبد الله بن الزبير[١]، قال: ((نزلت هذه الآية في النجاشي[٢]، وأصحابه ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾))[٣].

قال ابن عباس: ((يريد النجاشي وأصحابه لما قرأ عليهم جعفر بن أبي طالب[٤] سورة مريم)) قال: فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة ﴿مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾.

يعني: الذي نزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- وهو الحق ﴿يَقُولُونَ﴾ يعني: القسيسين

---

[١] عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة القرشي، وأمه أسماء بنت أبي بكر بن أبي قحافة ذات النطاقين، هو أول مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة للمهاجرين، فحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمرة لاكها في فيه، ثم حنكه بها، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة، خرج على بني أمية، فحاصره الحجاج، وقتل في مكة سنة (٧٣هـ) ينظر: **أسد الغابة**، لابن الأثير (٢٤١/٣).

[٢] أصحمة النجاشي ملك الحبشة أسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأحسن إلى المسلمين الذين هاجروا إلى أرضه، وأخباره معهم ومع كفار قريش الذين طلبوا منه أن يسلم إليهم المسلمين مشهورة، وتوفي ببلاده قبل فتح مكة، وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وكبر عليه أربعا، ينظر: **أسد الغابة**، لابن الأثير (٢٥٢/١).

[٣] **السنن الكبرى**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، كتاب التفسير، قولُه تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ [سورة المائدة:٨٣]، (٨٤/١٠)، برقم: (١١٠٨٣)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م، قال الهيثمي: (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عثمان بن بحر العقيلي وهو ثقة) ينظر: **مجمع الزوائد** (٤١٩/٩)، برقم: (١٦١٨٥).

[٤] جعفر بن أبي طالب واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأخو علي بن أبي طالب لأبويه، وهو جعفر الطيار، وكان أشبه الناس برسول الله -صلى الله عليه وسلم- خلقا وخلقا، أسلم بعد إسلام أخيه علي بقليل، له هجرتان: هجرة إلى الحبشة، وهجرة إلى المدينة، قال أبو هريرة: ما احتذى النعال، ولا ركب المطايا، ولا ركب الكور بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أفضل من جعفر، وأخذ الراية في غزوة مؤتة فقاتل بها حتى قتل شهيدا وقطعت يداه فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما في الجنة، ينظر: **أسد الغابة**، لابن الأثير (٥٤١/١).

والرهبان[1]، الذين سمعوا القرآن من جعفر عند النجاشي ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ يعني: بالقرآن وشهدنا أنه حق وصدق ﴿فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ يعني: مع أمة محمد –صلى الله عليه وسلم– الذين يشهدون بالحق[2].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

يدل لفظ الكتاب في قوله: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣﴾ [سورة المائدة: ٨٣] أي: أثبتنا معهم وأدخلنا في زمرتهم[3] أي: اجعلنا من الذين شهدوا النبي واستمعوا إليه وآمنوا به[4].

وبهذا يدل لفظ الكتابة على معنيين: وهما أثبتنا، واجعلنا.

معنى الآية:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾ [سورة المائدة: ٨٣].

" تفيض من الدمع: تمتلئ من الدمع حتى تفيض؛ لأن الفيض أن يمتلئ الإناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء، أو قُصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها، أي: تسيل من أجل البكاء، ومن في مما عرفوا لابتداء الغاية على أن فيض الدمع ابتدأ، ونشأ من معرفة الحق، وكان من أجله ومن في من الحق لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا أو للتبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم، فكيف إذا عرفوا كله وقرؤوا القرآن وأحاطوا بالسنَة؟

﴿يَقُولُونَ﴾ حال من ضمير الفاعل في عرفوا، ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ بمحمد –صلى الله عليه وسلم– والمراد إنشاء الإيمان والدخول فيه، ﴿فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ مع أمة محمد عليه السلام الذين هم شهداء على سائر الأمم يوم القيامة، لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك؛ لأنهم وجدوا ذكرهم في الإنجيل كذلك"[5].

---

[1] الراهب، واحد الرهبان وهو عابد النصارى، ينظر: **المغرب في ترتيب المعرب**، ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، برهان الدين الخوارزمي (ت: ٦١٠هـ)، تح: محمود فاخوري وعبدالحميد مختار الناشر: مكتبة أسامة بن زيد – حلب، ط ١، ١٩٧٩م، (٣٥٥/١).

[2] **لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت:٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، (٧١/٢).

[3] **عمدة الحفاظ**، للسمين الحلبي (٣٧٢/٣).

[4] **التفسير القرآني للقرآن**، لعبد الكريم لخطيب (٨/٤).

[5] **تفسير النسفي** (٤٦٩/١)

ومما جاء في بيان معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ﴾ يعني: "أتباع النصرانية ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ أي: الذي ثبتت رسالته بالمعجز، فكان من شأنه أن يبلغ ما أنزل إليه للناس ﴿أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ﴾ ولما كان البكاء سببًا لامتلاء العين بالدمع، وكان الامتلاء سببًا للفيض الذي حقيقته السيلان بعد الامتلاء، عبر بالمسبب عن السبب فقال: ﴿تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾ أصله: يفيض دمعها ثم تفيض هي دمعًا، فهو من أنواع التمييز، ثم علل الفيض بقوله: ﴿مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ أي: وليس لهم غرض دنيوي يمنعهم عن قبوله، ثم بين حالهم في مقالهم بقوله: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ﴾ أي: أيها المحسن إلينا ﴿ءَامَنَّا﴾ أي: بما سمعنا فاكتبنا.

ولما كان من شأن الشاهد إحضار القلب وإلقاء السمع والقيام التام بما يتلى عليه ويندب إليه قال: ﴿مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أي: أمة محمد –صلى الله عليه وسلم– الذين يشهدون على الأمم يوم القيامة؛ فإن تقويتنا على ذلك ليست إلا إليك"[1].

وقيل: أي: "آمنا بهذا الكتاب النازل من عندك على محمد، وبمن أنزلته عليه فاكتبنا مع الشاهدين على الناس يوم القيامة من أمة محمد، أو مع الشاهدين، بأنه حق، أو مع الشاهدين بصدق محمد وأنه رسولك إلى الناس"[2].

المضامين المستنبطة من الآية:

١– دلت الآية "على أن من صفات المؤمنين الصادقين، أنهم يتأثرون تأثرا عظيما عند سماعهم لكلام الله –تعالى–، تأثرًا يجعلهم يبكون ويسجدون وتقشعر جلودهم، وتوجل قلوبهم، وتلين نفوسهم"[3].

٢– بينت هذه الآية: "الرحمة والرأفة التي أثمرتها دعوة المسيح في أتباع المسيح المؤمنين حقّا كان هذا الدمع الذي يفيض من تلك القلوب الرقيقة التي تذوب حنانا، ورحمة، كلما استقبلت نسمة من أنسام الحق، وكلما طاف بها طائف من آياته"[4].

٣– لقد تدرجت الآية في بيان موقف أهل الإيمان من الحق فهم لا "يكتفون بهذا الفيض من الدمع ولا يقفون موقفًا سلبيًا من الحق الذي تأثروا به... إنما هم يتقدمون ليتخذوا من هذا الحق موقفا إيجابيا صريحا موقف القبول لهذا الحق، والإيمان به، والإذعان لسلطانه، وإعلان هذا الإيمان

---

[1] **نظم الدرر**، للبقاعي (٦/٢٧٠).

[2] **فتح القدير**، للشوكاني (٢/٧٨).

[3] **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط١، أجزاء ٨ – ١٤: فبراير ١٩٩٨م، (٩/٥٠).

[4] **التفسير القرآني للقرآن**، لعبد الكريم الخطيب (١٤/٧٩٧).

وهذا الإذعان في لهجة قوية عميقة صريحة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ إنهم أولا يعلنون لربهم إيمانهم بهذا الحق الذي عرفوه. ثم يدعونه -سبحانه- أن يضمهم إلى قائمة الشاهدين لهذا الحق وأن يسلكهم في مسلك ...، الأمة المسلمة التي تشهد لهذا الدين بأنه الحق، وتؤدي هذه الشهادة بلسانها وبعملها وبحركتها لإقرار هذا الحق في حياة البشر؛ فهؤلاء الشاهدون الجدد ينضمون إلى هذه الأمة المسلمة ويشهدون ربهم على إيمانهم بالحق الذي تتبعه هذه الأمة ويدعونه -سبحانه- أن يكتبهم في سجلها[1].

٤- ويستفاد من هذه الآية أن يكون حال المؤمن، وهو يتلوا أو يسمع كلام ربه حال الخاشع المتدبر الخاضع، بل ويستحب البكاء والتباكي لمن لم يقدر على البكاء، وهو شأن العارفين، وشعار عباد الله الصالحين، كما قال الله عز وجل: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾ [سورة الإسراء: ١٠٩] ، وكقولهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [سورة الأنفال: ٢] وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الزمر: ٢٣].

فبهذا تستنير القلوب، وتنشرح الصدور، وهو المقصود، والمطلوب، والقرآن ربيع المؤمنين، كما أن الغيث ربيع الأرض.

---

[1] **ينظر: في ظلال القرآن**، لسيد قطب (٢/٩٦٢-٩٦٣).

المطلب الرابع

بيان صفة النبي -صلى الله عليه وسلم- في التوراة والإنجيل

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾ [سورة الأعراف: ١٥٧].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ﴾ أي: "في التوراة والإنجيل يجدون نعته ونبوته وأمره"[١].

﴿يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا﴾، أي: "يجدون اسمه وصفته، فحذف المضاف؛ لأن الشخص لا يكتب"[٢].

"يجدونه مكتوبًا عندهم أي: في صفته ونعته"[٣].

فمن خلال تتبع كتب المفسرين وجدت أن عبارتهم كلها تبين أن أهل الكتاب يجدون وصفه ونعته، واسمه، ونبوته- صلى الله عليه وسلم- في التوراة، والإنجيل.

وبهذا يكون المدلول، والمقصود والمفهوم من لفظ الكتابة في الآية الكتابة الحقيقية المثبتة في كتبهم قبل التحريف والتغيير والتبديل.

معنى الآية:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾ "على دينه، يعني: محمدًا -صلى الله عليه وسلم- يعني: بالأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، ولا يخطه بيمينه، الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف، يعني: بالإيمان، وينهاهم عن المنكر، يعني: الشرك، ويحل لهم الطيبات يعني: ما حرم الله من اللحوم، والشحوم، ويحرم عليهم محمد -صلى الله عليه وسلم- الخبائث يعني: الميتة، والدم، ولحم الخنزي، ويضع محمد -صلى الله عليه وسلم- عنهم إصرهم، يعني: مما عهد الله إليهم من تحريم اللحوم، والشحوم، ولحم كل ذي ظفر، و يضع محمد -صلى الله عليه وسلم- الأغلال التي كانت عليهم واجبة من التغليظ والتشديد، الذي منه أن يقتل قاتل

---

[١] **الوسيط** للواحدي (٤١٦/٢).

[٢] **غرائب التفسير وعجائب التأويل**، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت: نحو ٥٠٥هـ)، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية -جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت، د، ت، (٤٢٤/١).

[٣] **التفسير البسيط** للواحدي(٥٠/٨).

العمد البتة، ولا يعفى عنه، ولا يؤخذ منه الدية، ويقتل قاتل الخطأ، إلا أن يشاء ولى المقتول فيعفو عنه ونحوه، ولو صدقوا النبي –صلى الله عليه وسلم– لوضع ذلك كله عنهم، ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ﴾ يعني: صدقوا النبي–صلى الله عليه وسلم–﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ يعني: أعانوه على أمره، ﴿وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ﴾ يعني: القرآن الذي أنزل معه فمن فعل هذا فـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾"[1].

ومما ورد في بيان معنى قوله تعالى: "﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ أي: محمدًا –صلى الله عليه وسلم–، ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ أي: باسمه وصفته ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾، أي: مما حرم في شرعهم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾، أي: من الميتة ونحوها.

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ أي: ثقلهم، ﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ﴾ الشدائد، ﴿ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: كقتل النفس من التوبة، وقطع أثر النجاسة.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ﴾ منهم، ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ أي: ووقروه، ﴿وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ أي: القرآن، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾"[2].

المضامين المستنبطة من الآية:

١– في الآية دلالة "على أن نعته وصحة نبوته مكتوب في التوراة والإنجيل؛ لأن ذلك لو لم يكن مكتوبا لكان ذكر هذا الكلام من أعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول قوله؛ لأن الإصرار على الكذب والبهتان من أعظم النفرات، والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله، وينفر الناس عن قبول قوله: فلما قال ذلك دل هذا على أن ذلك النعت كان مذكورا في التوراة والإنجيل وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته"[3].

٢– وفي الآية دلالة على أن أهل الكتاب من يهود ونصارى كانوا من وقت بعث محمد –صلى الله عليه وسلم– قسمين:

قسم آمن واهتدى: وهم الذين آمنوا بالنبي –صلى الله عليه وسلم– واتبعوه.

وقسم كابر وعاند فغوى: وهم الذين يعرفون صفة النبي–صلى الله عليه وسلم– ولكنهم حرفوا وبدلوا وكذبوا؛ ولذلك قال الله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٤٦].

---

[1] **تفسير مقاتل** (٤١٨/١).

[2] **تفسير الجلالين** (ص: ٢١٧).

[3] **مفاتيح الغيب**، للرازي، (٣٨١/١٥).

أي: أن فريقًا من أهل الكتاب الذين يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ليكتمون ذكر النبي –صلى الله عليه وسلم– مع أنهم أعلنوا قبل مبعثه أنهم يعرفونه، وكانوا يستفتحون به على المشركين"[1].

٣– ومما تدل عليه الآية أن اليهود والنصارى كانوا يعرفون أن هناك نبي سيبعث وهو مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل كما هو واضح من سياق الآية يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل، وهم مأمورون باتباعه كما ذكر الله الذين يتبعون الرسول النبي الأمي؛ لكنهم حرفوا وصفه ونعته صلوات الله وسلامه عليه، وعاندوه، ونبذوه، قال ابن عباس –رضي الله عنه–: ((كان الله أمرهم أن يتبعوا النبي الأمي))، وعنه قال: ((في التوراة والإنجيل أن الإسلام دين الله الذي افترضه على عباده، وأن محمدًا رسول الله يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل فنبذوه))[2].

---

[1] **زهرة التفاسير**، لأبي زهرة **(١/٤٥٤)** بتصرف.

[2] **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، للقنوجي (٣٩٧/٢).

المطلب الخامس

وجوب الاتباع والتسليم لله في كل الأمور والرضا بذلك

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [سورة النساء: ٦٦].

ومعنى وسبب نزول هذه الآية مرتبط بما قبلها[١].

سبب نزول الآية:

فعن عروة[٢]، قال: خاصم الزبير[٣]، رجلًا من الأنصار في شريج من الحرة[٤]، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك))، فقال الأنصاري: يا رسول الله، أن كان ابن عمتك، فتلون وجه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم قال: ((اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر، ثم أرسل الماء إلى جارك))، واستوعى النبي -صلى الله عليه وسلم- للزبير حقه في صريح الحكم حين أغضبه الأنصاري، كان أشار عليهما بأمر لهما فيه

---

[١] قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [سورة النساء:٦٥].

[٢] عروة بن الزبير بن العوام الأسدي أبو عبد الله المدني، فقيه عالم كثير الحديث صالح لم يدخل في شيء من الفتن، قال ابن شهاب عروة بحر لا ينزف، قال هشام ما تعلمنا جزءا من ألف جزء من أحاديثه وهو أحد الفقهاء السبعة، وقال ابن عيينة إن أعلم الناس بحديث عائشة ثلاثة، ومنهم وعروة، (ت:٩١)، وقيل غير ذلك، ينظر: **طبقات الحفاظ**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١، ١٤٠٣، (ص: ٢٩).

[٣] الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي، يكنى أبا عبد الله. أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أسلم الزبير وهو ابن خمس عشر سنة، لم يتخلف الزبير عن غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الله بن مسعود حين آخى بين المهاجرين بمكة، وهو أول من سل سيفه في الإسلام، (ت: ٣٦هـ). ينظر: **لاستيعاب في معرفة الأصحاب**، لابن عبد البر (٢/٥١٠- ٥١٦).

[٤] الشرجة: "مسيل الماء من الحرة إلى السهل. والشرج جنس لها، والشراج جمعها" ينظر: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لابن الأثير (٢/٤٥٦).

سعة، قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة النساء: ٦٥]"[١].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ "أي: فرضنا وأوجبنا، عليهم"[٢]، وقيل: "معناها: قضينا عليهم"[٣].

فمدلول الآية فيما تقدم يدل على ثلاثة معانٍ: الفرض، الوجوب، القضاء.

معنى الآية:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ "يعني: على هؤلاء المنافقين من اليهود ﴿أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ كما كتبنا ذلك على بني إسرائيل.

﴿أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ كما كتبنا على المهاجرين، ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ للمشقَّة فيه مع أنَّه كان ينبغي أن يفعلوه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ ما يُؤمرون به من أحكام القرآن، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ في معاشرتهم وفي ثوابهم ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ منهم لأنفسهم في الدِّين وتصديقًا بأمر الله"[٤].

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ "أي: لو أوجبْنا عليهم مثلَ ما أوجبنا على بنى إسرائيلَ من قتلهم أنفسَهم أو خروجهم من ديارهم حين استتابتِهم من عبادة العجل، وأن مصدرية أو مفسرة؛ لأن كتبنا في معنى أمَرْنا ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: المكتوبَ المدلولَ عليه بكتبْنا أو أحدِ مصدرَي الفعلين ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ أي: إلا أناسٌ قليلٌ منهم وهم المخلِصون من المؤمنين.

وروي عن عمر رضيَ الله عنه أنَّه قال: والله لو أمَرَنا ربُّنا لفعلْنا، والحمدُ لله الذي لم يفعلْ بنا ذلك، وقيل: معنى: ﴿اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: تعرَّضوا بها للقتل بالجهاد، وهو بعيدٌ، وقرئ إلا قليلاً بالنصب على الاستثناء، أو إلا فِعلاً قليلاً.

---

[١] **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ (٤٦/٦)، برقم: (٤٥٨٥)، وينظر: **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل، باب وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم، (١٨٢٩/٤)، برقم: (٢٣٥٧).

[٢] **تفسير البغوي، (٦٥٨/١)**.

[٣] **كتاب تفسير القرآن**، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت: ٣١٩هـ)، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، حققه وعلق عليه: سعد بن محمد السعد، دار النشر: دار المآثر – المدينة النبوية، ط١، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢م، (٧٧٩/٢).

[٤] **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تح: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ (ص: ٢٧٢).

﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ من متابعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وطاعتِه والانقيادِ لما يراه ويحكم به ظاهرًا أو باطنًا، وسُمِّيت أوامرُ الله تعالى ونواهيه مواعظ؛ لاقترانهما بالوعد والوعيد ﴿لَكَانَ﴾ أي: فعلُهم ذلك ﴿خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾ عاجلاً وآجلاً ﴿وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا﴾ لهم على الإيمان، وأبعدَ من الاضطراب فيه، وأشدَّ تثبيتًا لثواب أعمالِهم"[1].

المضامين المستنبطة من الآية:

١- يستفاد من الآية التيسير فيما أمر الله به من الأوامر التي تسهل على كل أحد، ولا يشق على الناس فعلها، يشهد لهذا كثير من الأدلة منها قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٥]، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ [سورة الحج: ٧٨]، وقوله: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [سورة المائدة: ٦]، ولذلك "لو شددنا التكليف على الناس، نحو أن نأمرهم بالقتل والخروج عن الأوطان؛ لصعب ذلك عليهم، ولما فعله إلا الأقلون، وحينئذ يظهر كفرهم وعنادهم، فلما لم نفعل ذلك رحمة منا على عبادنا، بل اكتفينا بتكليفهم في الأمور السهلة، فليقبلوها بالإخلاص وليتركوا التمرد والعناد حتى ينالوا خير الدارين"[2].

٢- بينت الآية قصور الكثير من الناس في تنفيذ أوامر الله، واتباع شرعه، كما قال تعالى: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ وهذا القصور يدل على ضعف الإيمان في هذه النفوس مع أن الله بين في الآية "أن فعل المكروه من المأمور خير من تركه في الدنيا"[3]، كما قال: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا﴾ [سورة النساء: ٦٦].

٣- ويفهم من الآية أن التسليم والاتباع والانصياع لشرع الله يزيد الانسان ثباتًا واستقامةً وهداية وأجرًا عظيمًا، وقد أشارت الآية، وما بعدها إلى هذا فقال تعالى: ﴿لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٦٨﴾ [سورة النساء: ٦٦-٦٨].

---

[1] **تفسير أبي السعود**، (١٩٨/٢).

[2] **مفاتيح الغيب**، للرازي، (١٢٩/١٠).

[3] **قاعدة في المحبة**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تح: محمد رشاد سالم، الناشر: مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، د، ت، (ص: ١٨٦).

المطلب السادس

التشدد والابتداع في رهبانية النصارى

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الحديد: ٢٧].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

﴿مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ يعني "ما افترضنا تلك الرهبانية عليهم"[1]، وقال مقاتل: "ما أمرناهم بها، كقوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٢١]، يعني: التي أمركم الله تعالى"[2]، ﴿مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ "أي: ما تعبدناهم بذلك"[3].

وبهذا تكون دلالة لفظ الكتابة على ثلاثة معانٍ: الفرض، والأمر، والتعبد.

معنى الآية:

ورد في بيان المعنى؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم﴾ "أي: نوح وإبراهيم ومن مضى من الأنبياء ﴿بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً﴾ مودة ولينًا ﴿وَرَحْمَةً﴾ تعطفًا على إخوانهم كما قال في صفة أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الفتح: ٢٩].

﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾ هي ترهبهم في الجبال فارّين من الفتنة في الدين، مخلصين أنفسهم للعبادة وهي الفعلة المنسوبة إلى الرهبان، وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي وانتصابها بفعل من مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية.

﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾ أي: أخرجوها من عند أنفسهم، ونذروها ﴿مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ لم نقرضها نحن عليهم ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ استثناء منقطع، أي: ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ﴿فَمَا رَعَوْهَا

---

[1] **تفسير الطبري**، (٤٢٧/٢٢).

[2] **تفسير مقاتل**، (٣٢٨/٣).

[3] **تفسير التستري**، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (ت: ٢٨٣هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تح: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ، (ص: ١٦٣).

حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ كما يجب على الناذر رعاية نذره؛ لأنه عهد مع الله لا يحل نكثة ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ أي: أهل الرأفة والرحمة الذين اتبعوا عيسى عليه السلام أو الذين آمنوا بمحمد – صلى الله عليه وسلم– ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ الكافرون"[1].

وقال السمرقندي مبينًا معنى قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم﴾ يعني: وصلنا وأتبعنا على آثارهم ﴿بِرُسُلِنَا﴾ يعني: واحدًا بعد واحد، ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ يعني: وأرسلنا على آثارهم بعيسى ابن مريم ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ يعني: أعطينا عيسى الإنجيل ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ يعني: الذين آمنوا به وصدقوه واتبعوا دينه ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ يعني: المودة والمتوادين بعضهم بعضا، ويقال: الرأفة على أهل دينهم يرحم بعضهم بعضًا، وهم الذين كانوا على دين عيسى لم يتهودوا ولم يتنصروا.

ثم استأنف الكلام، فقال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ يعني: ابتدعوا رهبانية ﴿مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ يعني: لم تكتب عليهم الرهبانية ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ وذلك أنه لما كثر المشركون خرج المسلمون منهم، فهربوا واعتزلوا في الغيران، وابتغوا الصوامع، فطال عليهم الأمد، ورجع بعضهم عن دين عيسى ابن مريم وابتدعوا النصرانية.

قال الله تعالى: ﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾ يعني: الرهبانية والخروج إلى الصوامع، يعني: باعدوا التبتل للعبادة ﴿مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ يعني: ما أوجبنا عليهم ولم نأمرهم إلا ابتغاء رضوان الله، يعني: أمرناهم بما يرضي الله تعالى لا غير ذلك، ويقال: ﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾ لطلب رضى الله تعالى ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾، يعني: لم يحافظوا على ما أوجبوا على أنفسهم، ويقال: فما أطاعوا الله حين تهودوا وتنصروا.

قال الله تعالى: ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ﴾ يعني: أعطينا الذين ثبتوا على ما أوجبوا على أنفسهم وثبتوا على الإيمان ﴿أَجْرَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ يعني: عاصين وهم الذين تهودوا"[2].

---

[1] **تفسير النسفي**، (٤٤٣/٣)

[2] **بحر العلوم**، للسمرقندي (٣٨٩/٣).

المضامين المستنبطة من الآية:

١- في الآية بيان أن "الله لا يأخذ الناس بالمظاهر والأشكال، ولا بالطقوس والمسوح؛ إنما يأخذهم بالعمل والنية، ويحاسبهم على حقيقة الشعور والسلوك، وهو الذي يعلم خبايا القلوب، وذوات الصدور"[١].

٢- حرم الله الرهبانية في الإسلام بهذا المعنى؛ لأنها رهبانية ما شرعها الله كما قال سبحانه: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ فالله سبحانه وتعالى ما نَعَى عليهم الانقطاع للعبادة، لكن نعى عليهم انقطاعهم عن حركة الحياة، وأسباب العيش؛ لذلك قال: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ فلا يعتزل الإنسان عن حركة الحياة، إنما يعبد الله في كل حركة من حركات حياته، ويجعل الله تعالى دائمًا في باله ونُصْب عينيه، وفي كل ما يأتي، وفي كل ما يدَع[٢].

ولذلك أنكر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على أولئك الثلاثة الذين أرادوا الانقطاع عن الحياة، فأخذ كلٌ منهم يلزم نفسه بعبادة فوق الحد الذي شرعه الله، ولا طاقة لهم بها، وليست من الدين، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: ((ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني))[٣].

٣- كما يفهم من الآية النهي عن التشدد والغلو في الدين، ويؤكد هذا كثير من النصوص منها ما ذكره رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((هلك المتنطعون قالها ثلاثًا))[٤].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((... يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين))[٥].

---

[١] **في ظلال القرآن**، لسيد قطب (٣٤٩٦/٦).

[٢] **تفسير الشعراوي**، (٩٨٤١/١٦). بتصرف

[٣] **صحيح مسلم**، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، من حديث أنس رضي الله عنه، (١٠٢٠/٢)، برقم: (١٤٠١).

[٤] **صحيح مسلم**، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، من حديث عبدِ الله بن مسعود -رضي الله عنه- (٢٠٥٥/٤)، برقم: (٢٦٧٠).

[٥] **سنن ابن ماجه**، باب قدر، حصى الرمي، من حديث ابن عباس رضي الله عنه، (١٠٠٨/٢)، برقم: (٣٠٢٩)، قال الحاكم "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه" ينظر: **المستدرك**، كتاب المناسك (٦٣٧/١)، برقم: (١٧١١).

٤- ويفهم من الآية أيضًا وجوب الوفاء بالنذر في غير معصية الله، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه))[1]، وقال الله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [سورة الحج: ٢٩].

[1] **صحيح البخاري**، كتاب الأيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية، من حديث عائشة- رضي الله عنها (١٤٢/٨)، برقم: (٦٧٠٠).

المبحث الثالث

استعمالات لفظ الكتابة في سياق الآيات الدالة على التشريع والتمكين والولاء والبراء

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التشريعات والتوجيهات المنزلة على موسى- عليه السلام-، لإصلاح قومه.

المطلب الثاني: اتهام المشركين لمصدر التشريع بأنه اختلاق من رسول الله- صلى الله عليه وسلم-.

المطلب الثالث: وعد الله بإظهار دينه وغلبة رسله وتمكين عباده الصالحين في الأرض.

المطلب الرابع: موالاة الشيطان وأثرها في حياة الإنسان.

المطلب الخامس: تناقض الإيمان بموادَّة وموالاة أعداء الله ورسوله.

المطلب الأول

التشريعات والتوجيهات المنزلة على موسى عليه السلام، لإصلاح قومه

قال الله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٥] .

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

جاء في بيان لفظ الكتابة لقوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا ﴾ "قولان: أحدهما: فرضنا، كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [سورة البقرة: ١٨٣]، أي: فرض.

والثاني: أنه كتابة خط بالقلم في ألواح أنزلها الله عليه"[١].

معنى الآية:

قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ ﴾ "المعنى: وكتبنا لموسى في ألواحه ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾، من التذكير والتنبيه على نعم الله، تعالى، وعظمته وسلطانه، ومن المواعظ لقومه ومن الأمر بالعمل بما فيها، ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ أي: تبيينًا لكل شيء من أمر الله سبحانه، في الحلال والحرام، ومعنى: ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾، أي: من كل شيء يحتاج إليه من أمر الدين"[٢].

وذكر الواحدي في بيان معنى قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ ﴾ "يعني: ألواح التَّوراة ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ يحتاج إليه في أمر دينه ﴿مَّوْعِظَةً﴾ نهيًا عن الجهل ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ من الحلال والحرام ﴿فَخُذْهَا﴾ أَيْ: وقلنا له: فخذها ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجدٍّ وصحّةٍ وعزيمةٍ ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ﴾ أن ﴿يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ أَيْ: بحسنها وكلُّها حسن ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ يعني: جهنَّم أَيْ: ولتكن على ذكرٍ منكم لتحذروا أن تكونوا منهم"[٣].

---

[١] **تفسير الماوردي**، (٢/٢٥٩).

[٢] **الهداية إلى بلوغ النهاية**، للقيرواني (٤/ ٢٥٤٧- ٢٥٤٨).

[٣] **الوجيز** للواحدي، (ص: ٤١٢).

المضامين المستنبطة من الآية:

١- في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾ بيان على "أن الحسن ما وافق الشرع، والقبيح ما خالفه، وفي الشرع حسن وأحسن، فقيل: كل ما كان أرفق فهو أحسن. وقيل: كل ما كان أحوط للعبادة فهو أحسن. ثم قال: والصحيح عندي أن أحسن ما فيها امتثال الأوامر واجتناب النواهي"[١].

٢- وفي قوله تعالى: ﴿مَّوْعِظَةً﴾ أوضح سبحانه أنه كتب في الألواح الموعظة والتفصيل لمنهج الحياة، والموعظة تعني ألاَّ تنشئ حكمًا للسامع، بل تعظه بتنفيذ ما عُلِم له من قبل"[٢].

٣- قوله تعالى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ توضح الآية أن القائد والمرشد والمصلح لابد أن يكون ذا عزيمة، وقوة وبأس شديد، وحزم في أوامره ونواهيه[٣]، وباجتهاد، وحرص في القيام بالدعوة وترك إظهار الوهن والضعف[٤]، وليس معنى هذا -بطبيعة الحال- هو التشدد والتعنت والتعقيد والتقبض؛ فهذا ليس من طبيعة دين الله، ولكن معناه الجد والهمة والحسم والصراحة، وقد كانت طبيعة بني إسرائيل أفسدها طول الذل والعبودية في مصر، تحتاج إلى هذا التوجيه. تربية لتلك الطبيعة الرخوة الملتوية المنحرفة الخاوية، عن الاستقامة والجد والوضوح والصراحة؛ وكما هو الملحوظ في واقع كثير من الجماعات البشرية التي نطالعها في زماننا هذا، والتي تهرب من العقيدة لتهرب من تكاليفها، وتسير مع القطيع؛ لأن السير مع القطيع لا يكلفها شيئًا[٥].

---

[١] **أحكام القرآن**، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م (٣٢٣/٢).

[٢] **تفسير الشعراوي** (٤٣٤٨/٧).

[٣] ينظر: **تفسير المراغي** (٦١/٩).

[٤] ينظر: **اللباب في علوم الكتاب**، للنعماني (٣٩٠/١٦)

[٥] ينظر: **في ظلال القرآن**، لسيد قطب (١٣٧٠/٣).

المطلب الثاني

اتهام المشركين لمصدر التشريع بأنه اختلاق من رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥﴾ [سورة الفرقان: ٥] .

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

جاء في بيان مدلول قوله تعالى: ﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾ أي: "كتبها لنفسه"[١]، وقيل معنى ﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾ "انتسخها"[٢].

معنى الآية:

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ [سورة الفرقان: ٥]، أي: "قد ظهر كذبهم بهذا فيما بينهم؛ لأنهم متى رأوه اختلف إلى واحد منهم يعلمه ذلك؟! أو متى رأوه كتب شيئًا قط أو يحسن الكتابة قط؟! وقولهم: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ ؟! فإذا عرف تلك الأنباء والأحاديث التي كانت من قبل، ولا شك أنها لم تكن بلسانه، وإنما كانت بلسان أولئك دل إخباره عما في كتبهم بلسانه إنما عرف ذلك بالله تعالى.

وقوله: ﴿فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ وقال أهل التأويل: غدوًّا وعشيًّا، فلو كان على ذلك لكان يحضرونه في البكرة والعشي، فيسمعون ويشاهدون ما يملى عليه؛ إذ الوقت وقت الحضور، ولكن –عندنا– كأنهم أرادوا بالبكرة والعشيّ: أول الليل وآخره، الأوقات التي هي ليست بأوقات الحضور والجلوس، يقولون: يأتونه سرًّا فتملى عليه ويعلمه، فلو كان ذلك أيضًا لكانوا يراقبونه ويحافظونه سرًّا؛ ليعرفوا ذلك ويشاهدوه، فإذا لم يفعلوا ذلك دل أنهم كانوا يعرفون صدقه، وأنهم كذبة في زعمهم، لكنهم كابروه وعاندوه في ذلك"[٣].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥﴾ [سورة الفرقان: ٥]، أي: ما سطره المتقدمون. ﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾ أي: كتبها لنفسه أو استكتبها.

---

[١] **تفسير النسفي** (٥٢٦/٢).

[٢] **الوسيط** للواحدي (٣٣٤/٣).

[٣] **تفسير الماتريدي** (٧/٨).

وقرئ على البناء للمفعول؛ لأنه أمي وأصله: اكتتبها كاتب له، فحذف اللام وأفضى الفعل إلى الضمير فصار اكتتبها إياه كاتب ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه. ﴿فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ليحفظها فإنه أمي لا يقدر أن يكرر من الكتاب أو لتكتب ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الفرقان: ٦]؛ لأنه أعجزكم عن آخِركم بفصاحته وتضمنه أخبارًا عن مغيبات مستقبلة وأشياء مكنونة لا يعلمها إلا عالم الأسرار فكيف تجعلونه أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم أن يصب عليكم العذاب صبًا"[1].

المضامين المستنبطة من الآية:

١- عجز المشركون عن الطعن في القرآن فعمدوا إلى اتهام محمد -صلى الله عليه وسلم- أنه أخذ القرآن من الكتب المتقدمة مع علمهم "أن صفة النبي محمد -صلّى الله عليه وسلّم- في الكتب المتقدمة وتاريخه المعروف بين قومه: أنه رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب.

كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٧].

"فلا وجه أصلا للشك في أن هذا القرآن نزل من عند الله، لا بإيحاء بشر ولا ملك ولا جانّ، وبالرغم من نصاعة هذه الحقيقة، ومع علم قريش بأن محمدًا -صلّى الله عليه وسلّم- أمي لا يحسن الكتابة، اتهموه بأخذه عن الكتب المتقدمة، كما حكى تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥﴾ [سورة الفرقان: ٥]"[2].

٢- اتهام المشركين للقرآن الكريم بأنه أساطير الأولين شبهة واهية فكيف يكون "هذا القرآن المحكم الآيات أساطير الأولين وأحاديثهم؟! كتبها النبي-صلّى الله عليه وسلّم- بمعنى أنه أمر بكتابتها له إذ هو أمي لا يقرأ ولا يكتب، فهي تملى عليه وتقرأ أول النهار وآخره ليحفظها، ويلقى عليكم ما يتلى عليه صباحا في المساء، وما يتلى عليه في الأصيل يقرأه عليكم في الصباح، وقد رد الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ﴾، على رسوله ربكم ﴿ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ وأخفى ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أنزله عالم الغيب والشهادة فكيف يكذب عليه النبي في نسبة القرآن إليه، ويتركه ﴿وَلَوْ

---

[1] **تفسير البيضاوي** (١١٨/٤).

[2] **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، ط٢، ١٤١٨ هـ (١٠/٢١).

نَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الحاقة: ٤٤-٤٦] والله- سبحانه وتعالى- هو القادر وحده على تركيب مثل هذا"[1].

٣- كما أن هذه الآية من الآيات العظيمة في سورة الفرقان وهذه "السورة الكريمة زاخرة بالآيات التي تدخل الأنس والتسرية والتسلية والتثبيت على قلب النبي -صلّى الله عليه وسلّم- بعد أن اتهمه المشركون بما هو برئ منه، وسخروا منه ومن دعوته، ووصفوا القرآن بأنه أساطير الأولين، واستنكروا أن يكون النبي من البشر، نرى هذه التهم الباطلة فيما حكاه الله عنهم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾ [سورة الفرقان: ٤-٥].

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾﴾ [سورة الفرقان: ٧].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الفرقان: ٦٠]"[2].

---

[1] **التفسير الواضح**، الحجازي، محمد محمود، الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت، ط١٠، ١٤١٣ هـ (٧٠٩/٢).

[2] **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، لمحمد سيد طنطاوي (١٦٧/١٠).

المطلب الثالث

وعد الله بإظهار دينه وغلبة رسله وتمكين عباده الصالحين في الأرض

وفيه آيتان:

الأولى: قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٥].

الثانية: قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [سورة المجادلة: ٢١].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

يقول تعالى في الموضع الأول: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ "أي: كتبنا في الكتب بعد ما كتبنا في اللوح، أو هو كتاب داود، والذكر التوراة"[١]، أي: "بينا في هذه الكتب"[٢].

وقال الطبري: "كتبنا في الكتب من بعد أم الكتاب الذي كتب الله كل ما هو كائن فيه قبل خلق السماوات والأرض[٣].

ويقول تعالى في الآية الثانية: ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ أي: "قضى الله وخط في أم الكتاب، لأغلبن أنا ورسلي من حادني وشاقني"[٤]، وقيل: كتب الله بمعنى: "قضى الله قضاءً ثابتًا"[٥]، وقيل: "قضى وحكم وأوجب ذلك، وقيل: كتب في اللوح المحفوظ"[٦]، وقيل: كتب بمعنى: "حتم"[٧].

وبهذا يتبين أن دلالة لفظ الكتابة في الموضعين السابقتين يدور حول معانٍ متعددة:

الأول: الخط، والكتابة الحقيقية، الثاني: البيان، الثالث: القضاء، والتحتم، الرابع: الحكم والوجوب، ويظهر للباحث أن هذه المعاني تدل بأن الله غالب لا يُغلب، وقاهر لا يُقهر، وأن وعده

---

[١] **جامع البيان في تفسير القرآن**، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ (ت: ٩٠٥هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م، (٣٨/٣).

[٢] **بحر العلوم**، للسمرقندي (٤٤٤/٢).

[٣] **تفسير الطبري**، (٤٣٤/١٦).

[٤] **تفسير الطبري**، (٤٩٣/٢٢).

[٥] **تفسير البغوي**، (٥٠/٥).

[٦] **غرائب التفسير وعجائب التأويل** للكرماني، (١١٩٥/٢).

[٧] **تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرف الآيات والنبأ العظيم**، عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد ابن برَّجان الإشبيلي (ت:٥٣٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م، (٣١٩/٥).

لا يُخلف بأن ينصر دينه، ورسله، وأن يمكن هل الإيمان، والصلاح في الأرض إذا تحققت فيهم شروط التمكين والنصرة، والتي سنذكر بعضها وأهمها فيما بعد.

معنى الآية:

قال عز وجل في الموضع الأول: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٥].

ذكر الماتريدي: في بيان معنى هذه الآية عدة أقوال: فقال "قال بعضُهم: إن كل كتب الله التي أنزلها هي زبور ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ أي: الكتاب الذي عند الله وهو اللوح المحفوظ، معناه -والله أعلم - على هذا التأويل: كتبنا في الكتب التي أنزلناها بعد ما كان مكتوبًا في اللوح المحفوظ ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا﴾ كذا، وقال بعضُهم: كتب الله في الزبور، المعروف، وهو زبور داود بعد ما كتب ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ أي: التوراة ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا﴾ يعني: الجنة ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ وكتب ذلك في هذا القرآن فقال: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٦].

وقال بعضُهم: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ﴾ أي: زبور داود بعد ما كتب في الذي عنده، وجائز أن يكون قوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ﴾ في بعض كتاب، أي: في بعض السور ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ ، أي: من بعد السورة ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا﴾ كذا، وجائز أيضًا: ﴿كَتَبْنَا﴾ في كتاب ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ ، أي: من بعد ما ذكرهم ووعظهم ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا﴾ كذا، ثم اختلفوا في قوله: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾، قال عامة أهل التأويل: هي الجنة؛ أخبر أن الجنة إنما يرثها عبادي الصالحون، وهو ما ذكر في آية أخرى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١٠-١١]

فيكون هذا تفسيرًا لذلك، وقال بعضُهم: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ يعني: أرض بيت المقدس ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ وهو كذلك كان، لم يزل بها عباد الله الصالحون إلى يوم القيامة، وجائز أن يكون قوله: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا﴾ أمَّة محمد -صلى الله عليه وسلم-"[1].

وأما ما ورد من المعنى في الآية الثانية قوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ أي: قضى وثبت في اللوح، وحيث جرى ذلك مجرى القسم أجيب بما يجاب به فقيل: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِي﴾ أي: بالحجة

---

[1] **تفسير الماتريدي** (٧/٣٨٢- ٣٨٣).

والسيف، وما يجري مجراه أو بأحدهما، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [سورة الصافات: ١٧١-١٧٣].

وقرئ ورسليَ بفتح الياء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ﴾ على نصر أنبيائه ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يغلب عليه في مراده[١]، كيف وقد "﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ العليم الحكيم واثبت لهم في لوح قضائه بقوله: ﴿لَأَغْلِبَنَّ﴾ البتة ﴿أَنَا۠ وَرُسُلِى﴾ أنا عموم ﴿وَرُسُلِى﴾ المرسلين من عندي بالحجج القاطعة، ولا يظهر ولا يغلب الا رسله عليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ المرتدي برداء العظمة والكبرياء ﴿قَوِىٌّ﴾ في ذاته لا حول ولا قوة في الوجود الا منه وبه ﴿عَزِيزٌ﴾ مقتدر غالب لا يغلب مطلقًا في عموم مراداته، ومقدوراته[٢].

وقال السمرقندي: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ "يعني: قضى الله ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِى﴾ يعني: لأغلبن في الدنيا بالحجة والدلائل في الآخرة، ويقال: ﴿لَأَغْلِبَنَّ﴾ يعني: لأقهرن أنا ورسلي، فتكون العاقبة للمؤمنين. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾، ويقال: كَتَبَ اللَّهُ، يعني: قضى الله ذلك قضاء ثابتًا ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِى﴾ ، وغلبة الرسل تكون على نوعين: من بعث منهم في الحرب، فغلب في الحرب ومن بعث منهم بغير حرب فهو غالب بالحجة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ أي: مانع حزبه من أن يذل والعزيز الذي لا يغلب ولا يقهر"[٣].

المضامين المستنبطة من الآيتين:

١- يخبر الله تعالى عن "حتمه وقضاه لعباده الصالحين، من السعادة في الدنيا والآخرة، ووراثة الأرض في الدنيا والآخرة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٢٨]، وأكد الله تعالى أن هذا مكتوب مسطور في الكتب الشرعية والقدرية فهو كائن لا محالة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٥][٤].

فالسنة التي لا تتخلف أن يَغلب الحق في النهاية، وأن يُزَهق الباطل؛ لأن الحق قاعدة كونية وغلبته سنة إلهية: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [سورة الأنبياء: ١٨]، وأن يحل

---

[١] ينظر: **تفسير أبي السعود** (٢٢٣/٨).

[٢] **الفواتح الإلهية**، للنخجوني (ص: ٣٩٨).

[٣] **بحر العلوم**، للسمرقندي (٣٩٩/٣).

[٤] ينظر: **تفسير ابن كثير**، (٣٨٤/٥).

الهلاك بالظالمين المكذبين، وينجي الله الرسل والمؤمنين: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٩]، وأن يرث الأرض عباد الله الصالحون"[١].

وقد "أضافهم إلى نفسه وحلاهم بحلية الصلاح، معناه: لا يصلح إلا ما كان خالصًا لي، لا يكون لغيري فيه أثر، وهم الذين أصلحوا سريرتهم مع الله، وانقطعوا بالكلية عن جميع ما دونه"[٢].

٢- ويستفاد من الآيتين السابقتين أن المسلمين ما غلبوا في العصور الأخيرة، وذهب أكثر ملكهم إلا؛ لأنهم تركوا العدل والفضائل وسنن الله في الاجتماع التي انتصر بها السلف الصالح، وأنفقوا أموال الأمة والدولة فيما حرم الله عليهم من الإسراف في شهواتهم، وظهر، وانتشر فيهم الفساد بأنواعه مثل فساد العقائد، وفي الآداب، ومساوى الأخلاق والعادات، والانغماس في الشهوات، واتباع سلطان البدع والخرافات، وتركوا الاهتداء بهدى دينهم، وتركوا الاستعداد المادي والحربي الذي طلبه الله بقوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [سورة الأنفال: ٦٠]، عاد الغلب عليهم لغيرهم ومكنّ لسواهم في الأرض[٣].

٣- كما تتضمن الآيتان السابقتان أن "المؤمن يتعامل مع وعد الله على أنه الحقيقة الواقعة؛ فإذا كان الواقع الصغير في جيل محدود أو في رقعة محدودة يخالف تلك الحقيقة، فهذا الواقع هو الباطل الزائل، الذي يوجد فترة في الأرض لحكمة خاصة؛ لعلها استجاشة الإيمان وإهاجته لتحقيق وعد الله في وقته المرسوم"[٤].

٤- ويستفاد مما سبق أنه "على الدعاة أن يلجأوا دائمًا -بعد الاحتراس والحذر- إلى كنف الله، ويحتموا بعزته، وسلطانه، ويثقوا بأن الله معهم نصير، ولهم حفيظ، وأن من أراد الله له النجاة من كيد أعداء الهداية سينجو مهما يكن سلطانهم شديد الوطأة، عظيم الكيد والتآمر والإجرام، فالحماية حماية الله، والنصر نصره، والخذلان خذلانه، والنافذ قضاؤه وأمره، قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٠].

ومهما يعظم كيد الانسان الظالم، فإن نصر الله العادل أعز وأعظم، فلا يجبن داعية، ولا يخف مصلح، ولا يتأخر عن تأدية الحق مؤمن بالله، واثق بعونه وتأييده، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الروم: ٤٧]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [سورة المجادلة: ٢٠-٢١].

---

[١] **في ظلال القرآن**، لسيد قطب (٢٣٦٥/٤).

[٢] **تفسير التستري**، (ص: ١٠٥).

[٣] ينظر: **تفسير المراغي**، (٢٠٨/٩- ٢٠٩).

[٤] ينظر: **في ظلال القرآن**، لسيد قطب (٣٥١٤/٦).

ولا ينافي هذا نجاح أعداء الله في الوصول إلى بعض أئمة الهدى من دعاة الاصلاح، وتمكنهم من القضاء عليهم، أو ايقاع الأذى بهم، فان الموت حق، وهو نصيب ابن آدم لا محالة، فمن يكتب عليه الموت بأيدي الظالمين، فإنما هي كرامة[1]، فعلى كل حال المؤمن منصور سوءًا بالنصر أو الشهادة في سبيل الله.

٥- كما يستفاد من الآيتين السابقتين أنه على الأمة أن تأخذ بعوامل وشروط النصر والتمكين في الأرض، ولا شك أنها كثيرة لا يتسع المقام لذكرها، ولكني سأشير إلى ما يلامس واقعنا اليوم مما جعل الأمة تتراجع ويتحكم بها الأعداء، ومن ذلك:

أولاً: **ضعف الإيمان والعمل الصالح**: وكيف لا يكون هذا من أسباب انتكاسة الأمة، والله قد وعد أهل الإيمان بالنصر والاستخلاف في الأرض وجعل هذا شرطًا فقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة النور: ٥٥-٥٦].

ثانيًا: **عدم الأخذ بالأسباب وإعداد العدة**: مع أن الله أمر في كتابه بذلك فقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الأنفال: ٦٠] والإعداد يكون بمعناه العام؛ الإعداد المعنوي، والإعداد المادي.

ثالثًا: **الظلم وعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة هود: ١١٧]، وقال -صلى الله وعليه وسلم-: ((اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم))[2].

فالفساد، والظلم اليوم في واقع المسلمين يندى له الجبين حتى إن صاحب الحق يكره حقه لعدم وجود العدل في المؤسسات الحكومية، والدوائر القضائية، وعدم تحكيم كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- وظلم الحكام، والأقوياء في بلاد المسلمين اليوم خير شاهد، وترك الأمر

---

[1] **السيرة النبوية - دروس وعبر**، مصطفى بن حسني السباعي (ت: ١٣٨٤هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، (ص: ١٣٦).

[2] **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، (١٩٩٦/٤)، برقم: (٢٥٧٨).

بالمعروف والنهي عن المنكر وقول كلمة الحق إلا القليل؛ هذا من أهم الأسباب لتراجع الأمة للخلف نسأل الله السلامة.

رابعًا: **الفرقة والاختلاف وموالاة الكفار والتبعية**، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ [سورة الأنفال: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ١٤٤﴾ [سورة النساء: ١٤٤]، وقد أشرنا بحديث رسول الله سابقًا الذي فيه النهي عن التبعية: ((لتتبعن سنَنَ من قبلكم شبرا بشبر...))[1].

وستأتي معنا آية فيما بعد تتحدث عن حرمة موالاة الكفار، وكل هذا وغيره موجود اليوم وللأسف في واقع المسلمين، ولكن هذه إشارات فقط، وإلا فالكلام يطول في هذا الشأن.

---

[1] سبق تخريجه، ص: (٦٢).

المطلب الرابع
موالاة الشيطان وأثرها في حياة الإنسان

قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾ [سورة الحج: ٤].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ "أي: قضي على الشيطان، أنه من تولاه اتبعه فأنه، يعني الشيطان: يضله، أي: يضل من تولاه، ويهديه إلى عذاب السعير"[١]، وقيل: "﴿كُتِبَ﴾ يحتمل الإثبات، أي: أثبت في أم الكتاب: أن من تولى الشيطان واتبعه أنه يضله"[٢].

معنى الآية:

قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ "أي: كتب على الشيطان أي: قضى على الشيطان أنه تولاه. الهاء في ﴿أَنَّهُۥ﴾ مجهول تفسره الجملة التي بعده. و﴿تَوَلَّاهُ﴾ أي: تولى الشيطان. أي: فمن اتبع الشيطان من خلق الله، فإنه يضله، أي: فإن الشيطان يضل من اتبعه، ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

أي: يسوقه إليه بطاعته له، ومعصيته لله، في ﴿عَلَيْهِ﴾ و ﴿تَوَلَّاهُ﴾ و ﴿فَأَنَّهُۥ﴾ تعود على الشيطان"[٣]، " ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ تبعه والضمير للشأن ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ خبر لمن أو جواب له، والمعنى كتب عليه إضلال من يتولاه لأنه جبل عليه، وقرئ بالفتح على تقدير فشأنه أنه يضله لا على العطف فإنه يكون بعد تمام الكلام، وقرئ بالكسر في الموضعين على حكاية المكتوب أو إضمار القول أو تضمين الكتب معناه ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ بالحمل على ما يؤدي إليه"[٤].

المضامين المستنبطة من الآية:

١- "موالاة الشياطين وأتباعهم يفضى بالموالي المتابع لهم إلى جهنم وعذاب السعير"[٥]، فعلى العاقل أَن ينظر في العواقب، فلا يجعل نفسه تابعا لذى رأْى فاسد، ومذهب ملحد، ولا يتبع من

---

[١] **تفسير البغوي** (٣/٣٢٤).

[٢] **تفسير الماتريدي** (٧/٣٩٠).

[٣] **الهداية إلى بلوغ النهاية**، للقيرواني (٧/٤٨٤٣).

[٤] **تفسير البيضاوي** (٤/٦٤- ٦٥).

[٥] **أيسر التفاسير**، للجزائري (٣/٤٥١).

يضله بتحسين البدع والمنكرات، وتزين المحرمات، وفاسد المعتقدات لينجو من سوء المصير[1].

٢- وفي "هذه الآية دليل على أنَّ الله قد كتب في الأزل وقضى على الشيطان إضلال من تولاه، وأنَّ ذلك من الله تعالى حكم لا نكير عليه فيه"[2]، و "أن الأمر أمره، فإن من كتب عليه الضلالة فإنه لا يهديه أحد، ولا يضل الله إلا من يستحق الضلال، فذلك الذي يتركه الله متخبطا في ظلمات الضلال"[3].

٣- كما في الآية أن "كل من أعرض عن الله التحق به شيطان يضله ويهديه إلى عذاب السعير كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الزخرف: ٣٦-٣٧]"[4].

---

[1] ينظر: **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، لمجموعة من العلماء (١١٧٦/٦).

[2] **التَّفْسِيرُ البَسِيْط** للواحدي (٢٥٢/١٥).

[3] **الأساس في التفسير**، سعيد حوّى (ت١٤٠٩هـ)، الناشر: دار السلام – القاهرة، ط ٦، ١٤٢٤ هـ، (٢٠٥٦/٤).

[4] **موسوعة فقه القلوب**، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، الناشر: بيت الأفكار الدولية، د، ت، (١٠٧٧/١).

المطلب الخامس

تناقض الإيمان بموادّة وموالاة أعداء الله ورسوله

قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة المجادلة: ٢٢].

سبب نزول الآية:

وهو "جعل أبو أبي عبيدة بن الجراح –رضي الله عنه–[١] ينصب الْأَلَّ[٢]، لأبي عبيدة يوم بدر، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر الجراح قصده أبو عبيدة فقتله، فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية حين قتل أباه ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [سورة المجادلة: ٢٢]"[٣].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [سورة المجادلة: ٢٢]، "أي: خلق في قلوبهم التصديق"[٤].

---

[١] عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن الحارث بن فهر بن النضر بن كنانة القرشي الفهري أبو عبيدة غلبت كنيته أمين هذه الأمة أحد العشرة المشهود لهم بالجنة هاجر إلى الحبشة، وشهد بدرا والحديبية، وكان يدعى القوي الأمين؛ لقوله ﷺ: "لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح"، وقال أبو بكر الصديق يوم السقيفة قد رضيت لكم أحد الرجلين فبايعوا أيهما شئتم عمر أو أبا عبيدة ابن الجراح، ولما ولي عمر بن الخطاب عزل خالدا وولى أبا عبيدة ابن الجراح، وتوفي في طاعون عمواس سنة: (١٨هـ)، ينظر: **الوافي بالوفيات**، للصفدي (٣٢٩/١٦).

[٢] الأل، بالفتح، جمع ألة وهي الحربة في نصلها عرض، ينظر: **لسان العرب**، لابن منظور (٢٤/١١). وقال الأعشى: تَدارَكَهُ في مِنصَلِ الآلِ بَعدَ ما *** مَضى غَيرُ دَأداءٍ وَقَد كادَ يَعطَبُ. ينظر: **ديوان الاعشى**، ميمون بن قيس بن جندل بن ثعلبة الوائلي، المعروف بأعشى قيس، (ت: ٦٢٩ م)، د، ط ت، (ص: ٧).

[٣] **مستدرك الحاكم**، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، باب ذكر مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه (٢٩٦/٣)، برقم: (٥١٥٢)، من حديث عبد الله بن شوذب، قال عنه البيهقي، حديث منقطع، ينظر: **السنن الكبرى**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، ط٣، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، (٤٦/٩)، برقم: (١٧٨٣٥).

[٤] **تفسير القرطبي**، (٣٠٨/١٧).

وقيل: "أثبت في قلوبهم الإيمان؛ فلا يرجعون عنه"[1]، أي: "ألزمه فيها إلزام المكتوب في الرَّق"[2]، وقيل "أدخل في قلوبهم الإيمان. وقيل: كتب أي: جعل في قلوبهم علامة تدل على إيمانهم"[3].

فلفظ الكتابة من خلال سياق الآية دل على عدة معانٍ هي: الخلق، الإثبات، الإلزام، الإدخال، الجعل.

معنى الآية:

قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ "الآية أخبر الله في هذه الآية أنَّ المؤمن لا يوالي الكافر، وإنْ كان أباه أو أخاه أو قريبه؛ وذلك أنَّ المؤمنين عادوا آباءَهم الكفَّار وعشائرهم، وأقاربهم فمدحهم الله على ذلك فقال: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [سورة المجادلة: ٢٢]، أي: أثبته ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: بنور الإيمان وقيل: بالقرآن، ثمَّ وعدهم الإدخال في الجنَّة، فقال: ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ "[4].

وقال السمرقندي: في بيان معنى قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يعني: البعث بعد الموت ﴿يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يعني: يتخذون الخلة والصداقة مع الكافرين، ثم قال عز وجل: ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ يعني: لا تتخذوا مع الكافرين الصداقة، وإن كانوا من أقربائكم.

ثم قال: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ يعني: الذين لا يتخذون مع الكافرين صداقة هم الذين جعل في قلوبهم الإيمان يعني: التصديق ﴿وَأَيَّدَهُم﴾ يعني: أعانهم ﴿بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: قواهم بنور الإيمان وبإحياء الإيمان، وذلك يوصلهم إلى الجنة ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يعني: في الآخرة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يعني: في الجنة ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بإيمانهم وطاعتهم ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بالثواب والجنة.

---

[1] **تفسير الماتريدي**، (٥٧٨/٢٢).

[2] **غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني**، أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، شهاب الدين الشافعيّ ثم الحنفي (ت: ٨٩٣هـ)، من أول سورة النجم إلى آخر سورة الناس، تح: محمد مصطفي كوكصو (رسالة دكتوراه)، الناشر: جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية – تركيا، عام النشر: ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م، (ص: ١٢١).

[3] **تفسير للسمعاني**، (٣٩٤/٥).

[4] **الوجيز**، للواحدي (ص: ١٠٧٨).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِ﴾ يعني: جند الله ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ يعني: الناجون الذين فازوا بالجنة وبنعمة الله تعالى وفضله سبحانه[1].

ومما ورد في معنى قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ﴾ ... أي: من الممتنع أن نجد قوما مؤمنين يوالون المشركين، والمراد أنه لا ينبغي أن يكون ذلك وحقه أن يمتنع، ولا يوجد بحال مبالغة في الزجر عن مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراز عن مخالطتهم ومعاشرتهم، وزاد ذلك تأكيداً وتشديداً بقوله: ﴿وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ﴾ وبقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ أي: وأثبته فيها وبمقابلة قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [سورة المجادلة: ١٩] بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ﴾ .

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُ﴾ أي: بكتاب أنزله فيه حياة لهم ويجوز أن يكون الضمير للإيمان، أي: بروح من الإيمان على أنه في نفسه روح لحياة القلوب به"[2].

المضامين المستنبطة من الآية:

١- في الآية أن "كل من صح إيمانه؛ فإنه لا يأنس بمبتدع ويجابهه، ولا يؤاكله ولا يشاربه ولا يصاحبه، ويظهر له من نفسه العداوة والبغضاء، ومن داهن مبتدعًا سلبه الله حلاوة السنن، ومن تحبب إلى مبتدع يطلب عزة في الدنيا وعرضًا، أذله الله بذلك العز، وأفقره الله بذلك الغنى، ومن ضحك إلى مبتدع نزع الله نور الإيمان من قلبه، ومن لم يصدق فليجرب"[3].

٢- ويفهم من الآية أن الإيمان محله القلب، وأنه غير الإسلام "فأما محل الإسلام من الإيمان فهو كمحل الشمس من الضوء: كل شمس ضوء، وليس كل ضوء شمسًا، وكل مسك طيب، وليس كل طيب مسكًا، كذلك كل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيمانا، إذا لم يكن تصديقا؛ لأن الإسلام هو الانقياد والخضوع، يدل عليه قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ [سورة الحجرات: ١٤]"[4].

٣- كما يستنبط من الآية أنه لا "ينبغي للمؤمن أن يكرم من أهانه الله ويقرب من أبعده الله أليس لو أن رجلا كان يخدم سلطانا وكان للسلطان عدو يبغضه ويعاديه أفيحسن بخادم السلطان أن يقرب عدو السلطان ويكرمه؟ فكذا حال من قرب أعداء الله ورسوله والمؤمنين أو أكرمهم أو والاهم، كيف يكون حاله عند الله في الدنيا والآخرة؟

---

[1] ينظر: **بحر العلوم**، للسمرقندي (٣/٣٩٩).

[2] **تفسير النسفي**، (٣/٤٥٣).

[3] **تفسير التستري**، (ص: ١٦٤).

[4] **تفسير الثعلبي**، (١٤٥).

وقال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [سورة المجادلة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة المائدة: ٥٥]"[١].

٤- ويمكن أن نستنبط من الآية حرمة التشبه بالكفار، سواءً في ملبسهم، أو أعيادهم، أو إهدائهم أو قبول ما يهدونه في أعيادهم أو غير ذلك؛ لأن هذا يكون سببًا في المودة والمحبة مع ما في موافقتهم من الإيهام الشديد في تعظيم أفعالهم، وتغبيطهم بدينهم، وبما شرعوه، وقد حثت الشريعة الإسلامية إلى الإنكار عليهم في إظهار مثل هذه الأمور، وعدم تقليدهم؛ إلا أن واقع كثير من المسلمين اليوم يخالف هذا، بل لم يكتفوا بسكوتهم عن الإنكار ومداهنتهم فيه، إنما زادوا على ذلك، وربما تفوقت عليهم بعض الدول العربية والإسلامية في إظهار الفرح بأعيادهم وغير ذلك، وقد صدق الله في كتابه أنه لا يجتمع إيمان بالله، وبرسوله مع موادَّة، وموالاة الكفار، فقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[٢].

٥- كما يستنبط من الآية: أن "من مظاهر الايمان ودلائله، أن يكون الحب في الله والبغض في الله نحب المطيع التقي، ولو لم يكن لنا منه نفع، ونبغض الكافر الفاجر ولو لم ينلنا منه ضرر، بل إننا نبغضه ونهجره، ولو كان مفيدا لنا، ولو كانت تربطنا به أوثق الروابط ذلك لأن أخوة الدين أقوى عند المؤمن من أخوة الدم، وصلة العقيدة أوثق من صلة النسب، ولقد بين الله لنوح ان ابنه الكافر ليس من أهله؛ لأنه عمل غير صالح، ونفى أن تكون بين المؤمنين وبين المعاندين الذين يحاربون الدين مودة، وتعايش سلمي مهما كانت قوة الصلات بين الفريقين"[٣].

---

[١] **حسن السلوك الحافظ دولة الملوك**، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان بن عبد العزيز البعلي شمس الدين، ابن الموصلي (ت: ٧٧٤هـ)، تح: فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: دار الوطن – الرياض، د، ت، (ص: ١٦٧).

[٢] **تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الجاهلين**، محيي الدين أبو زكريا أحمد بن إبراهيم ابن النحاس الدمشقي (ت: ٨١٤ هـ)، حققه وعلق عليه: عماد الدين عباس سعيد، إشراف: المكتب السلفي لتحقيق التراث، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، (ص: ٥٠٠)، بتصرف.

[٣] **تعريف عام بدين الإسلام**، علي بن مصطفى الطنطاوي (ت: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م، (ص: ٩٤).

المبحث الرابع

استعمالات لفظ الكتابة في سياق الآيات الدالة على الرحمة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تودد الله للمعرضين عنه للإقبال إليه.

المطلب الثاني: إرشاد وتوجيه الله لرسوله -صلى الله عليه وسلم- إلى الطريقة المثلى في الدعوة إليه.

المطلب الثالث: سعة رحمة الله تعالى وشموليتها.

المطلب الأول

تودد الله للمعرضين عنه للإقبال إليه

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢﴾ [سورة الأنعام: ١٢].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

دل لفظ الكتابة في سياق الآية على ثلاثة معانٍ: هي قضى، وقيل ضمن ووعد، وقيل أوجب.

قال تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ "أي: قضى"[١]، وقيل: "ضمن ووعد"[٢]، وقيل: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ "أي: أوجبها"[٣]، قلت: والإيجاب هنا تكرمًا منه سبحانه وتعالى وتفضلاً.

معنى الآية:

يقول الله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِ﴾ أي: "إن لم يقولوه لا جواب غيره ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ﴾ قضى على نفسه ﴿ٱلرَّحۡمَةَ﴾ فضلًا منه، وفيه تلطف في دعائهم إلى الإيمان، ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ ليجازيكم بأعمالكم ﴿رَيۡبَ فِيهِ﴾ شك ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ بتعريضها للعذاب مبتدأ خبره ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ "[٤].

فكان السؤال "سؤال تبكيت، ﴿و قُل لِّلَّهِ﴾ تقرير لهم، أي: هو الله لا خلاف بيني وبينكم، ولا تقدرون أن تضيفوا شيئًا منه إلى غيره ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ أي: أوجبها على ذاته في هدايتكم إلى معرفته، ونصب الأدلة لكم على توحيده بما أنتم مقرون به من خلق السموات والأرض، ثم أوعدهم على إغفالهم النظر وإشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء بقوله: ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ فيجازيكم على إشراككم.

---

[١] **تفسير البغوي**، (١١١/٢).

[٢] **دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر**، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ)، تحقيق: طلعت صلاح الفرحان، ومحمد أديب شكور أمرير، الناشر: دار الفكر – عمان، الأردن، ط ١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، (٦٠١/١).

[٣] **تفسير القرآن العزيز**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت: ٣٩٩هـ)، أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة – مصر/القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، (٦١/٢).

[٤] **تفسير الجلالين**، (ص: ١٦٤٩).

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ نصب على الذم، أو رفع: أي: أريد الذين خسروا أنفسهم، أو أنتم الذين خسروا أنفسهم.

فإن قلت: كيف جعل عدم إيمانهم مسببًا عن خسرانهم، والأمر على العكس؟

قلت: معناه الذين خسروا أنفسهم في علم الله: لاختيارهم الكفر ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾"[1].

المضامين المستنبطة من الآية:

١- في قوله: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ دليل على أن إضافة الرحمة لنفسه ولذاته العلية إثبات وبرهان لوجود الله "فذكر النفس هنا عبارة عن وجوده وتأكيد وعده، وارتفاع الوسائط دونه، ومعنى الكلام الاستعطاف منه تعالى للمتولين عنه إلى الإقبال إليه، وإخبار منه سبحانه بأنه رحيم بعباده لا يعجل عليهم بالعقوبة، ويقبل منهم الإنابة والتوبة"[2].

٢- ومما تتضمنه الآية هنا في قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِ﴾ أن "الحق يعلَّم رسوله السؤال والجواب؛ حتى يتعلم الناس من خلال ذلك أن كُلَّ المُلْك لله؛ لأنهم مهما بحثوا عن مالك الكون فلن يجدوا إلا الله، حتى المكذبين منهم قال الحق عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٦١﴾ [سورة العنكبوت: ٦١]"[3].

٣- وفي الآية إخبار وتقرير بالبعث والنشور، فهم هذا من قوله تعالى: ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ وقد ذكر صاحب كتاب الإشارات الإلهية هذه الإشارة فقال: "هذا إخبار بالبعث"[4].

وقد بينا هذه المسألة فيما سبق عند قوله تعالى: ﴿كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ٧٩﴾ [سورة مريم: ٧٩].

٤-"وجملة: كتب على نفسه الرحمة معترضة، وهي من المقول الذي أمر الرسول بأن يقوله وفي هذا الاعتراض معان:

---

[1] **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ، (٢/٨-٩).

[2] **تفسير القرطبي**، (٦/٣٩٥).

[3] **تفسير الشعراوي**، (٦/٣٥٢٠).

[4] **الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية**، نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عيد الكريم الطوفي الحنبلي (ت ٧١٦ هـ)، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م، (ص: ٢٣٦).

أحدها: أن ما بعده لما كان مشعرا بإنذار بوعيد قدم له التذكير بأنه رحيم بعبيده عساهم يتوبون ويقلعون عن عنادهم، على نحو قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأنعام: ٥٤]، والشرك بالله أعظم سوء وأشد تلبسا بجهالة.

الثاني: أن الإخبار بأن لله ما في السماوات وما في الأرض يثير سؤال سائل عن عدم تعجيل أخذهم على شركهم بمن هم ملكه. فالكافر يقول: لو كان ما تقولون صدقا لعجل لنا العذاب، والمؤمن يستبطئ تأخير عقابهم، فكان قوله: كتب على نفسه الرحمة جوابا لكلا الفريقين بأنه تفضل بالرحمة، فمنها رحمة كاملة، وهذه رحمته بعباده الصالحين، ومنها رحمة موقتة وهي رحمة الإمهال والإملاء للعصاة والضالين.

الثالث: أن ما في قوله: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ﴾ من التمهيد لما في جملة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه من الوعيد والوعد ذكرت رحمة الله؛ تعريضًا ببشارة المؤمنين وبتهديد المشركين"[1].

---

[1] **التحرير والتنوير**، لابن عاشور (١٥١/٧).

المطلب الثاني

إرشاد وتوجيه الله لرسوله إلى الطريقة المثلى في الدعوة إليه

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٤﴾ [سورة الأنعام: ٥٤].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

يقول تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ "أي: "كتب في اللوح المحفوظ على نفسه"[1]، وقيل: قضى على نفسه الرحمة"[2]، وقيل: "وعدكم بالرحمة وعدًا مؤكدًا"[3]، وورد أنها بمعنى: "أوجب"[4].

فالنتيجة أن الدلالة تكمن في عدة معانٍ:

أولاً: الكتابة الحقيقية في اللوح المحفوظ.

ثانيًا: القضاء أي: قضى على نفسه الرحمة.

ثالثًا: الوعد بالرحمة، ووعد الله يكون كرمًا وفضلاً منه.

رابعًا: الإيجاب ويقال فيه ما قيل في الوعد.

معنى الآية:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ يعني: "إما أن يكون أمرًا بتبليغ سلام الله إليهم، وإما أن يكون أمرًا بأن يبدأهم بالسلام إكرامًا لهم وتطيبا لقلوبهم، وكذا قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ من جملة ما يقول لهم؛ ليبشرهم بسعة رحمة الله، وقبوله التوبة منهم، ومعناه: وعدكم بالرحمة وعدًا مؤكدًا، ﴿أَنَّهُۥ﴾ الضمير للشأن ﴿مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا﴾ ذنبًا ﴿بِجَهَٰلَةٖ﴾ في موضع الحال، أي: عمله وهو جاهل بما يتعلق به من المضرة، أو جعل جاهلاً لإيثاره المعصية على الطاعة ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ من بعد السوء، أو العمل ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ وأخلص توبته"[5].

---

[1] **تفسير الماوردي**، (١١٩/٢).

[2] **تفسير البغوي**، (١٢٨/٢).

[3] **تفسير النسفي**، (٥٠٧/١).

[4] **فتح الرحمن**، لمجير الدين المقدسي (٤٠٣/٢).

[5] **تفسير النسفي** (٥٠٧/١).

﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ﴾ أي: "يزيل العقاب عنه ﴿رَّحِيمٌ﴾ يوصل الثواب إليه"[1].

"فالذين نُهي عن طردهم وصفوا بالإيمان بآيات الله عز وجل، كما وصفوا بالمداومة على عبادته تعالى بالإخلاص؛ تنبيها على إحرازهم لفضيلتي العلم والعمل، وتأخير هذا الوصف مع تقدمه على الوصف الأول لما أن مدار الوعد بالرحمة والمغفرة، هو الإيمان بها كما أن مناط النهي عن الطرد فيما سبق هو المداومة على العبادة.

وقوله تعالى: ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ أمر بتبشيرهم بالسلام عن كل مكروه بعد إنذار مقابليهم، وقيل: بتبليغ سلامه تعالى إليهم، وقيل: بأن يبدأهم بالسلام وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾، أي: قضاها وأوجبها على ذاته المقدسة بطريق التفضل والإحسان بالذات، لا بتوسط شيء ما أصلاً؛ تبشير لهم بسعة رحمته تعالى، وبنيل المطالب، إثر تبشيرهم بالسلامة عن المكاره، وقبوله التوبة منهم، وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم إظهار اللطف بهم والإشعار بعلة الحكم.

وقوله تعالى: ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ حال من فاعل عمل، أي: عمله، وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه من المضار، والتقييد بذلك للإيذان بأن المؤمن لا يباشر ما يعلم أنه يؤدي إلى الضرر، أو عمله ملتبسًا بجهالة ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: من بعد عمله، أو من بعد سفهه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ أي: ما أفسده تداركًا وعزمًا على أن لا يعود إليه أبدًا ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: فأمره أنه غفور رحيم، أو فله أنه غفور رحيم"[2].

المضامين المستنبطة من الآية:

١- في الآية دلالة على عظم رحمة الله، فما أقبح من لم ينل من هذه الرحمة! وما أعقل من عمل للوصول إلى استحقاق رحمة الله الكاملة بسلوك طريق ذلك! والتّحقّق بالصفات التي يعطي الله أصحابها رحمته[3].

٢- ويستفاد من الآية: "احترام الصالحين، واجتناب ما يغضبهم أو يؤذيهم؛ فإن في ذلك غضب الله، أي حلول عقابه بمن آذى أحدا من أوليائه"[4]، ولذلك جاء عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب...))[5]،

---

[1] **تفسير النيسابوري** (٨٨/٣).

[2] **تفسير أبي السعود**، (١٤٠/٣-١٤١).

[3] ينظر: **الأساس في التفسير**، سعيد حوى (١٦٤٧/٣).

[4] **تفسير االقرطبي** (٤٣٥/٦).

[5] **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب التواضع، (١٠٥/٨)، برقم:(٦٥٠٢).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: ٦٩].

٣- وتتضمن الآية: أن "التوبة فرض على جميع المؤمنين بإجماع الأمة؛ لقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [سورة النور: ٣١]، وذلك بأن يدرك المؤمن المذنب قبح فعله السابق، ويندم ندمًا حقيقيًا مصممًا، على ألا يعود إلى الذنب أبدا وقبول التوبة والمغفرة أوجبه الله على نفسه تفضلا ورحمة وبيانا لصدق إنجاز الوعد، ولسابق وعد الله الكريم في قوله سبحانه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٤﴾ ﴾ [سورة الأنعام: ٥٤]، والله الذي أوجب قبول التوبة على نفسه عليم بخلقه، لأن النفس الإنسانية قد تشذ ويغويها الشيطان، فتقع في المعصية، فلولا باب التوبة ليئس الناس وضاقت بهم الدنيا، وظلوا على حالهم"[1].

٤- وفي الآية حث على الدخول في الإسلام، وعلى الداخلين فيه الأمن والسلام بالتجاوز عمّا اقترفوه من قبل من آثام، فهم أبناء الإسلام منذ اليوم الذي دخلوا فيه، ولا شيء عليهم مما اقترفوه من قبل، وهذا من فضل الله رحمته التي أوجبها على نفسه كرمًا وفضلاً؛ فالسوء الذي فعلوه بجهالة من حرب على الإسلام، وأذى للمسلمين، وغير ذلك من أنواع المنكرات، الأمر الذي جعلهم وقد دخلوا في الإسلام يقضّ مضاجعهم، ويكاد يُفسد عليهم حياتهم مع الدين الذي دخلوا فيه، فكان قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ كان هذا ردّا لاعتبارهم، وتصحيحا لوجودهم، وسكنا لنفوسهم، وبردا وسلاما على قلوبهم[2].

---

[1] **التفسير الوسيط** للزحيلي (٢٩٨/١).

[2] ينظر: **التفسير القرآني للقرآن**، لعبد الكريم الخطيب (١٩٦/٤).

المطلب الثالث

سعة رحمة اللّه تعالى وشموليتها

قال الله تعالى: ﴿۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦﴾ [سورة الأعراف: ١٥٦].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

ذكر الواحدي في بيان دلالة لفظ الكتابة في قوله تعالى: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾ عن ابن عباس: "أي: اقبل وفادتنا وردنا بالمغفرة والرحمة"[1].

وقال السمرقندي: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا﴾ "يعني: اقض لنا وأعطنا في الدنيا العلم والعبادة والنصرة والرزق الحسن الحلال"[2].

روى البغوي: "أي: أوجب لنا في هذه الدنيا حسنة"[3].

وقيل: "عين لنا، وقيل أوجب وحقق وأثبت"[4]، وورد أنها بمعنى: "وفقنا للأعمال الصالحة التي تكتب لنا بها الحسنات"[5].

فمن خلال ما سبق يتضح لنا أن دلالة لفظ الكتابة يدور حول سبعة معانٍ وهي: اقبل، اقض لنا، أوجب لنا، عين لنا، حقق، أثبت، وفقنا.

معنى الآية:

قال الله تعالى: "﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا﴾ أي: "وأثبت لنا واقسم ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾ عافية وحياة طيبة وتوفيقًا في الطاعة ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ الجنة ﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ تبنا إليك، وهاد إليه يهود إذا رجع وتاب، والهد جمع هائد، وهو التائب.

---

[1] **الوسيط** للواحدي (٤١٥/٢).

[2] **بحر العلوم**، للسمرقندي (٥٦٩/١).

[3] **تفسير البغوي** (٢٣٨/٢).

[4] **تفسير أبي السعود** (٢٧٨/٣).

[5] **تفسير القرطبي** (٢٩٦/٧).

﴿قَالَ عَذَابِيٓ﴾ من صفته أني ﴿أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾ أي: لا أعفو عنه ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: من صفة رحمتي أنها واسعة تبلغ كل شيء، ما من مسلم ولا كافر إلا وعليه أثر رحمتي في الدنيا.

﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ أي: هذه الرحمة، ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشرك من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المفروضة، ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بجميع كتبنا، ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ لا يكفرون بشيء منها"[1].

إنما يطلبون من الله أن اكتب لنا التوفيق في الدنيا "للأعمال الصالحة، أو تفضل علينا بإفاضة النعم في هذه الدنيا من العافية وسعة الرزق ﴿وَفِي ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: واكتب لنا في الآخرة الجنة بما تجازينا به، أو بما تتفضل به علينا من النعيم في الآخرة، وجملة ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ تعليل لما قبلها من سؤال المغفرة والرحمة والحسنة في الدنيا وفي الآخرة، أي: إنا تبنا إليك ورجعنا عن الغواية التي وقعت من بني إسرائيل، والهود: التوبة، وجملة: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾ مستأنفة كنظائرها فيما تقدم، قيل: المراد بالعذاب هنا: الرجفة، وقيل: أمره سبحانه لهم بأن يقتلوا أنفسهم، أي: ليس هذا إليك يا موسى، بل ما شئت كان، وما لم أشأ لم يكن.

والظاهر: أن العذاب هنا يندرج تحته كل عذاب، ويدخل فيه عذاب هؤلاء دخولا أوليا، وقيل: المراد من أشاء من المستحقين للعذاب، أو من أشاء أن أضله وأسلبه التوفيق ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ من الأشياء من المكلفين وغيرهم، ثم أخبر -سبحانه- أنه سيكتب هذه الرحمة الواسعة للذين يتقون الذنوب ويؤتون الزكاة المفروضة عليهم ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: يصدقون بها ويذعنون لها"[2].

المضامين المستنبطة من الآية:

١- في الآية "خص الزكاة بالذكر دون ما عداها من الطاعات؛ لأن النفوس شحيحة ففتنته تقتضى أن يكون المانعون للزكاة أكثر من التاركين غيرها من الطاعات، كما أن في ذلك إيماء إلى أن اليهود أشربوا في قلوبهم حب المال وفتنوا بجمعه ومنع بذله في سبيل الله، كما أنى سأكتبها كتبة خاصة للذين يصدّقون بجميع آياتنا التي تدل على توحيدنا وصدق رسلنا تصديق إيقان مبنى على العلم الصحيح دون تقليد للآباء والأجداد"[3].

---

[1] **تفسير النسفي** (٦٠٩/١).

[2] **فتح القدير**، للشوكاني (٢٨٨/٢).

[3] **تفسير المراغي** (٨٠/٩-٨١).

٢- وفي قوله تعالى: "﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ تقريرًا لطلاقة المشيئة، التي تضع الناموس اختيارًا، وتجريه اختيارًا: وإن كانت لا تجريه إلا بالعدل والحق على سبيل الاختيار أيضًا؛ لأن العدل صفة من صفاته تعالى لا تتخلف في كل ما تجري به مشيئته؛ لأنه هكذا أراد، فالعذاب يصيب به من يستحق عنده العذاب، وبذلك تجري مشيئته، أما رحمته فقد وسعت كل شيء وهي تنال من يستحقها عنده كذلك وبذلك تجري مشيئته، ولا تجري مشيئته- سبحانه- بالعذاب أو بالرحمة جزافًا أو مصادفة، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا"[١].

٣- ويستفاد من الآية: "أن مناط العذاب والرحمة ومدارهما هو المشيئة لا الطاعة والمعصية ولا الاستعداد ونحوه، ويدل على هذا أن الرحمة قد تلحق من لم يعمل خيرًا ظاهرًا قط ككافر يؤمن عند الموت، والعذاب يلحق من تعبد طول عمره، كمؤمن كفر عند الموت وإنما الأعمال أمارات قد تصدق وقد لا"[٢].

٤- والتعبير بسعة الرحمة فيه ترغيب إلى الطاعة، وتشويق إلى الرحمة، ونفي لليأس والقنوط الذي يصيب العصاة والمسرفين على أنفسهم، وقد قال الله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة الزمر: ٥٣].

---

[١] **في ظلال القرآن**، لسيد قطب (١٣٧٧/٣)

[٢] **الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية**، لنجم الدين الحنبلي (ص: ٢٩٢).

الفصل الثالث

استعمالات لفظ الكتابة في آي القرآن الكريم حسب السياقات الفقهية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: استعمالات لفظ الكتابة في سياق آيات العبادات.

المبحث الثاني: استعمالات لفظ الكتابة في سياق آيات المعاملات.

المبحث الثالث: استعمالات لفظ الكتابة في سياق آيات القصاص والحدود.

المبحث الرابع: استعمالات لفظ الكتابة في سياق آيات الجهاد والقتال.

المبحث الأول

استعمالات لفظ الكتابة في سياق آيات العبادات

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: فرض الصيام علينا وعلى من قبلنا إشعارًا بوحدة الدين.

المطلب الثاني: مشروعية الوصية عند الموت.

المطلب الثالث: إباحة الأكل والشرب والجماع في ليالي رمضان.

المطلب الرابع: مراعاة حقوق الضعيفين المرأة واليتيم.

المطلب الأول

فرض الصيام علينا وعلى من قبلنا إشعارًا بوحدة الدين

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [سورة البقرة: ١٨٣].

مناسبة الآية لما قبلها:

و"مناسبة هذه الآية لما قبلها[١]، أنه أخبر تعالى: أولاً: بكتب القصاص وهو: إتلاف النفوس، وهو من أشق التكاليف، فيجب على القاتل إسلام نفسه للقتل، ثم أخبر ثانيًا بكتب الوصية وهو: إخراج المال الذي هو عديل الروح، ثم انتقل ثالثًا إلى كتب الصيام، وهو: منهك للبدن، مضعف له، مانع وقاطع ما ألفه الإنسان من الغذاء بالنهار، فابتداء بالأشق ثم بالأشق بعده، ثم بالشاق فبهذا انتقال فيما كتبه الله على عباده في هذه الآية، وكان فيما قبل ذلك قد ذكر أركان الإسلام ثلاثة: الإيمان، والصلاة، والزكاة، فأتى بهذا الركن الرابع، وهو: الصوم"[٢].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

ودلالة لفظ ﴿كُتِبَ﴾ أي: "فرض واجب"[٣].

قال الإمام الطبري: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ أي: "فرض عليكم الصيام"[٤].

معنى الآية:

"يقول تعالى مخاطبًا للمؤمنين من هذه الأمة وآمرا لهم بالصيام، وهو: الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله عز وجل، لما فيه من زكاة النفس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة، وذكر أنه كما أوجبه عليهم فقد أوجبه على من كان قبلهم، فلهم فيه أسوة، وليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض أكمل مما فعله أولئك، كما قال تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ

---

(١) قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ١٨٠ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٨١ فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨٢﴾ [سورة البقرة:١٧٨-١٨٢].

(٢) **البحر المحيط** لأبي حيان (١٧٧/٢).

(٣) **تفسير الثعلبي** (٦١/٢).

(٤) **تفسير الطبري** (١٥٢/١٣).

وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [سورة المائدة: ٤٨]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ لأن الصوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان"[1].

"والصيام والصوم في اللغة الإمساك عما تنزع إليه النفس، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ [سورة مريم: ٢٦]، وقيل: هو الإمساك عن الشيء مطلقًا، ومنه صامت الريح إذا أمسكت عن الهبوب، والفرس إذا أمسكت عن العدو ....

وفي الشريعة: هو الإمساك نهارًا مع النية عن المفطرات المعهودة التي هي معظم ما تشتهيه الأنفس.

﴿كَمَا كُتِبَ﴾ في حيز النصب على أنه نعت للمصدر المؤكد، أي: كتابًا كائنًا كما كتب أو على أنه حال من المصدر المعرفة، أي: كتب عليكم الصيام الكتب مشبها بما كتب فما على الوجهين مصدرية، أو على أنه نعت لمصدر من لفظ الصيام، أي: صومًا مماثلاً للصوم المكتوب على من قبلكم فما موصولة، أو على أنه حال من الصيام، أي: حال كونه مماثلاً لما كتب ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والأمم من لدن آدم عليه السلام، وفيه تأكيد للحكم وترغيب فيه وتطييب لأنفس المخاطبين به؛ فإن الشاق إذا عم سهل عمله، والمراد بالمماثلة إما المماثلة في أصل الوجوب، وإما في الوقت والمقدار كما يروى أن صوم رمضان كان مكتوبا على اليهود والنصارى، أما اليهود فقد تركته وصامت يومًا من السنة، زعموا أنه يوم غرق فرعون، وكذبوا في ذلك؛ فإنه كان يوم عاشوراء.

وأما النصارى فإنهم صاموا رمضان حتى صادفوا حرًا شديدًا فاجتمعت آراء علمائهم على تعيين فصل واحد بين الصيف والشتاء، فجعلوه في الربيع، وزادوا عليه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصار أربعين، ثم مرض ملكهم، أو وقع فيهم موتان فزادوا عشرة أيام فصار خمسين.

﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ أي: المعاصي فإن الصوم يكسر الشهوة الداعية إليها...، أو تتقون الإخلال بأدائه لأصالته أو تصلون بذلك إلى رتبة التقوى"[2].

---

[1] **تفسير ابن كثير** (٤٩٧/١).

[2] ينظر: **تفسير أبي السعود** (١٩٨/١).

الأحكام والمضامين المستنبطة من الآية:

أولا: الأحكام المستنبطة من الآية:

١- حكم صوم رمضان:

يجب صوم شهر رمضان وهو فريضة، وركنٌ من أركان الإسلام.

ودل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع:

أولاً: دليل الكتاب: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [سورة البقرة: ١٨٣].

وقوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ [سورة البقرة: ١٨٥]

وجه الدلالة: قوله: ﴿كُتِبَ﴾ بمعنى فرض: "فالله تعالى أوجب علينا فرض الصيام بهذه الآية؛ لأن قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ﴾ معناه فرض عليكم"[١].

ثانيًا: الدليل من السنة:

ما ورد في الصحيحين عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ((بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت))[٢].

ثالثًا: الإجماع:

وقد أجمع أهل العلم على فرضية صوم شهر رمضان، وأنه من أركان الإسلام.

"ولا خلاف بين العلماء في أن صيام شهر رمضان واجب"[٣].

"ولا خلاف بين المسلمين أجمعين أن صوم رمضان فريضة افترضها الله سبحانه على هذه الأمة"[٤].

---

[١] **أحكام القرآن**، للجصاص (٢١١/١).

[٢] **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس، (١١/١)، برقم: (٨)، **وصحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس، (٤٥/١)، برقم: (١٦).

[٣] **الإقناع في مسائل الإجماع**، علي بن محمد بن عبد الملك الحميري الفاسي، أبو الحسن ابن القطان (ت: ٦٢٨هـ)، تح: حسن فوزي الصعيدي، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م (٢٢٦/١).

[٤] **فتح القدير**، للشوكاني (٢٠٧/١).

وممن نقل الإجماع على فرضية صوم شهر رمضان ابن قدامة[١]، والنووي[٢][٣].

٢- المقصود بالصيام في الآية:

هو صيام رمضان كما ذكر الإمام الواحدي الإجماع على ذلك فقال: "وإجماع المفسرين على أن المراد بهذا الصيام: صيام شهر رمضان، وكان الفرض فِي ابتداء الإسلام هو صوم يوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر، فنسخ ذلك بصيام رمضان، قبل قتال بدر بشهرين"[٤]، و" قد اتفق أهل العلم بالقرآنِ -والله أعلم- على أن الآيتين نزلتا في فريضة صوم رمضان"[٥].

ثانيًا المضامين المستنبطة من الآية:

١- تشير لنا الآية: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ "على أن المسلمين ليسوا بدعًا في مسألة الصوم، بل سبقهم أناس من قبل إلى الصيام وإن اختلفت شكلية الصوم"[٦].

٢- وفي الآية أن "الحكمة في تشبيه فرضه علينا بفرضه على من كان قبلنا، هي تخفيف مشقته على الصائمين؛ فإنه إذا كان شريعة عامة في جميع الديانات، كان ذلك أدعى إلى الصبر عليه، وعدم التقصير فيه. ولأهميته جُعِل الركن الرابع من أركان الإسلام"[٧].

٣- ويستفاد من الآية: أن الصيام إشعار بوحدة الدين؛ لأنه فرض على كل الأمم السابقة، قبل أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- "والتشبيه إنما هو في أصل الصوم، لا في عينة وقدره وكيفيته"[٨]، ومشروعية فرضه علينا وعلى من قبلنا ليصل الصائم إلى أعلى مراتب التقوى كما هو

---

[١] **المغني**، لابن قدامة (٣/٣).

[٢] يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين محمد محيي الدين أبو زكريا النووي الحافظ الفقيه الشافعي، محرر المذهب ومهذبه وضابطه ومرتبه، أحد العباد والعلماء الزهاد، ولد (٦٣١هـ)، ونشأ ببلده نوى، ومن شيوخه الرضي بن برهان الدين، شمس الدين ابن أبي عمرو الحرستاني، وغيره، ومن مصنفاته: شرح صحيح مسلم، المجموع شرح المهذب، (ت:٦٧٦هـ)، ينظر: **طبقات الشافعيين**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تح: أحمد عمر هاشم، محمد زينهم محمد عزب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، (ص: ٩١٣).

[٣] **المجموع شرح المهذب "مع تكملة السبكي والمطيعي**، للنووي (٢٥٢/٦).

[٤] **الوسيط** للواحدي (٢٧٢/١).

[٥] **تيسير البيان لأحكام القرآن**، محمد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم بن الخطيب اليمني الشافعي، (ت: ٨٢٥هـ)، بعناية: عبد المعين الحرش، الناشر: دار النوادر، سوريا، ط١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، (٢٢٤/١).

[٦] **تفسير الشعراوي** (٧٦٦/٢).

[٧] **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، لمجموعة من العلماء (٢٨٣/١).

[٨] **جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تح: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط الناشر: دار العروبة - الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧-١٩٨٧، (ص: ٢٨٤).

موضح في الآية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ "فبيان أن فريضة الصيام شريعة أزلية، دائمة كتبت على المؤمنين، كما كتبت على غيرهم، ثم أفاد كلام الله سبحانه وتعالى أنها ذريعة إلى تقوى الله، وتقوى الله مطلوبة في كل الأحوال"[1].

٤- ومن المضامين التي تحملها الآية: أن "الصوم جُنَّةٌ من أدواء الروح والقلب والبدن، منافِعُه تفوت الإحصاء، وله تأثيرٌ عجيب في حفظ الصحة، وإذابةِ الفضلاتِ، وحبْسِ النفسِ عن تناول مؤذياتها، ولا سِيَّما إذا كان باعتدالٍ وقصدٍ في أفضلِ أوقاته شرعًا، وحاجَةُ البدنِ إليه طبعًا، ثم إنَّ فيه من إراحة القُوَى والأعضاء ما يحفظُ عليها قُواها، وفيه خاصيةٌ تقتضى إيثارَه، وهى تفريحُه للقلب عاجلاً وآجلاً، وهو أنفعُ شيء لأصحاب الأمزجة البارِدةِ والرطبة، وله تأثيرٌ عظيم في حفظ صحتهم، وهو يدخلُ في الأدوية الروحانية والطبيعية، وإذا راعى الصائمُ فيه ما ينبغي مراعاتُه طبعًا وشرعًا، عظُمَ انتفاعُ قلبه وبدنه به، وحبس عنه الموادَّ الغريبةَ الفاسدةَ التي هو مستعدٌ لها، وأزال الموادَّ الرديئة الحاصلة بحسب كماله ونقصانه"[2].

---

[1] **خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم**، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ) الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، ١٤٢٥هـ، (٥٤٢/٢).

[2] **الطب النبوي**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين، ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تح: السيد الجميلي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، (ص: ٢٥١).

المطلب الثاني
مشروعية الوصية عند الموت

قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ [سورة البقرة: ١٨٠].

مناسبة الآية لما قبلها:

"مناسبة هذه الآية لما قبلها[1]، ظاهرة، وذلك أنه لما ذكر تعالى القتل في القصاص، والدية، أتبع ذلك بالتنبيه على الوصية، وبيان أنه مما كتبه الله على عباده حتى يتنبه كل أحد فيوصي مفاجأة الموت، فيموت على غير وصية، ولا ضرورة تدعو إلى أن: كتب، أصله: العطف على ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [سورة البقرة: ١٧٨] وكتب عليكم وأن الواو حذفت للطول، بل هذه جملة مستأنفة ظاهرة الارتباط بما قبلها؛ لأن من أشرف على أن يقتص منه فهو بعض من حضره الموت، ومعنى حضور الموت، أي: حضور مقدماته وأسبابه من العلل والأمراض والأعراض المخوفة، والعرب تطلق على أسباب الموت موتا على سبيل التجوز.

وقال تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [سورة إبراهيم: ١٧] والخطاب في: عليكم، للمؤمنين مقيدًا بالإمكان على تقدير التجوز في حضور الموت، ولو جرى نظم الكلام على خطاب المؤمنين لكان: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾، لكنه روعيت دلالة العموم في: عليكم، من حيث المعنى؛ إذ المعنى: كتب على كل واحد منكم، ثم أظهر ذلك المضمر، إذ كان يكون إذا حضره الموت، فقيل: إذا حضر أحدكم"[2].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

قال الواحدي: في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ﴾ أصله: أن من أراد إحكام شيء والاستيثاق منه كَتَبَه؛ لئلا ينساه، فقيل في كل مفروضٍ واجب: كتب، بمعنى: أحكم ذلك.

---

[1] قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [سورة البقرة:١٧٨-١٧٩].

[2] ينظر: **البحر المحيط** لأبي حيان (١٥٦/٢).

وقيل: أصلُه: ما كتبه الله في اللوح المحفوظ"[1]، وقيل: كتب أي: أُثْبِتَ[2].

معنى الآية:

يقول الله تعالى: ﴿كُتِبَ﴾، أي: فرض ووجب، ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ﴾ جاء ﴿أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ يعني: أسباب الموت وآثاره ومقدماته من العلل والأمراض، ولم يرد المعاينة ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ مالًا، نظيره قوله: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٢].

الْوَصِيَّةُ في رفعها وجهان:

أحدهما: اسم ما لم يسم فاعله وهو قوله: ﴿كُتِبَ﴾.

الثاني: خبر حرف الصفة، وهو اللام في قوله: ﴿لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ يعني: لا يزيد على الثلث، ولا يوصي للغني ويدع الفقير... ﴿حَقًّا﴾ أي: واجبًا، وهو نصب على المصدر أي حق ذلك حقًا، وقيل: على المفعول، أي: جعل الوصيّة حقًا، وقيل: على القطع من الوصيّة ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ المؤمنين[3].

لأن ﴿كُتِبَ﴾ "فرض ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: أسبابه ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ مالاً ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾ مرفوع بكتب ومتعلق بـ "إذا" إن كانت ظرفية، ودال على جوابها إن كانت شرطية وجواب إن أي فليوص ﴿لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بالعدل بأن لا يزيد على الثلث، ولا يفضل الغني ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾"[4].

الأحكام والمضامين المستنبطة من الآية:

اولاً: الأحكام المستنبطة من الآية:

١ – حكم الوصية:

اختلف الفقهاء فيها على قولين:

القول الأول: أنها واجبة، وهو قول لبعض المالكية[5]، وبعض الشافعية[6].

---

[1] **التَّفْسِيرُ البَسِيْط** للواحدي (٥٢٩/٣).

[2] **تفسير الثعالبي** (٣٧٠/١).

[3] ينظر: **تفسير الثعلبي** (٥٦/٢، ٥٧).

[4] **تفسير الجلالين** (ص: ٣٧).

[5] **أحكام القرآن**، لابن العربي (١٠٢/١).

[6] **أحكام القرآن**، علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي (ت:٥٠٤هـ)، تح: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ، (٧٥/١).

قال ابن العربي[1]: اختلف الناس في ذلك على قولين: قال بعضهم:

إنها واجبة[2]، لما جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ((ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه، يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه))[3].

وقال الكيا الهراسي[4]: "اختلف الناس في وجوبها أولا: فمنهم من قال: كان ذلك ندبا، والصحيح أن ذلك كان واجبا"[5].

القول الثاني: **أنها منسوخة**، وهو مذهب الحنفية[6]، وبعض المالكية[7]، وبعض الشافعية[8]، ومذهب الحنابلة[9].

قال السرخسي: "اعلم بأن الوصية عقد مندوب إليه مرغوب فيه ليس بفرض ولا واجب عند جمهور العلماء وقال بعض الناس الوصية للوالدين والأقربين إذا كانوا ممن لا يرثونه فرض وعند بعضهم الوصية واجبة على أحد ممن لم يرثوه واستدلوا بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾"[10].

---

[1] الإمام العلامة الحافظ القاضي، أبو بكر، محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله، ابن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي، سمع من خاله الحسن بن عمر الهزني وطائفة بالأندلس ارتحل مع أبيه، وسمع ببغداد من طراد الزينبي، وجعفر السراج، وابن الطيوري، وخلق، وبدمشق من الفقيه نصر بن إبراهيم المقدسي، وأبي الفضل بن الفرات، وطائفة، وببيت المقدس من مكي الرميلي، وغيره، وفسر القرآن المجيد، فأتى بكل بديع، وله كتاب "كوكب الحديث والمسلسلات"، وكتاب "الأصناف، وغيرها، (ت: ٥٤٣هـ)، ينظر: **سير أعلام النبلاء**، للذهبي (٢٠/١٩٧- ٢٠٣).

[2] **أحكام القرآن**، لابن العربي (١/١٠٢).

[3] **صحيح البخاري**، كتاب الوصايا، باب الوصايا...، من حديث عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- (٤/٢)، برقم: (٢٧٣٨).

[4] هو أبو الحسن، عماد الدين، علي بن محمد الطبري، المعروف بالكيا الهراسي، تفقّه ببلده، ثم رحل إلى نيسابور وحفيده قاصدًا إمام الحرمين، ولازمه حتى برع في الفقه، والأصول، والخلاف، وطار اسمه في الآفاق، وكان إمامًا، نظارا، قويّ البحث، دقيق البحث، دقيق الفكر، ذكيًا فصيحًا، رجع إلى بيهق، ودرّس بها مدة، ثم قدم بغداد وتولى النظامية في ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة، واستمر مدرسا بها، عظيم الجاه، تخرّج عليه، الطلبة، (ت: ٥٠٤)، ينظر: **طبقات الشافعية**، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٧٧٢ هـ)، **تح**: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٢ م، (٢/٢٩٢، ٢٩٣).

[5] **أحكام القرآن**، للكيا الهراسي (١/٧٥).

[6] **أحكام القرآن**، للجصاص (١/٢٠١).

[7] **أحكام القرآن**، لابن العربي (١/١٠٢).

[8] **أحكام القرآن**، الكيا الهراسي (١/٧٥).

[9] **العدة شرح العمدة**، عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد، أبو محمد بهاء الدين المقدسي (ت: ٦٢٤هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة، تاريخ النشر: ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣ م، د، ط (ص: ٣٢١، ١٢٢).

[10] **المبسوط**، للسرخسي (٢٧/ ١٤٢).

وقال ابن العربي المالكي: واختلفوا في نسخها؛ فمنهم من قال: نسخ جميعها، ومنهم من قال: نسخ بعضها، وهي الوصية للوالدين؛ قال: والراجح نسخها، وأنها مستحبة إلا فيما يجب على المكلف بيانه أو الخروج بأداء عنه، وعليه يدل اللفظ بظاهره[١].

وقال بهاء الدين المقدسي[٢]: "ويستحب لمن ترك خيرًا الوصية بخمس ماله، ودليل استحبابها: قوله سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ﴾ نسخ الوجوب وبقي الاستحباب"[٣].

٢- حرمة وراثة الوالدين.

"كيف يكون الوالدان غير وارثين؟

فالجواب: أن ذلك ممكن، مثل أن يكون الأب، أو الأم مخالفة في الدين؛ فإنه لا يرث فتوصي له كذلك بالنسبة للأقربين فإنهم قد لا يرثون لحجبهم بمن هو أولى منهم"[٤].

ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((لا يرث المسلم الكافر، ولا يرث الكافر المسلم))[٥].

وجه الدلالة: أن عموم الحديث دل على حرمة التوارث بين المسلم والكافر، ويدخل في هذا العموم الولدان عند اختلاف الدين.

ويمنع الشخص من الميراث ** واحدة من علل ثلاث
رق وقتل واختلاف دين ** فافهم فليس الشك كاليقين[٦]

ثانيًا: **المضامين المستنبطة من الآية**:

١- تشير الآية أنه في الوصية يدخل إذن الأقرباء الضعفاء غير الوارثين، هذا هو المقصود من الاستطراق الاجتماعي، والحق حين ينبه عباده إلى الوصية في أثناء الحياة بالأقربين الضعفاء،

---

[١] **أحكام القرآن**، لابن العربي (١٠٢/١).

[٢] هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المقدسي، الفقيه الزاهد بهاء الدين، أبو محمد، سمع بدمشق من أبي عبد الله بن أبي الصقر وغيره، ورحل إلى بغداد، وسمع بها من شهدة، وعبد الحق اليوسفي، ويقال: إنه تفقه ببغداد على ابن المنى، وتفقه بدمشق على الشيخ موفق الدين ولازمه وعلق عنه الفقه واللغة، من تصانيفه، شرح العمدة، وصنف في الفقه والحديث والرقائق، وكان صالحًا ورعًا زاهدًا، غازيًا مجاهدًا، جوادًا سمحًا، (ت: ٦٢٤هـ)، ينظر: **ذيل طبقات الحنابلة**، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، (٣٥٩/٣-٣٦١).

[٣] **العدة شرح العمدة**، لبهاء الدين المقدسي (ص: ٣٢١، ١٢٢).

[٤] **تفسير الفاتحة والبقرة** لابن عثيمين (٣٠٨/٢).

[٥] **صحيح مسلم**، كتاب الفرائض، من حديث أسامة بن زيد، (١٢٣٣/٣)، برقم: (١٦١٤).

[٦] **متن الرحبية بغيه الباحث عن جمل الموارث**، موفق الدين أبو عبد الله - توفي ٥٧٩ سنة، الناشر: دار المطبوعات الحديثة، د، ط ١٤٠٦/١/٢١هـ، (ص: ٣).

يريد أن يدرك العباد أن عليهم مسؤولية تجاه هؤلاء، وإذا رزق الله الإنسان بالعمل خيرًا كثيرًا فإياك أيها الإنسان أن تقصر هذا الخير على من يرثك، لماذا؟ لأنك إن قصرت شيئًا على من يرثك فقد تصادف في حياتك من لا يرث وله شبهة القربى منك، وهو في حاجة إلى من يساعده على أمر معاشه، فإذا لم تساعده يحقد عليك وعلى كل نعمة وهبها الله لك، ولكن حين يعلم هذا القريب أن النعمة التي وهبها الله لك قد يناله منها شيء ولو بالوصية وليس بالتقنين الإرثي هذا القريب يملأه الفرح بالنعمة التي وهبها الله لك[1]، "وقد قال قوم من العلماء: الوصية للقرابة أولى فإن كانت لأجنبي فمعهم، ولا تجوز لغيرهم مع تركهم"[2].

٢- في الآية سَمى الله المال خير "وإنما سمّى المال خيرًا تنبيها على معنى لطيف: وهو أنّ المال الذي يحسن الوصية به ما كان مجموعا من وجه محمود ..! كما أنّ في التسمية إشارة إلى كثرته، كما قال بعضهم: لا يقال للمال خير حتى يكون كثيرا ومن مكان طيّب، كما أنه لا تحديد للكثرة المفهومة، وأنّ مردّها للعرف لاختلاف أحوال الزمان والمكان[3]، وقد ((روي أن عليًا كرم الله وجهه دخل على رجل يعوده، فقال الرجل: أوصي؟ فقال علي كرم الله وجهه: قال الله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ إنما تركت شيئًا يسيرًا فاتركه لأولادك))[4].

٣- وفي الآية إشارةٌ أن "الحق يَعلَم عن عباده أنهم يلتفتون إلى أبنائهم وقد يهملون الوالدين؛ لأن الناس تنظر إلى الآباء والأمهات كمودعين للحياة، على الرغم من أن الوالدين هما سبب إيجاد الأبناء في الحياة، لذلك يوصي الحق عباده المؤمنين بأن يخصصوا نصيبا من الخير للآباء والأمهات وأيضا للأقارب، وهو سبحانه يريد أن يحمي ضعيفين هما: الوالدان والأقرباء، وقد جاء هذا الحكم قبل تشريع الميراث كانوا يعطون كل ما يملكون لأولادهم، فأراد الله أن يخرجهم من إعطاء أولادهم كل شيء وحرمان الوالدين والأقربين، وقد حدد الله من بعد ذلك نصيب الوالدين في الميراث، أما الأقربون فقد ترك الحق لعباده تقرير أمرهم في الوصية"[5].

---

[1] ينظر: **تفسير الشعراوي** (٧٥٨/٢).

[2] **المحرر الوجيز**، لابن عطية (٢٤٨/١).

[3] ينظر: **محاسن التأويل**، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ، (١١/٢-١٢).

[4] السنن الكبرى للبيهقي، كتاب الوصايا، باب من استحب ترك الوصية إذا لم يترك شيئا كثيرًا... (٤٤٢/٦)، برقم (١٢٥٧٧)، قال عنه ضياء الدين المقدسي: "إسناده منقطع". ينظر: الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت: ٦٤٣هـ)، دراسة وتح: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، (٢٩٠/٢).

[5] **تفسير الشعراوي** (٧٥٧/٢).

المطلب الثالث

إباحة الأكل والشرب والجماع في ليالي رمضان

قال الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [سورة البقرة: ١٨٧].

سبب نزول الآية:

ورد في سبب نزولها أنه: ((كان أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- إذا كان الرجل صائمًا، فحضر الإفطار، فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته، ولا يومه حتى يمسي، وإن قيس بن صرمة الأنصاري[1]، كان صائمًا، فلما حضر الإفطار أتى امرأته، فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا، ولكن أنطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل، فغلبته عيناه، فجاءته امرأته، فلما رأته قالت: خيبة لك، فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي -صلى الله عليه وسلم- فنزلت هذه الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧] ففرحوا بها فرحًا شديدًا، ونزلت: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾))[2].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

قال البغوي: ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ "أي: فاطلبوا ما قضى الله لكم"[3]، وقيل: "واطلبوا ما قسم الله لكم، وأثبت في اللوح من الولد بالمباشرة"[1]، وقيل: ما "كتب في اللوح المحفوظ"[2]، "واطلبوا ما قدره لكم"[3]، وقيل: ما جعل[4].

---

[1] أَبو صِرْمَة بن قَيس الأَنصارِيّ المازني، وقيل: أَبو صِرْمَة بن أَبي قيس الأَنصاري، وقيل: اسمه مالك بن قيس، وقيل: قيس بن مالك بن أنس المازني الأنصاري، وقيل: قيس بن صِرْمة، وقيل: صرمة بن قيس، وقيل قيس بن أنس، أبو صرمة، وقيل: صرمة بن أَبي أَنس، وقيل: مالك بن أبي قيس، وقيل: مالك بن أسعد، وقيل: لُبَابة بن قيس، عمُّ محمد بن حيان. شهد أبو صرمة بَدْرًا وما بعدها من المشاهد، وهو معدود في أهل المدينة. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٦٩١/٤)، وأسد الغابة (٤/ ٤٠٧).

[2] **صحيح البخاري**، كتاب الصوم، باب قول الله جل ذكره: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾، من حديث البراء رضي الله عنه، (٢٨/٣)، برقم: (١٩١٥).

[3] **تفسير البغوي** (٢٢٩/١).

فالخلاصة أن كتب في الآية دل على عدة معانٍ:

قضاء لكم، أو قسَّم لكم، أو أثبت لكم، أو الكتابة الحقيقية في اللوح المحفوظ، أو القدر، أو الجعل.

معنى الآية:

هذه رخصة من الله تعالى للمسلمين، ورفع لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام، فإنه كان إذا أفطر أحدهم إنما يحل له الأكل والشرب والجماع إلى صلاة العشاء أو ينام قبل ذلك، فمتى نام أو صلى العشاء حرم عليه الطعام والشراب والجماع إلى الليلة القابلة، فوجدوا من ذلك مشقة كبيرة، وقوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ حاصله أن الرجل والمرأة كل منهما يخالط الآخر ويماسه، ويضاجعه فناسب أن يرخص لهم في المجامعة في ليل رمضان، لئلا يشق ذلك عليهم، ويحرجوا[٥].

قال الشاعر:

إذا مـــا الضّـــجيع ثنـــى جيـــدها ** تثنّـــت عليـــه فكانـــت لباســـا[٦]

"فإن قلت: ما موقع قوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ قلت: هو استئناف كالبيان لسبب الإحلال، وهو أنه إذا كانت بينكم وبينهنّ مثل هذه المخالطة والملابسة قلّ صبركم عنهنّ وصعب عليكم اجتنابهنّ، فلذلك رخص لكم في مباشرتهنّ ﴿تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير، والاختيان من الخيانة، كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ واطلبوا ما قسم الله لكم وأثبت في اللوح من الولد بالمباشرة، أي: لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها، ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل، وقيل: هو نهى عن العزل؛ لأنه في الحرائر، وقيل: وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرّم، وعن قتادة: ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ من الإباحة بعد

=

(١) **تفسير النسفي** (١٦٢/١).

(٢) **تفسير الثعلبي** (٧٨/٢).

(٣) **تفسير البيضاوي** (١٢٦/١).

(٤) **تفسير النيسابوري** (٥١٣/١)

(٥) ينظر: **تفسير ابن كثير** (٥١٠/١).

(٦) **الشعر والشعراء**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٣ هـ، د، ط (٢٨٧/١).

الحظر.... ﴿ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ﴾ أي: هو أوّل ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق كالخيط الممدود، و﴿ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ﴾ ما يمتدّ معه من غبش الليل، شبها بخيطين أبيض"[1].

"ومعنى الآية: وكلوا واشربوا في ليالي الصوم، حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود: بياض النهار من سواد الليل"[2].

﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾ وهنا: "في الآية التصريح بأن للصوم غاية هي الليل فعند إقبال الليل من المشرق وإدبار النهار من الغرب يفطر الصائم ويحل له الأكل والشرب وغيرهما"[3]، ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِ﴾ "يعني: تعالى ذكره بقوله: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾ أي: لا تجامعوا نساءكم، وبقوله: ﴿وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِ﴾ يقول: في حال عكوفكم في المساجد، وتلك حال حبسهم أنفسهم على عبادة الله في مساجدهم، والعكوف أصله المقام، وحبس النفس على الشيء"[4]، وكما قال الشاعر:

فباتت بنات الليل حولي عكفا ** عكوف البواكي بينهن صريع[5]

الأحكام والمضامين المستنبطة من الآية:

أولاً: الأحكام المستنبطة من الآية:

١- إباحة الطعام، والشراب، والجماع في ليالي رمضان.

وهذا من "رحمة الله تعالى بعباده؛ لنسخ الحكم الأول إلى التخفيف، حيث كانوا قبل ذلك إذا ناموا، أو صلّوا العشاء في ليالي رمضان حرمت عليهم النساء، والطعام، والشراب إلى غروب الشمس من اليوم التالي؛ ثم خفف عنهم بإباحة ذلك إلى الفجر"[6].

---

[1] ينظر: **الكشاف**، للزمخشري (١/٢٣٠، ٢٣١).

[2] **لباب التأويل**، للخازن (١/١١٧).

[3] **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، للقنوجي (١/٣٧٧).

[4] **تفسير الطبري** (٣/٢٦٧).

[5] **ديوان الطرماح**، الطرماح بن حكيم بن الحكم (ت: ١٢٥هـ)، الناشر: دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، (ص: ١٨٤).

[6] **تفسير الفاتحة والبقرة**، لابن عثيمين (٢/٣٥١).

٢- **الأوقات التي يحرم مباشرة الزوجة فيها**:

وذلك: "أن مباشرة الزوجة قد تحرم في بعض الأوقات بسبب الحيض والنفاس والعدة والردة فقوله: ﴿وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧] يعني: لا تباشروهن إلا في الأحوال والأوقات التي أذن لكم في مباشرتهن"(١).

"مشروعية الاعتكاف وخاصة في رمضان، وأن المعتكف لا يحل له مخالطة امرأته، وهو معتكف حتى تنتهي مدة اعتكافه التي عزم أن يعتكفها"(٢).

٣- **صحة صيام من طلع عليه الفجر وهو جنب**:

"إذا جوزنا له الوطء قبل الفجر ففي ذلك دليل على جواز طلوع الفجر عليه، وهو جنب، وذلك جائز إجماعًا؛ وقد كان وقع فيه بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كلام، ثم استقر الأمر على أنه من أصبح جنبا فإن صومه صحيح"(٣).

وقد جاء في الصحيحين ما يدل على ذلك من أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ((كان يصبح جنبًا، وهو صائم ثم يغتسل))(٤).

ثانيًا: المضامين المستنبطة من الآية:

١- تشير الآية: "أن الإنسان كما يخون غيره قد يخون نفسه، وذلك إذا أوقعها في معاصي الله، فإن هذه خيانة، وعلى هذا فنفس الإنسان أمانة عنده؛ لقوله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ﴾"(٥).

٢- ويستفاد من قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧] يعني: "لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها، ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل"(٦)، "الذي يكون سببًا لبقاء نوع الإنسان إلى غاية قدرها ونهاية حصرها، فيجب للإنسان أن يتحرى بالنكاح ما جعل الله له على حسب مقتضى العقل والديانة، ومن تحرى النكاح حفظ النسل وحصن النفس على الوجه المشروع فقد ابتغى ما كتب الله له"(٧).

---

(١) **مفاتيح الغيب**، للرازي (٢٧٢/٥).

(٢) **أيسر التفاسير**، للجزائري (١٦٨/١).

(٣) **أحكام القرآن**، لابن العربي (١٣٤/١).

(٤) ينظر: **صحيح البخاري**، كتاب الصوم، باب الصائم يصبح جنبا، (٢٩/٣)، برقم: (١٩٢٥)، وينظر: **صحيح مسلم**، كتاب الصيام، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب، (٧٨٠/٢)، برقم: (١١٠٩).

(٥) **تفسير الفاتحة والبقرة**، لابن عثيمين (٣٥٢/٢).

(٦) **مفاتيح الغيب**، للرازي (٢٧٢/٥).

(٧) **عمدة الحفاظ**، للسمين الحلبي (٣٧٣/٣).

٣- كما تبين الآية أن النهي في ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ آكد من لا تعتدوها، لأنه يشير إلى البعد عنها، حتى لا ينزلق المؤمن في غفلة منه، فيتجاوز الحد، فمن حام حول الحمى، يوشك أن يقع فيه"[١].

٤- في الآية تحديد أول الصوم، وآخره فمن لم ينضبط بهذا فهو غير قربة وطاعة، ولذلك قال: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ حد الصوم بأن آخر وقته إقبال الليل، وأول الصوم بمجيء أول النهار، وأول إدبار آخر الليل، فدل بذلك على أن لا صوم بالليل كما لا فطر بالنهار في أيام الصوم، وعلى أن المواصل مُجَوِّعٌ نفسه في غير طاعة ربه[٢].

---

[١] **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، لمجوعة من العلماء (٢٩٥/١).

[٢] ينظر: **تفسير الطبري** (٢٦٣/٣).

المطلب الرابع
مراعاة حقوق الضعيفين المرأة واليتيم

قال الله تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ ﴾ [سورة النساء: ١٢٧].

سبب نزول الآية:

"عن عروة بن الزبير، أنه سأل عائشة -رضي الله عنها-[1]، عن قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [سورة النساء: ٣]، فقالت: يا ابن أختي، هذه اليتيمة تكون في حجر وليها، تشركه في ماله، ويعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا عن أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن، ويبلغوا لهن أعلى سنتهن في الصداق، فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن، قال عروة: قالت عائشة: وإن الناس استفتوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد هذه الآية، فأنزل الله: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ﴾ ، قالت عائشة: وقول الله تعالى في آية أخرى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ رغبة أحدكم عن يتيمته، حين تكون قليلة المال والجمال، قالت: فنهوا أن ينكحوا عمن رغبوا في ماله وجماله في يتامى النساء إلا بالقسط، من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال"[2].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ "أي: فرض لهن من الميراث"[3].

---

[1] عائشة بنت أبي بكر الصديق الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين، زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأشهر نسائه، وأمها أم رومان ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس، تزوجها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبل الهجرة بسنتين، وهي بكر، وقيل: بثلاث سنين، وكان عمرها لما تزوجها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ست سنين، وقيل: سبع سنين، وبنى بها وهي بنت تسع سنين بالمدينة، وروت عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا، روى عنها عمر ابن الخطاب وكثير من الصحابة، ومن التابعين ما لا يحصى، (ت: ٥٧هـ)، وقيل (٥٨هـ)، ينظر: **أسد الغابة**، لابن الأثير (١٨٦/٧).

[2] **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾، (٤٣/٦)، برقم: (٤٥٧٤).

[3] **تفسير البيضاوي** (١٠٠/٢).

معنى الآية:

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ﴾ أي: "ويسألونك الإفتاء في النساء والافتاء تبين المبهم ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: الله يفتيكم والمتلو في الكتاب، أي: القرآن في معنى اليتامى، يعني: قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أن لا تقسطوا في اليتامى، وهو من قولك أعجبني زيد وكرمه، وما يتلى في محل الرفع بالعطف على الضمير في يفتيكم، أو على لفظ الله، وفى يتامى النساء صلة يتلى أي: يتلى عليكم في معناهن.

ويجوز أن يكون في يتامى النساء بدلاً من فيهن، والإضافة بمعنى من ﴿ٱلَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ ما فرض لهن من الميراث، وكان الرجل منهم يضم اليتيمة إلى نفسه ومالها، فإن كانت جميلة تزوجها وأكل المال، وإن كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها.

﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ في أن تنكحوهن لجمالهن، أو عن أن تنكحوهن لدمامتهن، ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ﴾ أي: اليتامى، وهو مجرور معطوف على يتامى النساء، وكانوا في الجاهلية، إنما يؤرثون الرجال القوام بالأمور دون الأطفال والنساء.

﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾ مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء، وفي المستضعفين، وفي أن تقوموا أو منصوب بمعنى ويأمركم أن تقوموا، وهو خطاب للأئمة في أن ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل في ميراثهم ومالهم ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ شرط وجوابه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾ أي: فيجازيكم عليه"[1].

المضامين المستنبطة من الآية:

١- تشير الآية: "إلى أن ما نزل عليهم من آيات الله في شأن اليتامى، ولم يمتثلوه امتثالاً كاملاً، ولم يرعوا ما وصّاهم الله به في شأنهن في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [سورة النساء: ٣]، وفى هذا إلفات لأولئك الذين لم يرعوا أمر الله في شأن هؤلاء اليتيمات اللاتي هنّ تحت أيديهم، وهو في الوقت نفسه توبيخ لهم؛ إذ يستفتون النبي في شأن النساء، وبين أيديهم أمر من أمر الله في شأنهن، ولم يعملوا به، وكان الأولى بهم ألا يسألوا شيئًا عن النساء إلا بعد أن يمتثلوا ما أمروا به من قبل في شأنهن"[2].

٢- في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ إشارة إلى أن "الذي يتلى عليهم في الضعيفين: المرأة واليتيم هو ما تقدم في أول السورة، وأن الله يذكرهم بتلك الآيات المفصلة ليتدبروها

---

[1] **تفسير النسفي** (١/٤٠٠)، وينظر: **تفسير الإيجي** (١/٤١٣، ٤١٤).

[2] **التفسير القرآني للقرآن**، لعبد الكريم الخطيب (٣/٩١٤).

ويتأملوا معانيها، ثم يعملوا بها، إذ قد جرت طباع البشر أن يتغافلوا عن دقائق الأحكام والعظات التي ترجعهم عن أهوائهم وتؤنبهم على اتباع شهواتهم"[١]، و"تعظيم حال هذه الآية التي تتلى عليكم، وأنها في اللوح المحفوظ، وأن العدل والإنصاف في حقوق اليتامى من أعظم الأمور عند الله تعالى التي تجب مراعاتها وأن المخل بها ظالم"[٢].

٣- وتتضمن الآية أن الله نهى عن الظلم، والطمع، ومن كان هذا حاله فهو خاسر، والله منتقم للمستضعفين، ولذلك "نهاهم عن الطمع الذي يحملهم على الحيف والظلم على المستضعفين من النّسوان واليتامى، وبيّن أنّ المنتقم به لهم الله، فمن راقب الله فيهم لم يخسر على الله بل يجد جميل الجزاء، ومن تجاسر عليهم قاسى لذلك أليم البلاء"[٣].

٤- كما أن هذه الآية "تصور جانبًا من التصورات والتقاليد التي كانت سائدة في الجاهلية، ثم بقيت في المجتمع المسلم، حتى جاء القرآن ينهى عنها ويمحوها، بهذه التوجيهات الرفيعة، ويكل الأمر إلى الضمائر، وهي مسألة تحرُّج، وتقوى، وخوف من الله إذا توقع الولي ألا يعدل مع اليتيمة في حجره، ونص الآية مطلق لا يحدد مواضع العدل، فالمطلوب هو العدل في كل صوره وبكل معانيه في هذه الحالة، سواء فيما يختص بالصداق، أو فيما يتعلق بأي اعتبار آخر"[٤].

---

[١] **تفسير المراغي** (١٧٠/٥، ١٧١).

[٢] **لباب التأويل**، للخازن (٤٣٣/١).

[٣] **تفسير القشيري** (٣٦٨/١).

[٤] **في ظلال القرآن**، لسيد قطب (٥٧٨/١).

المبحث الثاني

استعمالات لفظ الكتابة في سياق آيات المعاملات

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأمر بكتابة الديون والإشهاد عليها.

المطلب الثاني: مشروعية الرهن عوضًا عن الكتابة والتوثيق.

المطلب الثالث: مشروعية مكاتبة العبيد.

المطلب الأول

الأمر بكتابة الديون والإشهاد عليها

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٨٢].

مناسبة الآية لما قبلها:

قال أبو حيان: "ومناسبة هذه الآية لما قبلها[١]، أنه لما أمر بالنفقة في سبيل الله، وبترك الربا، وكلاهما يحصل به تنقيص المال، نبه على طريق حلال في تنمية المال وزيادته، وأكد في كيفية حفظه، وبسط في هذه الآية وأمر فيها بعدة أوامر"[٢].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

يدل لفظ الكتابة في سياق الآية على الكتابة الحقيقية، ولا خلاف في ذلك، إلا في نوعية الأمر بهذه الكتابة هل الأمر بها للندب أم للوجوب كما سنبينه فيما بعد.

قال الواحدي: "أمر الله تعالى في الحقوق المؤجلة بالكتابة والإشهاد"[٣]، "أي: اكتبوا الذي تداينتم به بيعا كان أو سلما أو قرضا"[٤]، وكذا في قوله: ﴿وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا﴾ "أي: لا

---

(١) قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٤]، إلى قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [سورة البقرة:٢٨١].

(٢) **البحر المحيط** لأبي حيان (٧٢٢/٢).

(٣) **الوسيط** للواحدي (٤٠١/١).

(٤) **تفسير البغوي** (٣٩٢/١).

تملوا أن تكتبوا صغير حقوقكم وكبيرها"[1]، فالفظ الكتابة في الآية سواءً جاء بفعل الأمر، أو المضارع، أو اسم الفاعل كلها تدل على الكتابة الحقيقية.

معنى الآية:

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ "هذا إرشاد منه تعالى لعباده المؤمنين إذا تعاملوا بمعاملات مؤجلة أن يكتبوها، ليكون ذلك أحفظ لمقدارها وميقاتها، وأضبط للشاهد فيها، وقد نبه على هذا في آخر الآية حيث قال: ﴿ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ﴾ "[2].

"ثم بين كيفية الكتابة، فقال جل ذكره: ﴿وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ﴾، أي: ليكتب كتاب الدين بين الطالب والمطلوب ﴿كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾، أي: بالحق من غير زيادة ولا نقصان، ولا تقديم أجل، ولا تأخير ﴿وَلَا يَأۡبَ﴾ أي: لا يمتنع ﴿كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ﴾، أي: كما شرعه الله وأمره ﴿فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ﴾، يعني: المطلوب يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه"[3]؛ "لأن الشهادة إنما تكون بحسب إقراره، وإذا كتبت الوثيقة وأقرّ بها فهو كإملاء له، وأمره الله بالتقوى فيما يملي ونهي عن أن يَبْخَسْ شيئًا من الحق، والبخس النقص بنوع من المخادعة والمدافعة، وهؤلاء الذين أمروا بالإملاء هم المالكون لأنفسهم إذا حضروا.

ثم ذكر الله تعالى ثلاثة أنواع تقع نوازلهم في كل زمن، فقال: ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا﴾ وكون الحق يترتب في جهات سوى المعاملات كالمواريث إذا قسمت وغير ذلك، والسفيه المهلهل الرأي في المال الذي لا يحسن الأخذ لنفسه، ولا الإعطاء منها، مشبه بالثوب السفيه: وهو الخفيف النسج، والسفه الخفة، ومنه قول الشاعر:

مشين كما اهتزّت رماح تسفّهت ** أعاليها مرّ الرّياح النّواسم[4]

وهذه الصفة في الشريعة لا تخلو من حجر أب أو وصي، وذلك هو وليه، ثم قال: ﴿أَوۡ ضَعِيفًا﴾ والضعيف: هو المدخول في عقله الناقص الفطرة، وهذا أيضًا قد يكون وليه أبًا أو وصيًا، الذي لا يستطيع أن يمل هو الصغير، ﴿وَلِيُّهُۥ﴾ وصيه أو أبوه والغائب عن موضع الإشهاد، إما

---

[1] **الهداية إلى بلوغ النهاية**، للقيرواني (٩٢٢/١).

[2] **تفسير ابن كثير** (٧٢٢/١).

[3] **تفسير البغوي** (٣٩٣/١).

[4] **الكامل في اللغة والأدب**، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت: ٢٨٥هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، (١٠٥/٢).

لمرض أو لغير ذلك من العذر، ﴿وَلِيُّهُۥ﴾ وكيله، وأما الأخرس، فيسوغ أن يكون من الضعفاء، والأولى أنه ممن لا يستطيع، فهذه أصناف تتميز، ونجد من ينفرد بواحد واحد منها، وقد يجتمع منها اثنان في شخص واحد"[1].

﴿بِٱلْعَدْلِ﴾، يعني: "من غير نقص ولا زيادة ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾، أي: اطلبوهما ليتحملا الشهادة على المداينة ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا﴾، أي: الشاهدان ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾، أي: في العدالة ﴿مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ ولما شرط في القيام مقام الواحد من الرجال، العدد من النساء، علله بما يشير إلى نقص الضبط فيهن، فقال: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ أي: تغيب عنها الشهادة ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ الضالة"[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟﴾ "يعني: إذا دعوا لتحمل الشهادة وسماهم شهداء؛ لأنهم يكونون شهداء، وهذا أمر إيجاب عند بعضهم.

وقال قوم: يجب إذا لم يكن غيره؛ فإن كان غيره فهو مخير، وقيل: هو أمر ندب فهو مخير في جميع الأحوال، وقال بعضهم: هذا في إقامة الشهادة وأدائها.

ومعنى الآية ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا الأداء الشهادة التي تحملوها، وقيل: الآية في الأمرين جميعًا، يعني: في التحمل والأداء والإقامة إذا كان عارفًا، وقيل: الشاهد بالخيار ما لم يشهد؛ فإذا شهد وجب عليه الأداء ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟﴾ أي: ولا تملوا ولا تضجروا ﴿أَن تَكْتُبُوهُ﴾ الضمير راجع إلى الحق أو الدين.

﴿صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾ يعني: قليلاً كان الحق أو الدين أو كثيرًا ﴿إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾، يعني: إلى محل الحق والدين، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾، يعني: ذلك الكتاب ﴿أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾، يعني: أعدل عند الله؛ لأنه أمر به واتباع أمره أعدل من تركه، ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَـٰدَةِ﴾ يعني: أن الكتابة تذكر الشهود ﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟﴾ يعني: وأحرى وأقرب إلى أن لا تشكوا في الشهادة ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً﴾، أي: إلّا أن تقع تجارة حاضرة يدًا بيد ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾، أي: فيما بينكم ليس فيها أجل ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أي: لا ضرر عليكم ﴿أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾، يعني: التجارة الحاضرة، والتجارة تقليب الأموال وتصريفها لطلب النماء والزيادة بالأرباح، وإنما رخص الله تعالى في الكتابة والإشهاد في هذا النوع من التجارة؛ لكثرة ما يجري بين الناس، فلو كلفوا فيها الكتابة والإشهاد لشق ذلك عليهم، ولأنه إذا أخذ

---

[1] **المحرر الوجيز**، لابن عطية (١/٣٨٠).

[2] **تفسير القاسمي** (٢/٢٣٥).

كل واحد من المتبايعين حقه من صاحبه في ذلك المجلس لم يكن هناك خوف التجاحد فلا حاجة إلى الكتابة والإشهاد.

﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ يعني: فيما جرت العادة بالإشهاد فيه، واختلفوا في هذا الأمر فقيل: هو للوجوب، فيجب أن يشهد في صغير الحق وكبيره ونقده ونسيئته، وقيل: هو أمر ندب واستحباب وهو قول الجمهور، وقيل: إنه منسوخ بقوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ هذا نهي عن المضارة وأصله يضارر بكسر الراء الأولى، ومعناه: لا يضار الكاتب فيأبى أن يكتب والشاهد فيأبى أن يشهد أو يضار الكاتب، فيزيد أو ينقص أو يحرف ما أملي عليه فيضر صاحب الحق، أو من عليه الحق، وكذلك الشاهد وقيل: أصله يضارر بفتح الراء الأولى، ومعناه أن يدعو الرجل الكاتب والشاهد وهما مشغولان، فيقولان: نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا، فيقول الداعي: إن الله أمركما أن تجيبا إذا دعيتما ويلح عليهما فيشغلهما عن حاجتهما، فنهى عن مضارتهما، وأمر أن يطلب غيرهما.

﴿وَإِن تَفْعَلُواْ﴾، يعني: ما نهيتم عنه من الضرار ﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾، أي: معصية وخروج عن الأمر ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، أي: خافوا الله واحذروه فيما نهاكم عنه من المضارة وغيرها ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ يعني: ما يكون إرشادًا لكم في أمر الدنيا، كما يعلمكم ما يكون إرشادًا لكم في أمر الدين ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ يعني: أن الله تعالى عليم بجميع مصالح عباده لا يخفى عليه شيء من ذلك"[1].

الأحكام والمضامين المستنبطة من الآية:

أولاً: الأحكام المستنبطة من الآية:

١-حكم الأمر بكتابة الديون:

اختلف العلماء فيما يفيد الأمر بكتابة الدين على قولين:

القول الأول: الندب.

وبهذا قال الحنفية "حيث نُدب إلى الكتابة وأثبت الحق حيث أمر من عليه الحق بالإملاء"[2]، وهو مذهب المالكية أن الأمر بالكتابة "مرغب فيه ومندوب إليه وليس بواجب"[3]، وكذا قول

---

[1] **لباب التأويل**، للخازن (٢١٦/١).

[2] **بدائع الصنائع**، للكاساني (١٦٩/٧).

[3] **المقدمات الممهدات**، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت: ٥٢٠هـ)، تح: محمد حجي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م، (٢٧٨/٢).

الشافعية أنَّ أمر الله عز وجل بالكتابة في الدين أمر إرشاد للاحتياط لا للفرض، والحتم[1]، ووافقتهم الحنابلة، وقد صرح بذلك ابن قدامة على أنَّ الكتابة، للندب والإرشاد، وأنها غير واجبة"[2].

فعلى هذا اتفق المذاهب الأربعة الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، على أنَّ الأمر بالكتابة في قوله تعالى: ﴿فَٱكۡتُبُوهُ﴾ يفيد الندب والإرشاد، لا الوجوب، وهو القول الراجح لإشاعة التعامل به بين الناس، ولوجود المشقة والحرج.

"والدليل عليه أنا نرى جمهور المسلمين في جميع ديار الإسلام يبيعون بالأثمان المؤجلة من غير كتابة ولا إشهاد، وذلك إجماع على عدم وجوبهما؛ ولأن في إيجابهما أعظم التشديد على المسلمين"[3].

القول الثاني: **أنَّ الأمر بالكتابة يفيد الوجوب**

نسب هذا القول لبعض السلف[4]، وهو اختيار الطبري حيث قال: "والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله عز وجل أمر المتداينين إلى أجل مسمى باكتتاب كتب الدين بينهم، وأمر الكاتب أن يكتب ذلك بينهم بالعدل، وأمر الله فرض لازم [5].

٢- حكم النهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾.

وهذا الحكم يلخصه صاحب مفاتيح الغيب في ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن هذا على سبيل الإرشاد إلى الأَولى لا على سبيل الإيجاب، والمعنى أن الله تعالى لما علمه الكتبة، وشرفه بمعرفة الأحكام الشرعية، فالأَولى أن يكتب تحصيلا لِمُهِم أخيه المسلم شكرًا لتلك النعمة، وهو كقوله تعالى: ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [سورة القصص: ٧٧]؛ فإنه ينتفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها.

القول الثاني: وهو قول الشعبي: أنه فرض كفاية؛ فإن لم يجد أحدًا يكتب إلا ذلك الواحد وجب الكتبة عليه، فإن وجد أقواما كان الواجب على واحد منهم أن يكتب.

---

[1] ينظر: **الأم**، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت: ٢٠٤هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، سنة النشر: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، د، ط (٣/٨٨-٩٠)، وينظر: **تفسير الإمام الشافعي**، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي المكي (ت: ٢٠٤هـ)، جمع وتح، ودراسة: أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، الناشر: دار التدمرية – المملكة العربية السعودية، ط ١: ١٤٢٧-٢٠٠٦م، (١/٤٤٠).

[2] ينظر: **المغني**، لابن قدامة (٤/٢١٥).

[3] **مفاتيح الغيب**، للرازي (٧/٩٢).

[4] كعطاء، وابن جريج، ينظر: **تفسير الطبري** (٥/٧٧)، وينظر: **لباب التأويل**، للخازن (١/٢١٤)، وينظر: **التحرير والتنوير**، لابن عاشور (٣/١٠٠).

[5] **تفسير الطبري**، (٥/٧٨).

القول الثالث: أن هذا كان واجبًا على الكاتب، ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾"[1].

ثانيًا المضامين المستنبطة من الآية:

١- في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ إشارة إلى "نهى الكاتب أن يكتب على خلاف العدل الذي أمر الله به، وهذا النهي على الوجوب؛ إذ المراد به كتبه على خلاف ما توجبه أحكام الشرع، كما لا يصلي النفل بغير طهارة وستر، لا لوجوب النفل، ولكن لأنها إذا أديت فلا يجوز أداؤها إلا بشروطها"[2].

٢-هذه الآية هي أطول آية في القرآن جاءت لتنظيم المعاملات بين الناس حرصًا على المصالح، ومنع المنازعات، والخصومات بسبب المال فهي تبين لنا أن الإسلام نظم شؤون المعاملات والعقود بين الناس على أساس من الحق والعدل والحكمة، وصان حقوق الناس، وحفظ أموالهم، ووجههم إلى توثيق عقودهم، ومعاملاتهم المؤجلة بالكتابة والسندات، والشهادة والشهود، على سبيل الاحتياط للناس، وتجنبا من احتمال إنكار أصل الحق أو عدم الاعتراف به، بسبب قلة التدين، وضعف اليقين، وفساد الذمة، واستبداد الطمع والجشع[3].

٣- كما "أن الكتابة من نعم الله على العباد التي لا تستقيم أمورهم الدينية ولا الدنيوية إلا بها، وأن من علمه الله الكتابة، فقد تفضل عليه بفضل عظيم، فمن تمام شكره لنعمة الله تعالى، أن يقضي بكتابته حاجات العباد، ولا يمتنع من الكتابة؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾"[4].

٤- تشير الآية: ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾ إلى أنَّ "كتابة الدين أيّا كان قدره هو العمل المبرور عند الله؛ لأنه قائم على العدل والإحسان؛ ولأنه هو الذي يضبط الشهادة ويقيمها على وجهها الصحيح، إذا اختلف الشهداء فيها؛ ولأنه من جهة ثالثة يبعد الريب والشبهات، حيث يرجع المتداينين إلى ما كتب، وضبط"[5].

---

[1] **مفاتيح الغيب**، للرازي (٩٣/٧).

[2] **أحكام القرآن**، للكيا الهراسي (٢٤٠/١).

[3] ينظر: **التفسير الوسيط** للزحيلي (١٦٢/١).

[4] **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م، (ص: ٩٦٠).

[5] **التفسير القرآني للقرآن**، لعبد الكريم الخطيب (٣٨٣/٢).

قال القرطبي: "قال علماؤنا: إلا ما كان من قيراط ونحوه؛ لنزارته وعدم تشوف النفس إليه إقرارًا وإنكارًا"[1].

٥- وفي هذه الآية بيان أن الدين الإسلامي كما يعتني بالعبادات -التي هي معاملة الخالق- فإنه يعتني بالمعاملات الدائرة بين المخلوقين، كما أن فيها دحر لأولئك الذين يقولون: إن الإسلام ما هو إلا أعمال خاصة بعبادة الله عز وجل، وبالأحوال الشخصية، كالمواريث، وما أشبهها؛ وأما المعاملات فيجب أن تكون خاضعة للعصر، والحال؛ وعلى هذا فينسلخون من أحكام الإسلام فيما يتعلق بالبيوع، والإجارات وغيرها، إلى الأحكام الوضعية المبنية على الظلم، والجهل[2].

---

[1] **تفسير القرطبي** (٣/٤٠١).

[2] ينظر: **تفسير الفاتحة والبقرة**، لابن عثيمين (٣/٤١٠، ٤١١).

المطلب الثاني
مشروعية الرهن عوضًا عن الكتابة والتوثيق

قال الله تعالى: ﴿۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٨٣].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

كاتب اسم فاعل، وهو من قام بالكتابة الحقيقية، ﴿وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا﴾ يعني: لم تجدوا من يكتب الكتاب[1].

معنى الآية:

قال السمرقندي: "إذا كنتم في السفر، ولم تجدوا من يكتب، ولم تجدوا الصحيفة والدواة، فاقبضوا الرهن. وفي الآية دليل أن الرهن لا يصح إلا بالقبض لأنه جعل الرهن بالقبض.

ثم قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ يعني: إذا كَانَ الذى عَلَيْهِ الحق أمينًا عند الطلب، ولم يطلب منه الرهن، ورضي بدينه بغير رهن قوله: ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾، يعني: أن المطلوب يقضي دينه حيث ائتمنه الطالب، ولم يرتهن منه ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ ولا يمنع حقه.

ثم رجع إلى الشهود فقال: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ عند الحاكم يقول: من كانت عنده شهادة، فليؤدها على وجهها ولا يكتمها ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا﴾ يعني: الشهادة ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ يعني: فاجر قلبه.

قوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾، من كتمان الشهادة وإقامتها، فهذا وعيد للشاهد على كتمان شهادته لكيلا يكتمها"[2]، "ولما كان الإنسان في السفر يكون مستجمع القوى كامل الآلات تام الأهبة عبر بأداة الاستعلاء، فقال: ﴿عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ يعوز مثله إحضار كاتب، ﴿وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ﴾، أي: فيغنيكم عن الكتب رهن يكون بدلاً عنه...، وهو التوثقة بالشيء مما يعادله بوجه ما، وأشار بأن بدليتها لا تفيد إلا بما وصفها من قوله: ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾ أي: بيد رب الدين وثيقة لدينه.

---

[1] ينظر: **بحر العلوم**، للسمرقندي، (٢١٢/١)، وينظر: **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تح: أحمد محمد الخراط الناشر: دار القلم، دمشق، د، ط ت، (٦٧٧/٣)، ينظر: **روح المعاني**، للألوسي (٦٠/٢).

[2] **بحر العلوم**، للسمرقندي (٢١٢/١).

ولما كان التقدير: هذا إن تخوفتم من المداين، عطف عليه قوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ﴾ ولما كان الائتمان تارة يكون من الدائن وتارة يكون من الراهن قال: ﴿بَعْضُكُم بَعْضًا﴾، أي: فلم تفعلوا شيئًا من ذلك ﴿فَلْيُؤَدِّ﴾ أي: يعط، من الأداء وهو الإتيان بالشيء لميقاته.

ولما كان المراد التذكير بالإحسان بالائتمان ليشكر، ولم يتعلق غرض بكونه من محسن معين بني للمفعول قوله: ﴿ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ﴾ من الائتمان وهو طلب الأمانة وهو إيداع الشيء لحفيظته حتى يعاد إلى المؤتمن...، ﴿أَمَنَتَهُۥ﴾ وهو الدين الذي ترك المؤتمن التوثق به من المدين إحسانًا إليه وحسن ظن به، وكذا إن كان الائتمان من جهة الراهن.

﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ المستجمع لصفات العظمة ﴿رَبَّهُۥ﴾ أي: الذي رباه في نعمه وصانه من بأسه ونقمه وعطّف عليه قلب من أعطاه وائتمنه ليؤدي الحق على الصفة التي أخذه بها، فلا يخن في شيء مما اؤتمن عليه، ولما كانت الكتابة لأجل إقامة الشهادة، وكانت الأنفس مجبولة على الشح مؤسسة على حب الاستئثار فيحصل بسبب ذلك مخاصمات، ويشتد عنها المشاحنات، وربما كان بعض المخاصمين ممن يخشى أمره ويرجى بره، فيحمل ذلك الشهود على السكوت.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ﴾ أي: سواء كان صاحب الحق يعلمها أو لا، ولما نهى أتبع النهي التهديد، فقال: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ﴾ ولما كان محلها القلب الذي هو عمدة البدن قال: ﴿قَلْبُهُۥ﴾ ومن أثم قلبه فسد، ومن فسد قلبه فسد كله؛ لأن القلب قوام البدن، إذا فسد فسد سائر الجسد.

ولما كان التقدير: فإن الله سبحانه وتعالى عالم بأنه كتم وكان للشهداء جهات تنصرف بها الشهادة عن وجه الإقامة عطف عليه قوله -ليشمل التهديد تلك الأعمال بإحاطة العلم-: ﴿وَٱللَّهُ﴾ أي: المحيط بجميع صفات الكمال، ولما كان الإنسان هو المقصود الأعظم من سائر الأكوان، فكانت أحواله مضبوطة بأنواع من الضبط كأن العلم البليغ مقصور عليه؛ فلذلك قدم قوله: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: كله وإن دق سواء كان فعل القلب وحده أو لا ﴿عَلِيمٌ﴾ به سبحانه وتعالى[1].

الأحكام والمضامين المستنبطة من الآية:

أولاً: الأحكام المستنبطة من الآية:

١- مشروعية الرهن:

الأصل في مشروعية الرهن الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة.

---

[1] **نظم الدرر**، للبقاعي (٣/١٦٠-١٦٣).

أولاً: **دليل الكتاب** على مشروعية الرهن، قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾.

وجه الدلالة: ﴿فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ .

قال الإمام الماتريدي: "ذكر الرهن بدلاً عن الكتابة"[١].

وقال ابن كثير: "فليكن بدل الكتابة رهان مقبوضة في يد صاحب الحق"[٢].

ثانيًا: **دليل السنة**

فعن عائشة رضي الله عنها: ((أن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودي طعامًا إلى أجل معلوم، وارتهن منه درعا من حديد))[٣].

ثالثًا: **الإجماع**

قال القرطبي، والكيا الهراسي: "ولا خلاف بين علماء الأمصار أن الرهن مشروع بطريق الندب لا بطريق الوجوب"[٤]، "فالرهن جائز في السفر بنص الكتاب واتفاق الأمة"[٥].

٢- حكم الرهن في الحضر:

اختلف العلماء في الرهن عند الحضر على قولين:

القول الأول: الجمهور، وعامة الفقهاء على جوازه في السفر والحضر.

قال الجصاص: "ولا خلاف بين فقهاء الأمصار وعامة السلف في جوازه في الحضر"[٦]،

وقال القرطبي: "قال جمهور من العلماء: الرهن في السفر بنص التنزيل، وفي الحضر ثابت بسنة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وهذا صحيح"[٧].

وقال ابن قدامة "ويجوز الرهن في الحضر، كما يجوز في السفر"[٨].

وهذا ما بينه حديث رسول الله السابق ذكره من ((أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- اشترى من يهودي طعامًا إلى أجل ورهنه درعًا له من حديد))، وكان في الحضر.

---

[١] **تفسير الماتريدي** (٢/٢٧٦).

[٢] **تفسير ابن كثير** (١/٧٢٧).

[٣] **صحيح البخاري**، كتاب السلم، باب الرهن في السلم، (٣/٨٦)، برقم: (٢٢٥٢)، **وصحيح مسلم**، كتاب المساقاة، باب الرهن وجوازه في الحضر كالسفر، (٣/١٢٢٦)، برقم: (١٦٠٣).

[٤] **تفسير القرطبي** (٣/٤٠٤)، ينظر: **أحكام القرآن**، للكيا الهراسي (١/٢٣٨).

[٥] **الإقناع في مسائل الإجماع**، للفاسي (٢/١٩١).

[٦] **أحكام القرآن**، للجصاص (١/٦٣٤).

[٧] **تفسير القرطبي** (٣/٤٠٧).

[٨] **المغني**، لابن قدامة (٤/٢١٥).

القول الثاني: هو لبعض السلف[١]، وقد قال مجاهد[٢]: "لا يكون الرهن إلا في السفر"[٣].

القول الراجح: هو قول الجمهور، جواز الرهن في السفر، والحضر، وذكر السفر في الآية حملوه "على أنه خرج مخرج الغالب، إذ الغالب في السفر عدم الكاتب، والمفهوم إذا خرج الغالب لا يحتج به"[٤]، كما هو على "سبيل التمثيل للإعذار؛ لأنه مظنة فقدان الكاتب، وإعواز الإشهاد، فأقام التوثق بالرهن مقام الكتابة والشهادة، ونبه بالسفر على كل عذر، وقد يتعذر الكاتب في الحضر كأوقات الاشتغال والليل"[٥]، وغير ذلك من الأعذار، وقد صح عن رسول الله أنه رهن درعه عند اليهودي في الحضر.

ثانيًا: المضامين المستنبطة من الآية:

١- في الآية "أن الكتابة، والشهادة في الإقامة والرهان المقبوضة في السفر هدفها حماية الإنسان أمام ظروف ضغط المجتمع، ولكن هل يمنع الحق سبحانه وتعالى طموحية الإيثار؟ هل يمنع الحق سبحانه وتعالى رجولية التعامل؟ هل يمنع الحق سبحانه وتعالى المروءات من أن تتغلغل في الناس؟ لا، إنه الحق سبحانه يقول: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ إنه الطموح الإيماني، لم يَسُدّ الله مسألة المروءة والإيثار في التعامل...، ولكن؟ أنضمن أن يوجد التوثيق الإيماني عند كل الناس؟ أنضمن الظروف؟ نحن لا نضمن الظروف، فقد توجد الأمانة الإيمانية وقت التحمل والأخذ، ولا نضمن أن توجد الأمانة الإيمانية وقت الأداء"[٦].

٢- يستفاد من قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ أنه "ذكر إثم القلب، والإثم موضعه القلب لكنه يشيع في الجوارح"[٧].

---

[١] وقال الضحاك: إن الرهن لا يكون إلا في السفر لا في الحضر، وبفقدان الكاتب، ينظر: **تفسير الطبري** (١٢٥/٥).

[٢] مجاهد بن جبر الإمام أبو الحجاج المخزومي، المقرئ المفسر الحافظ، سمع سعدا وعائشة وأبا هريرة وابن عباس ولزمه مدة وقرأ عليه القرآن وكان أحد أوعية العلم، روى عنه قتادة والحكم بن عتيبة وخلق، قال مجاهد عرضت القرآن علي بن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية أسأله فيم نزلت؟ وكيف كانت، قال خصيف: أعلمهم بالتفسير مجاهد، (ت: ١٠٣)، وقيل غير ذلك، ينظر: **تذكرة الحفاظ**، للذهبي (٧١/١)، وينظر: **طبقات المفسرين** للداوودي (٣٠٥/٢-٣٠٨).

[٣] **تفسير الطبري** (١٢٢/٥).

[٤] **الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية**، لنجم الدين الحنبلي (ص: ١١٥).

[٥] **البحر المحيط** لأبي حيان (٧٤٣/٢).

[٦] **تفسير الشعراوي** (١٢٢٥/٢).

[٧] **تفسير الماتريدي** (٢٨٨/٢).

يشهد له قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: ((... ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب))[1].

٣– في قوله تعالى: ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ﴾ أنه "أطلق هنا اسم الأمانة على الدين في الذمة، وعلى الرهن لتعظيم ذلك الحق؛ لأن اسم الأمانات له مهابة في النفوس، فذلك تحذير من عدم الوفاء به؛ لأنه لما سمي أمانة فعدم أدائه ينعكس خيانة؛ لأنها ضدها، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: ((أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك))[2].

والأداء: الدفع والتوفية، ورد الشيء أو رد مثله فيما لا تقصد أعيانه، ومنه أداء الأمانة وأداء الدين أي عدم جحده قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [سورة النساء: ٥٨]"[3]

---

[1] **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، من حديث النعمان بن بشير (٢٠/١)، برقم: (٥٢).

[2] **مستدرك الحاكم**، كتاب البيوع، (٥٣/٢)، برقم: (٢٢٩٦)، وقال حديث شريك، عن أبي حصين صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" وله شاهد عن أنس، وقال عنه الترمذي: "هذا حديث حسن غريب"، ينظر: **سنن الترمذي**، باب ما جاء في النهي للمسلم أن يدفع إلى الذمي الخمر يبيعها له، (٥٥٦/٣)، برقم: (١٢٦٤).

[3] **التحرير والتنوير**، لابن عاشور (١٢٢/٣، ١٢٣).

المطلب الثالث
مشروعية مكاتبة العبيد

قال الله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة النور: ٣٣].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

قال ابن كثير في بيان مدلول لفظ الكتابة في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾ "هذا أمر من الله تعالى للسادة إذا طلب منهم عبيدهم الكتابة أن يكاتبوا"[١]، فالعبيد "يطلبون الكتابة...، والكتابة هي أن يعقد مع عبده عقدا على مال بشرط أنه إذا أدى عتق"[٢].

فلفظ الكتابة في الآية يدل على الكتابة الحقيقية بين العبد وسيده "وسميت كتابة؛ لأن العبد كتب عليه الوفاء بالمال، والسيد كتب عليه العتق عند أدائه"[٣].

معنى الآية:

قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ﴾ أي: "وليجتهدوا في العفة كأن المستعف طالب من نفسه العفاف ﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ استطاعة تزوج من المهر والنفقة ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ حتى يقدرهم على المهر والنفقة، قال عليه الصلاة والسلام: ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء))[٤].

فانظر كيف رتب هذه الأوامر؛ فأمر أولاً بما يعصم من الفتنة، ويبعد عن مواقعة المعصية وهو غض البصر، ثم بالنكاح المحصن للدين المغنى عن الاحرام، ثم بعزة النفس الأمارة بالسوء عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن تقدر عليه ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ أي: المماليك الذين يطلبون الكتابة؛ فالذين مرفوع بالابتداء، أو منصوب بفعل يفسره

---

[١] **تفسير ابن كثير** (٥٢/٦).

[٢] **تفسير السمعاني** (٥٢٧/٣).

[٣] ينظر: **فتح الرحمن**، لمجير الدين المقدسي (٥٣٤/٤).

[٤] ينظر: **صحيح البخاري**، كتاب النكاح، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج...»(٣/٧)، برقم: (٥٠٦٥).

﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ وهو للندب ودخلت الفاء لتضمنه معنى الشرط...، وهو أن يقول لمملوكه كاتبتك على ألف درهم؛ فإن أداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي أن تعتق مني إذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك أن تفي بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت عليّ العتق ويجوز حالاً ومؤجلاً ومنجمًا وغير منجم لإطلاق الأمر.

﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ قدرة على الكسب أو أمانة وديانة والندبية معلقة بهذا الشرط ﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ أمر للمسلمين على وجه الوجوب بإعانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم من الزكاة؛ لقوله تعالى: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧]"[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ ورد عن جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما– قال: "كان عبد الله بن أبي ابن سلول[(٢)]، يقول لجارية له: اذهبي فابغينا شيئًا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة النور: ٣٣]"[(٣)].

وقوله: ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾، "أي: تعففًا عنه وهذه الإرادة محل الإكراه فلا مفهوم للشرط؛ لأن الإكراه لا يتصور إلا عند إرادة التحصن، فأما إذا لم ترد المرأة التحصن؛ فإنها بغي الطبع طوعًا، وكلمة إن وإيثارها على إذا إيذان بأن الباغيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن...، لأن الكلام ورد على سبب، وهو الذي ذكر في سبب نزول الآية، فخرج النهي على صورة صفة السبب وإن لم تكن شرطًا فيه"[(٤)].

قال السمرقندي في بيان معنى قوله: ﴿لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ "يعني: لتطلبوا بكسبهن وولدهن المال، ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ﴾، يعني: يجبرهن على الزنى، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ﴾ يعني: من بعد

---

(١) **تفسير النسفي** (٥٠٢/٢، ٥٠٣).

(٢) عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث ابن عبيد الخزرجي، أبو الحباب، المشهور بابن سلول، وسلول جدته لأبيه، من خزاعة: رأس المنافقين في الإسلام. من أهل المدينة. كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم، وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر، تقية، ولما تهيأ النبي صلى الله عليه وآله لوقعة أحد، انخزل أبيّ وكان معه ثلاثمائة رجل، فعاد بهم إلى المدينة، وكان كلما حلت بالمسلمين نازلة شمت بهم، وكلما سمع بسيئة نشرها، وكان لعبد الله بن أبى ابن اسمه عبد الله أيضا فأسلم وشهد بدرا، وكان يغمه حال أبيه وتثقل عليه صحبة المنافقين فمرض ابن أبي عشرين يوما بعد أن رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك (ت: ٥هـ). ينظر: **تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس**، حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري (ت: ٩٦٦هـ)، الناشر: دار صادر– بيروت، د، ط ت، (١٤٠/٢)، ينظر: **الطبقات الكبرى**، لابن سعد (٤٠٨/٣، ٤٠٩).

(٣) **صحيح مسلم**، كتاب التفسير، باب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾، (٢٣٢٠/٤)، برقم: (٣٠٢٩).

(٤) **السراج المنير**، للشربيني (٦٢٢/٢).

إجبارهن على الزنى، ﴿غَفُورٌ﴾ لذنوبهنّ ﴿رَّحِيمٌ﴾ يعني: الإماء، لأنهن كن مكرهات على فعل الزنى[1].

الأحكام والمضامين المستنبطة من الآية:

أولاً: الأحكام المستنبط من الآية:

١- مشروعية المكاتبة:

دل الكتاب والسنة والإجماع على مشروعيتها.

أولاً: الدليل من القرآن

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗا﴾.

ثانيًا: الدليل من السنة:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف))[2].

ثالثًا: الإجماع:

"وأما الإجماع: فلا خلاف بين الأمة أن الكتابة جائزة بين العبد وسيده إذا كانت على شروطها الجائزة"[3]، وممن نقل الأجماع ابن قدامة بقوله: "وأجمعت الأمة على مشروعية المكاتبة"[4].

٢- هل الأمر بالمكاتبة يفيد الوجوب أم الندب؟

اختلف العلماء فيها على قولين:

القول الأول: على أن الأمر للندب.

وبهذا قال الحنفية[5]، والمالكية[6]، والشافعية[7]، وهو قول للحنابلة[8].

---

[1] **بحر العلوم**، للسمرقندي (٢/ ٥١١، ٥١٢).

[2] **سنن الترمذي**، باب ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب وعون الله إياهم، (١٨٤/٤)، برقم: (١٦٥٥)، وقال هذا حديث حسن، وينظر: **السنن الصغرى للنسائي**، كتاب الجهاد، فضل الروحة في سبيل الله عز وجل، (١٥/٦)، برقم: (٣١٢٠).

[3] **المقدمات الممهدات**، لمحمد ابن رشد (١٧٢/٣).

[4] **المغني**، لابن قدامة (٣٣٣/١٠).

[5] **بدائع الصنائع**، للكاساني (١٣٤/٤).

[6] ينظر: **أحكام القرآن**، الابن العربي (٣٩٧/٣).

[7] ينظر: **أحكام القرآن**، للكيا الهراسي (٤٣٦/٢).

[8] **المغني**، لابن قدامة (٣٣٣/١٠).

القول الثاني: الأمر للوجوب.

وبهذا بعض أهل العلم[١]، وقولٌ للحنابلة[٢].

٣- حكم الاستعفاف:

"الاستعفاف لا خلاف في وجوبه لأجل أنه إمساك عما حرم الله، واجتناب المحارم واجب بغير خلاف"[٣]، قال الكيا الهراسي: "أمرهم بالتعفف -عند تعذر النكاح- عما حرمه الله تعالى، وذلك على الوجوب"[٤]، وقال القرطبي: "فأمر الله تعالى بهذه الآية كل من تعذر عليه النكاح ولا يجده بأي وجه تعذر أن يستعفف"[٥].

ثانيًا المضامين المستنبطة من الآية:

١- تدل الآية على أن "الاستعفاف وسيلة من وسائل الغنى؛ لأن الاستعفاف إنما نشأ من إرادة التقوى، وقد قال تعالى في قضية قرآنية: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [سورة الطلاق: ٢-٣]، فمن هذا الباب يأتيه غِنَى الله"[٦].

٢- في قوله: ﴿إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗا﴾ "دلالة القول بعلم العمل على ظاهر الأسباب دون تحقيق العلم به، حيث قال: ﴿إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗا﴾، وإنما يوصل ما ذكر من الخير بأسباب تكون لهم على نحو ما ذكروا فيه من الحرفة والوفاء وأداء الأمانة وأمثاله، وذلك أسباب توصل إلى الخير على أكبر الظن والعلم لا على الحقيقة، وفيه دلالة العمل بالاجتهاد على ما يرى بهم من ظاهر الأسباب"[٧].

٣- فائدة ذكر الكتابة في الآية لأنه؛ "لما كان في الكتب حفظ لحق كليهما أطلق على ذلك التسجيل كتابة؛ لأن ما يتضمنه هو عقد من جانبين، وإن كان الكاتب واحدًا والكتب واحدًا"[٨]، وهذا يدل على أهمية الكتابة في حفظ الحقوق، وصيانتها وقد وضحنا هذه المسألة في الفصل الأول.

---

[١] قول عطاء، والضحاك، وعمرو بن دينار، ينظر: **المغني**، لابن قدامة (٣٣٣/١٠).

[٢] **المغني**، لابن قدامة (٣٣٣/١٠).

[٣] **أحكام القرآن**، لابن العربي (٣٩٥/٣).

[٤] **أحكام القرآن**، للكيا الهراسي (٣١٣/٤).

[٥] **تفسير القرطبي** (٢٤٣/١٢).

[٦] **تفسير الشعراوي** (١٠٢٦٥/١٦).

[٧] **تفسير الماتريدي** (٥٦٠/٧).

[٨] **التحرير والتنوير**، لابن عاشور (٢١٩/١٨).

٤- يشير قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ إلى أنَّ "إضافة المال إلى الله لأنه ميسر أسباب تحصيله، وفيه إيماء إلى أن الإعطاء من ذلك المال شكر والإمساك جحد للنعمة قد يتعرض به الممسك لتسلب النعمة عنه"[١].

ولذلك جاء في الحديث عن أبي هريرة -ضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا))[٢].

---

[١] **المصدر السابق** (٢٢١/١٨).

[٢] **صحيح البخاري**، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى...،(١١٥/٢)، برقم: (١٤٤٢).

المبحث الثالث

استعمال لفظ الكتابة في سياق آيات القصاص والحدود

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: **حكم القصاص وعدالة التشريع فيه.**

المطلب الثاني: **تحريم قتل النفس المعصومة.**

المطلب الثالث: **وجوب القود في النفس والقصاص في الجراحات.**

المطلب الأول

حكم القصاص وعدالة التشريع فيه

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ ﴾ [سورة البقرة: ١٧٨].

مناسبة الآية لما قبلها:

قال أبو حيان: "ومناسبة هذه الآية لما قبلها[1]، أنه لما حلل ما حلل قبل، وحرم ما حرم، ثم أتبع بذكر من أخذ مالاً من غير وجهه، وأنه ما يأكل في بطنه إلا النار، واقتضى ذلك انتظام جميع المحرمات من الأموال، ثم أعقب ذلك بذكر من اتصف بالبر، وأثنى عليهم بالصفات الحميدة التي انطووا عليها، أخذ يذكر تحريم الدماء، ويستدعي حفظها وصونها، فنبه بمشروعية القصاص على تحريمها، ونبه على جواز أخذ مال بسببها، وأنه ليس من المال الذي يؤخذ من غير وجهه، وكان تقديم تبيين ما أحل الله وما حرم من المأكول على تبيين مشروعية القصاص لعموم البلوى بالمأكول؛ لأن به قوام البنية، وحفظ صورة الإنسان.

ثم ذكر حكم متلف تلك الصورة؛ لأن من كان مؤمنًا يندر منه وقوع القتل، فهو بالنسبة لمن اتصف بالأوصاف السابقة بعيد منه وقوع ذلك، وكان ذكر تقديم ما تعم به البلوى أعم، ونبه أيضا على أنه، وإن عرض مثل هذا الأمر الفظيع لمن اتصف بالبر، فليس ذلك مخرجًا له عن البر، ولا عن الإيمان؛ ولذلك ناداهم بوصف الإيمان، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ﴾"[2].

سبب نزول الآية:

ذكر الواحدي: أنه "كَانَ بين حَيَّين من أحياء العرب قتال، وكان لأحد الحيّين طَولٌ عَلَى الآخر، فقالوا: نقتل بالعبد منا الحر منكم، وبالمرأة الرجل؛ فنزلت هَذِهِ الآية"[3].

---

[1] قال تعالى: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧ ﴾ [سورة البقرة:١٧٧].

[2] **البحر المحيط** لأبي حيان (١٤٣/٢).

[3] **أسباب النزول**، للواحدي (ص: ١٥٦).

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

قال الإمام الطبري: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ أي: "فرض عليكم"[1]، ومنه قول الشاعر:

كُتِبَ القَتْلُ والقِتَالُ عَلَيْنَا ** وَعَلَى الغَانِيَاتِ جَرُّ الذُّيولِ[2]

"وأصل الكتابة: الخط الذي يقرأ، وعبر به هنا عن معنى الإلزام والإثبات، أي: فرض وأثبت؛ لأن ما كتب جدير بثبوته وبقائه، وقيل: هو على حقيقته، وهو إخبار عن ما كتب في اللوح المحفوظ، وسبق به القضاء"[3].

وقيل: كتب عليكم بمعنى "شرع لكم"[4].

فيكون مدلول اللفظ في الآية على الفرض، والإلزام والإثبات، والكتابة الحقيقية في اللوح المحفوظ، وبمعنى: شرع لكم.

معنى الآية:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى﴾ "إذا كان عمدًا وذلك أن حيين من العرب اقتتلوا في الجاهلِيَّة قبل الاسلام بقليل، وكانت بينهم قتلى وجرحى، حَتَّى قُتِل العبيد والنساء، فلم يأخذ بعضهم من بعض الأموال حَتَّى أسلموا، وكان أحد الحيين له طول على الآخر في العدد والأموال، فحلفوا ألا نرضى حتى يقتل بالعبد مِنَّا الحر منهم، وبالمرأة مِنَّا الرَّجُل منهم، فأنزل الله -عَزَّ وَجَلّ-: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ فسوى بينهم فِي الدماء، وأمرهم بالعدل فرضوا فصارت منسوخة نسختها قوله -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَكَتَبْنَا﴾ [سورة المائدة: ٤٥].

فيما قضينا ﴿عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ يعني: النَّفْس: المسلم الحر بالنفس: المسلم الحر، والمسلمة الحرة بالمسلمة الحرة ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ ثُمّ رجع إلى أول الآية في قوله -سبحانه-: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى﴾ إذا كان عمدًا، إذا عفى ولي المقتول عن أخيه القاتل ورضي بالدية ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ يعني: الطالب ليطلب ذلك في رفق، ثُمّ قال للمطلوب: ﴿وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ يقول: ليؤدي الدية إلى الطالب عفوًا في غير مشقة، ولا أذى ذلك العفو والدية ﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ إذ جعل في قتل العمد العفو والدية.

---

[1] **تفسير الطبري** (٩٣/٣).

[2] **ديوان عمر بن أبي ربيعة**، عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، (ت: ٧١١ م /٩٣ هـ)، تح: أحمد أكرم الطباع، الناشر: دار القلم، بيروت – لبنان، د، ط ت، (ص: ١٧٦).

[3] **البحر المحيط** لأبي حيان (١٤٣/٢).

[4] **التسهيل لعلوم التنزيل**، لابن جزي (١٠٩/١).

ثُمّ قال: ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ يعني: وتراحموا وكان الله -عَزَّ وَجَلّ- حكم على أهل التوراة أن يقتل القاتل، ولا يعفى عنه، ولا يقبل منه الدية، وحكم على أهل الإنجيل العفو، ولا يقتل القاتل بالقصاص، ولا يأخذ وليّ المقتول الدية ثمّ جعل الله -عَزَّ وَجَلّ- التخفيف لأمة محمد -صلى الله عليه وسلم- إن شاء ولي المقتول قتل القاتل، وإن شاء عفا عنه، وإن شاء أخذ منه الدية، فكان لأهل التوراة أن يقتل قاتل الخطأ والعمد فرخص الله -عز وجل- لأمة محمد -صلى الله عليه وسلم- فذلك قوله -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٧]، من التشديدات، وهي أن يقتل قاتل العمد ولا يعفي عنه ولا يؤخذ منه الدية، ثمّ قال: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني: وجيع فإنه يقتل، ولا يؤخذ منه دية"[1].

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((لا أعفي عن أحد قتل بعد أخذ الدية))[2].

الأحكام والمضامين المستنبطة من الآية:

أولاً: الأحكام المستنبطة من الآية:

١-حكم القصاص:

دل الكتاب والسنة والإجماع على مشروعية القصاص.

اولاً: دليل الكتاب.

هناك آيات كثيرة تدل على مشروعيته منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ ، ومنها أيضًا قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ . . .﴾ [سورة المائدة: ٤٥]، وقوله: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٩].

ووجه الدلالة من الآيات السابقة: أن المسلم معصوم الدم إذا اعتدى عليه أحد بالقتل العمد العدوان كان من حق أوليائه القصاص من القاتل.

---

(١) **تفسير مقاتل**، (٩٤/١، ٩٥)، وينظر: **الوجيز**، للواحدي (ص: ١٤٧).

(٢) **سنن أبي داود**، كتاب الديات، باب من يقتل بعد أخذ الدية، (١٧٣/٣)، برقم: (٤٥٠٧)، وقال الإشبيلي "هذا حديث منقطع" ينظر: **الأحكام الوسطى من حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-**، عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد إبراهيم الأزدي، الأندلسي الأشبيلي، المعروف بابن الخراط (ت: ٥٨١ هـ)، تح: حمدي السلفي، صبحي السامرائي، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، (٦٤/٤).

ثانيًا: **دليل السنة**:

الأحاديث كثيرة نذكر بعضًا منها.

قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: ((لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة))[١].

وقد ورد: ((أن غلامًا قُتل غيلة[٢]، فقال عمر: لو اشترك فيها أهل صنعاء لقتلتهم))[٣].

ثالثًا: **الإجماع**:

أجمعت الأمة على وجوب القصاص في القتل العمد بشروطه[٤].

"وأجمع المسلمون أن قتل القاتل، باجتماع الأولياء على قتله. وإن قتل الرجل نفرًا"[٥].

"وقد اتفق المسلمون جميعًا على ثبوت القصاص في الأنفس ولم يخالف في ذلك أحد"[٦].

٢–هل الآية منسوخة ام محكمة؟

اختلف العلماء فيها على أربعة أقوال:

القول الأول: أنها منسوخة بعموم آية المائدة، أي: أنه يقتل الحر بالعبد، وهو قول بعض المفسرين[٧]، قال ابن الجوزي: "ذهب جماعة من المفسرين إلى أن دليل خطاب هذه الآية منسوخ؛ لأنه لما قال: الحر بالحر اقتضى أن لا يقتل العبد بالحر، وكذلك لما قال: والأنثى بالأنثى اقتضى

---

[١] **صحيح البخاري**، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿أن النفس بالنفس والعين بالعين ...﴾،(٥/٩)، برقم: (٦٨٧٨)، **وصحيح مسلم**، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب ما يباح به دم المسلم، من عبد الله بن مسعود، (١٣٠٢/٣)، برقم: (١٦٧٦).

[٢] والغِيلة: القتل سِرًا أو خديعة يعني "يخدعه حتى يخرج إلى موضع يخفى فيه فيقتله" ينظر: **غريب الحديث**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تح: عبد المعطي أمين القلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٥ – ١٩٨٥، (١٧٥/٢).

[٣] **صحيح البخاري**، كتاب الديات، باب إذا أصاب قوم من رجل، هل يعاقب أو يقتص منهم كلهم، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، (٨/٩)، برقم: (٦٨٩٦).

[٤] ينظر: **أحكام القرآن للشافعي – جمع البيهقي**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، كتب هوامشه: عبد الغني عبد الخالق، قدم له: محمد زاهد الكوثري، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة، ط٢، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م، (٢٧٤/١)، **المغني**، لابن قدامة (٢١٤/٨).

[٥] **الإقناع في مسائل الإجماع**، للفاسي (٢٧٥/٢).

[٦] **السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن حزم، ط ١، د، ت، (ص: ٨٧٤).

[٧] ينظر: **زاد المسير**، لابن الجوزي (١٣٧/١)، **تيسير البيان لأحكام القرآن**، لابن الخطيب اليمني (٢٠٣/١).

أن لا يقتل الذكر بالأنثى من جهة دليل الخطاب، وذلك منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [سورة المائدة: ٤٥]"[١].

القول الثاني: أنها محكمة وأن الحر لا يقتل بالعبد، وهو قول ابن عباس وبعض المالكية[٢]. والشافعية[٣]، والحنابلة[٤].

قال القرطبي: "فالآية محكمة، وفيها إجمال يبينه قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾، وبينه النبي –صلى الله عليه وسلم– بسنته لما قتل اليهودي بالمرأة [٥]، قاله مجاهد ...، وقاله ابن عباس"[٦].

وقال الكيا الهراس: "أن الأظهر ما قلناه من جعل القصاص على هذا الوجه، فتقديره: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ وكيفيته ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ﴾ الآية؛ فمن هذا صار الشافعي إلى أن الحر لا يقتل بالعبد"[٧].

القول الثالث: أنها جاءت للبيان، وليست ناسخة ولا منسوخة، وعليه يبقى حكم القصاص على عمومه من قتل الحر بالعبد والكافر وهو قول الأحناف[٨].

قال الجصاص: "وأما قوله: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ﴾ فلا يوجب تخصيص عموم اللفظ في القتلى؛ لأنه إذا كان أول الخطاب مكتفيا بنفسه غير مفتقر إلى ما بعده لم يجز لنا أن نقصره عليه

---

[١] **زاد المسير**، لابن الجوزي (١٣٧/١).

[٢] **تفسير القرطبي** (٢٤٦/٢)، **وبداية المجتهد و نهاية المقتصد**، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (ت: ٥٩٥ هـ)، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٤، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م (٣٩٨/٢).

[٣] ينظر: **الأم**، للشافعي (١٠/٦)، و**أحكام القرآن**، للكيا الهراس (٤٣/١).

[٤] ينظر: **الكافي في فقه الإمام أحمد**، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م (٢٥٣/٣)، وينظر: **المبدع في شرح المقنع**، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (ت: ٨٨٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، (٢١٤/٧).

[٥] ينظر: **صحيح البخاري**، كتاب الديات، باب قتل الرجل بالمرأة (٧/٩)، برقم: (٦٨٨٥).

[٦] **تفسير القرطبي** (٢٤٦/٢).

[٧] **أحكام القرآن**، للكيا الهراس (٤٣/١).

[٨] ينظر: **أحكام القرآن**، للجصاص (١٦٥/١)، **والمبسوط** للسرخسي (ت: ٤٨٣هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت تاريخ النشر: ١٤١٤هـ –١٩٩٣م، د، ط (١٢٩/٢٦).

وقوله: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ﴾ إنما هو بيان لما تقدم ذكره على وجه التأكيد وذكر الحال التي خرج عليها الكلام وهو ما ذكره الشعبي[١]، وقتادة"[٢].

القول الرابع: أنها مخصوصة بحادثة بعينها وليست عامة[٣].

هي مخصوصة في فرقتين تقاتلتا على عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وقع بينهما قتلى، وأمر النبي –صلى الله عليه وسلم– أن يفادى بينهم ديات النساء بديات النساء، وديات الرجال بديات الرجال[٤]، فهي في شيء بعينه"[٥].

الراجح: **الذي يظهر للباحث**: هو القول الثاني أنها محكمة وفيها إجمال بينته سورة المائدة.

وحمل آية المائدة على البيان لما أُجمل في هذه الآية من الأحكام الأخرى مثل أمر النبي– صلى الله عليه وسلم– بقتل اليهودي الذي قتل المرأة.

٣– القاتل لا يصير كافرًا ولا مخلدًا في النار

"في هذه الآية دليل على إنّ القاتل لا يصير كافرًا، ولا يبقى خالدًا في النّار؛ لأنّ الله تعالى خاطبهم فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ﴾ ولا خلاف إنّ القصاص واقع في العمد فلم يسقط عنه اسم الايمان بارتكاب هذه الكبيرة، وقال في آخر الآية: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ﴾ فسمى القاتل أخًا المقتول، وقال: ﴿ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞ﴾ وهما يخصّان المؤمنين دون الكافرين"[٦].

---

[١] عامر بن شراحيل بن عبد الشعبي، من همدان، ولد لست سنين خلت من خلافة عثمان، روي أن ابن عمر مر به وهو يحدث بالمغازي، فقال: شهدت القوم وأنه أعلم بها مني، وقال ابن سيرين لأبي بكر الهذلي: الزم الشعبي فلقد رأيته يستفتي وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالكوفة، وقال أبو حصين: ما رأيت أعلم من الشعبي، قلت: ولا شريح؟ قال: تريد أن أكذب؟ ما رأيت أعلم من الشعبي. وقال مكحول: ما رأيت أحدًا أعلم بسنة ماضية من عامر الشعبي، استقضى عامر الشعبي في إمارة عُمَر بْن عَبْد العزيز، (ت: ١٠٤هـ) وقيل غير ذلك، ينظر: **طبقات الفقهاء**، أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت: ٤٧٦هـ)، هذبهُ: محمد بن مكرم ابن منظور (ت: ٧١١هـ)، تح: إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٧٠م (ص: ٨١)، وينظر: **أخبار القضاة**، أَبو بكْر محمّد بن خلفِ بنِ حيَّان بْنِ صدقَةَ الضَبي، المُلَقَّب بِوكِيع" (ت: ٣٠٦هـ)، تح: صححه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، بشارع محمد علي بمصر لصاحبها: مصطفى محمد، ط ١، ١٣٦٦هـ–١٩٤٧م، (٢/٤١٣– ٤٢١).

[٢] **أحكام القرآن**، للجصاص (١/١٦٥).

[٣] انظر: **تفسير الطبري** (٣/٩٧)

[٤] وهذه لم أقف عليها إلا عند صاحب تيسير البيان لأحكام القرآن (١/٢٠٣)، ونسبه للطبري، ولم أجده بهذا اللفظ.

[٥] ينظر: **تفسير الطبري** (٣/٩٧)، **وتيسير البيان لأحكام القرآن**، لأبن الخطيب اليمني (١/٢٠٣).

[٦] **تفسير الثعلبي** (٢/٥٦).

٤- **سقوط القصاص بعفو أحد أولياء الدم.**

"وإن عفا أحدهم لم يكن لغيرهم قود، وإنما يكون لهم حصتهم من الدية"[١].

وذلك "أنه إذا عفا بعض الأولياء عن القصاص سقط القصاص في حق الجميع؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾؛ وهي نكرة تعم القليل، والكثير؛ لأنها في سياق الشرط؛ وعلى هذا فلو كان لأحد ورثة المقتول جزء من ألف جزء من التركة، ثم عفا عن القصاص انسحب العفو على الجميع؛ لأن الجزء الذي عفا عنه لا قصاص فيه؛ والقصاص لا يتبعض؛ إذ لا يمكن قتل القاتل إلا جزءًا من ألف جزء منه"[٢].

ثانيًا: المضامين المستنبطة من الآية:

١- يستفاد من الآية أن "القصاص بالعدل والمساواة هو الذي يربّى الأمم والشعوب، وتركه يغرى الأشقياء، ويجرئهم على سفك الدماء، فإن عقوبة السجن لا تزجر كثيرا من الناس، بل يرون السجون خيرا لهم من بيوتهم"[٣]، وخاصة هذه الأيام التي أصبحت النفس غير مصونة وغير مرعية، وأصبحت الحقوق مهدرة فما أحوجنا اليوم إلى تطبيق الحدود لتقل الجريمة وتنزل السكينة والطمأنينة في المجتمعات، وما أكثر "الجرائم، والقتل عند الأمم التي عدلت عن منهج الله تعالى، وحكمت بالقوانين الوضعية، فلم تجازِ الجاني بما يستحق، بل حكمت عليه بمجرد السجن، تمدُّنًا ورحمةً بِهِ، ولم ترحم المقتول الذي فقد حياته، ولم ترحم أهله وأولاده الذين فقدوا عمدتهم، ولم ترحم الإنسانية التي أصبحت خائفة غير آمنة على دمائها من هؤلاء الفتاكين المجرمين، لم يفكِّروا في هذه العواقب والمصائب التي حلَّت بهم؛ لأنَّهم ليسوا من أولي الألباب"[٤].

٢- وتشير الآية أن تشريع القصاص يحمى الإنسان من أخيه الإنسان؛ ولأنه بقيام القصاص تكون حياة كريمة آمنة لا اعتداء فيها ولا إفساد، والله قد قال: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٩]؛ ولأن في القصاص إبطال للعادات الجاهلية، التي كان يقتل فيها الألف بالواحد، ولا يقتل قاتل الكبير، ولا يرضون أن تكون النفس بالنفس، ولقد كان في القصاص قتل لروح الحسد والحقد في النفس، أو تخفيف لآثار الحسد، أو حمل للحسود على أن يضبط نفسه، إذ يرى العقاب يترصده، ولقد قال الله- سبحانه وتعالى- عن أثر الحسد الذى حمل

---

[١] **المنتقى شرح الموطإ**، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (ت: ٤٧٤هـ)، الناشر: مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، ط ١، ١٣٣٢ هـ، (١٢٥/٧).

[٢] **تفسير الفاتحة والبقرة**، لابن عثيمين (٣٠٢/٢).

[٣] **تفسير المراغي** (٦١/٢).

[٤] **توضِيحُ الأحكَامِ مِن بُلوُغِ المَرَام**، أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم التميمي (ت: ١٤٢٣هـ)، الناشر: مكتَبة الأسدي، مكّة المكرّمة، ط ٥، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، (٧٤/٦).

قابيل[1]، على أن يقتل هابيل[2]، أخاه التقى الذى تقبل الله سبحانه وتعالى قربانه ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [سورة المائدة: ٣٢][3].

٣- في الآية: "أن جرائم الاعتداء على الأشخاص قد جعل الإسلام لإرادة المجني عليه أو أوليائه دورًا أساسيًا في منع وقوع العقاب على الجاني؛ حيث قرر جواز العفو وأنه من حق المجني عليه؛ بل ندبه إلى ذلك وأجزل له الثواب في الآخرة: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ فله أن يعفو عنه إلى الدية أو مطلقًا من غير عوض دنيوي؛ قال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٧]"[4].

٤- "وفي الناس مَنْ لا يستجيب لداعي الإيمان لضعف عقيدته، فيقوى عنده داعي ارتكاب المحظورات، فيحصل منه تعد على الآخرين في أنفسهم، أو أعراضهم، أو أموالهم، فشرعت العقوبة في الدنيا لتمنع الناس من اقتراف هذه الجرائم؛ لأن مجرد الأمر والنهي لا يكفي عند بعض الناس على الوقوف عند حدود الله، ولولا هذه العقوبات لاجترأ كثير من الناس على ارتكاب الجرائم والمحرمات، والتساهل في المأمورات، وفي إقامة الحدود حفظ حياة ومصلحة البشرية، وزجر النفوس الباغية، وردع القلوب القاسية الخالية من الرحمة والشفقة، وإن في تنفيذ القصاص كفًا للقتل، وزجرًا عن العدوان، وصيانة للمجتمع، وحياة للأمة، وحقنًا للدماء، وشفاءً لما في صدور أولياء المقتول، وتحقيقًا للعدل والأمن، وحفظًا للأمة من وحشي يقتل الأبرياء، ويبث الرعب في البلد ويتسبب في حزن الأهل، وترمّل النساء، ويتم الأطفال، قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [سورة البقرة: ١٧٩]"[5].

---

[1] قابيل ويقال قابن، ويقال قاين أيضًا، وهو قابيل بن آدم أبي البشر الذي قتل أخاه كان يسكن قينية، باب خارج باب الجابية وإنه قتل أخاه في جبل قاسيون عند مغارة الدم، قابيل قاتل أخاه هابيل، وقد ذكر الله قصتهما في كتابه، وكان أكبر ولد آدم قابيل وتؤمه، ينظر: **تاريخ دمشق**، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، تح: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، (٣٤/٤٩، ٣٥).

[2] هابيل بن آدم، وهو الذي قتله أخوه قابيل، قيل إنه كان يسكن سطرا، عن مجاهد أنه بلغه أن آدم لما هبط إلى الأرض هبطت معه حواء وإبليس فولدت لآدم هابيل وقابيل، وكان هابيل صاحب ماشية وكان قابيل صاحب حرث وكان قربانهما أن يتقربا بقربان ثم يلقيانه على وجه الأرض حتى تأتي نار فتأكله أو يبليه الدهر وكان هابيل يتقرب بجلة غنمه، وصحاحها، وخيارها وكان قابيل يتقرب بزؤان، ونفاية الحنطة فتأتي نار من السماء فتأكل قربان هابيل ولا تقرب قربان قابيل فغاظه ذلك فلما نام هابيل أخذ قابيل حجرا فاضرب به رأسه فلما قتله حمله ثلاثة أيام يطوف به الأرض يظعن به إذا ظعن وينزل به إذا نزل حتى بعث الله الغرابين فاقتتلا وقابيل ينظر إليهما فقتل أحدهما صاحبه فحفر له حتى أعمق فدفنه، ينظر: **تأريخ دمشق**، لابن عساكر (٣/٦٤، ٤).

[3] ينظر: **خاتم النبيين**، لأبي زهرة (٢/٥٩٤).

[4] **موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام**، أحمد بن سليمان أيوب، ونخبة من الباحثين، وإشراف: سليمان الدريع الناشر: دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع، دار وقفية دعوية، ط ١، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م، (٥/٢٢٤).

[5] **موسوعة الفقه الإسلامي**، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، الناشر: بيت الأفكار الدولية، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م، (٥/٣٠، ٣١).

المطلب الثاني
تحريم قتل النفس المعصومة

قال الله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة المائدة: ٣٢].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

قال أبو حيان: "ومعنى ﴿كَتَبْنَا﴾ أي: كتب بأمرنا في كتب منزلة عليهم تضمنت فرض ذلك"[١].

وقيل: ﴿كَتَبْنَا﴾ "أي: حكمنا"[٢].

وقال ابن كثير: ﴿كَتَبْنَا﴾ أي: "شرعنا لهم وأعلمناهم"[٣].

معنى الآية:

"يقول تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ﴾ قتل ابن آدم أخاه ظلما وعدوانا: ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: شرعنا لهم وأعلمناهم، ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾، أي: ومن قتل نفسًا بغير سبب من قصاص، أو فساد في الأرض، واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية، فكأنما قتل الناس جميعا؛ لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس.

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ أي: حرم قتلها واعتقد ذلك، فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار؛ ولهذا قال: ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾، أي: بالحجج والبراهين والدلائل الواضحة ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ وهذا تقريع لهم وتوبيخ على ارتكابهم المحارم بعد علمهم بها، كما كانت بنو قريظة والنضير وغيرهم من بني قينقاع[٤]، ممن

---

[١] **البحر المحيط** لأبي حيان (٢٣٧/٤).

[٢] **الهداية إلى بلوغ النهاية**، للقيرواني (١٦٨٦/٣).

[٣] **تفسير ابن كثير** (٩٢/٣).

[٤] وهو اسم لشعب من اليهود الذين كانوا بالمدينة أضيف إليهم سوق كان بها ويقال سوق بني قينقاع" ينظر: **معجم البلدان**، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥م، (٤٢٤/٤).

حول المدينة من اليهود، الذين كانوا يقاتلون مع الأوس والخزرج إذا وقعت بينهم الحروب في الجاهلية، ثم إذا وضعت الحروب أوزارها فدوا من أسروه، وودوا من قتلوه، وقد أنكر الله عليهم ذلك في سورة البقرة، حيث يقول: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة البقرة: ٨٤-٨٥]"[(١)].

وخص ابن عباس النفس المقتولة بالأنبياء والأئمة العادلون في الحكم فقال: "معناه من قتل نبيًا أو إمامًا عدلاً فكأنما قتل الناس جميعًا، ومن أعان نبيًا أو إمامَ عدلٍ فنصره من القتل، فكأنما أحيا الناس جميعًا.

وقيل المعنى: من قتل نفسًا بغير ذنب فكأنما قتل الناس جميعًا، ومن أحياها، أي: ترك قتلها مخافة الله فكأنما أحيا الناس جميعًا، وقيل المعنى: فكأنما قتل الناس عند المقتول، ومن استنقذ نفسًا من هلكة فكأنما أحيا الناس جميعًا عند المستنقذ، وقيل: المعنى: أن صاحب القتل يَصْلى النار، فهو بمنزلة من قتل الناس جميعًا، ومَن سَلِم مِن قتلها فكأنما سلم من قتل الناس جميعًا"[(٢)].

"فإن قلت: من أجل ذلك معناه من أجل ما مر من قصة قابيل وهابيل، كتبنا على بني إسرائيل، وهذا مشكل؛ لأنه لا مناسبة بين واقعة قابيل وهابيل وبين وجوب القصاص على بني إسرائيل.

قلت: قال بعضهم: هو من تمام الكلام الذي قبله، والمعنى فأصبح من النادمين من أجل ذلك، أي: من أجل أنه قتل هابيل ولم يواره، ويروى عن نافع[(٣)]، أنه كان يقف على قوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ ويجعله تمام الكلام الأول، فعلى هذا يزول الإشكال، لكن جمهور المفسرين وأصحاب المعاني على أن قوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ ابتداء كلام، وليس يوقف عليه؛ فعلى هذا قال بعضهم: إن قوله ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ ليس هو إشارة إلى قصة قابيل وهابيل، بل هو إشارة إلى ما مر ما ذكره في

---

(١) ينظر: **تفسير ابن كثير** (٣/٩٢، ٩٤)، وينظر: **تفسير البيضاوي** (٢/١٢٤).

(٢) **الهداية إلى بلوغ النهاية**، للقيرواني (٣/١٦٨٦، ١٦٨٧).

(٣) نافع بن عبد الرحمن ابن أبي نعيم الليثي، مولاهم أبو رويم المقرئ المدني، أحد الأعلام، قرأ على طائفة من تابعي أهل المدينة، وكان أسود اللون حالكا وأصله من أصبهان، قال أبو قرة موسى بن طارق: سمعته يقول: قرأت على سبعين من التابعين، (ت: ١٦٩هـ)، ينظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، (ص: ٦٤).

هذه القصة من أنواع المفاسد الحاصلة بسب هذا القتل الحرام منها قوله: ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [سورة المائدة: ٣٠].

وفيه إشارة إلى أنه حصلت له خسارة في الدين والدنيا والآخرة، ومنها قوله: ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [سورة المائدة: ٣١]، وفيه إشارة إلى أنه حظر في أنواع الندم والحسرة والحزن، مع أنه لا دافع لذلك البتة، فقوله: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾، أي: من أجل ذلك الذي ذكرنا في أثناء القصة من أنواع المفاسد المتولدة من القتل العمد المحرم شرعنا القصاص على القاتل.

فإن قلت: فعلى هذا تكون شريعة القصاص حكمًا ثابتًا في جميع الأمم، فما الفائدة بتخصيصه ببني إسرائيل.

قلت: إن وجوب القصاص وإن كان عامًّا في جميع الأديان والملل إلا أن التشديد المذكور هاهنا في حق بني إسرائيل غير ثابت في جميع الأديان والملل؛ لأنه تعالى حكم في هذه الآية بأن من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعًا ولا يشك أن المقصود منه المبالغة في عقاب قاتل النفس عدوانا، وأن اليهود مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة أقدموا على قتل الأنبياء والرسل، وذلك يدل على قساوة قلوبهم وبعدهم عن الله عز وجل، ولما كان الفرض من ذكر هذه القصة تسلية النبي –صلى الله عليه وسلم– على ما أقدم عليه اليهود بالفتك بالنبي –صلى الله عليه وسلم– وبأصحابه؛ فتخصيص بني إسرائيل في هذه القصة بهذه المبالغة مناسب للكلام، وتوكيد للمقصود، والله أعلم بمراده"[١].

المضامين المستنبطة من الآية:

١– في الآية: "خُص بني إسرائيل بالذكر، وإن كان قبلهم أمم حرم عليهم قتل النفس وكان القصاص فيهم؛ لأنهم على ما روي أول أمة نزل الوعيد عليهم في قتل النفس، وغلظ الأمر عليهم بحسب طغيانهم وسفكهم الدماء، ولتظهر مذمتهم في أن كتب عليهم هذا، وهم مع ذلك لا يرعوون ولا يفقهون، بل هموا بقتل النبي –صلى الله عليه وسلم– ظلمًا"[٢].

٢– ومن الآية استدل "القائلون بالقياس استدلوا بالآية على أنّ أحكام الله تعالى قد تكون معللة بالعلل؛ لأنه صرّح بأن الكتبة معللة بتلك المعاني المشار إليها بقوله: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا﴾"[٣].

٣– تبين الآية أن "تعظيم قتل النفس والتشديد فيه لينزجر الناس عنه، وكذلك الثواب في إحيائها كثواب إحياء الجميع لتعظيم الأمر والترغيب فيه"[٤].

---

[١] **لباب التأويل**، للخازن (٣٦/٢).

[٢] **البحر المحيط** لأبي حيان (٢٣٧/٤).

[٣] **تفسير النيسابوري** (٥٨٢/٢).

[٤] **التسهيل لعلوم التنزيل**، لابن جزي (٢٢٩/١).

٤- ومن المضامين: أن "وجوب القصاص، وإن كان عامًا في جميع الأديان والملل إلّا أنّ التشديد المذكور في الآية- وهو أن قتل النفس الواحدة جار مجرى قتل جميع الناس غير ثابت إلّا على بني إسرائيل، والغرض بيان قساوة قلوبهم فإنهم مع علمهم بهذا الحكم أقدموا على قتل الأنبياء والرسل، فيكون فيه تسلية لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-"[١].

٥- وفي الآية "توضيح لإرادة الحق في تأسيس الوحدة الإيمانية ليجعل من المجتمع الإيماني رابطة يوضحها قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك أصابعه))[٢]؛ لأن الوحدة الإيمانية تجعل المؤمنين جميعًا كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسّهر والحُمى[٣]، فإن قَتل إنسان إنسانًا آخر ووقف المجتمع الإيماني موقف العاجز، فهذا إفسادٌ في الأرض، ولذلك يجب أن يقابل المجتمع مثل هذا الفعل لا على أساس أنه قتل نفسا واحدة، بل كأنه قتلٌ للناس جميعًا ما لم يكن قتل النفس لقصاص أو إفساد في الأرض"[٤].

---

[١] **تفسير النيسابوري** (٥٨٢/٢).

[٢] **صحيح البخاري**، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، رواه أبو موسى الأشعري (١٠٣/١)، برقم: (٤٨١).

[٣] ينظر: **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (١٩٩٩/٤)، برقم: (٢٥٨٦).

[٤] ينظر: **تفسير الشعراوي** (٣٠٨٧/٥).

المطلب الثالث

وجوب القود في النفس والقصاص في الجراحات

قال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة المائدة: ٤٥] .

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾ أي: "فرضنا عليهم فيها"[١]، وقيل و "أوجبنا"[٢].

وقال أبو حيان: ومعنى: ﴿وَكَتَبْنَا﴾ أي: "فرضنا وقيل: قلنا والكتابة بمعنى القول ويجوز أن يراد الكتابة حقيقة، وهي الكتابة في الألواح، لأن التوراة مكتوبة في الألواح"[٣].

وخلاصة الأقوال في دلالة اللفظ على النحو التالي: الكتابة بمعنى: الفرض، وبمعنى: الوجوب، وبمعنى: القول، وبمعنى: الكتابة الحقيقية.

معنى الآية:

قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾ "أي: أوجبنا على بني إسرائيل في التوراة، أن النفس بالنفس، يعني: من نفس القاتل بنفس المقتول وفاء يقتل به، والعين بالعين، تفقأ بها، والأنف بالأنف، يجدع به، والأذن بالأذن، تقطع بها، قال ابن عباس: أخبر الله تعالى بحكمه في التوراة وهو: أن النفس بالنفس واحدة بواحدة إلى آخرها، فما بالهم يخالفون فيقتلون بالنفس النفسين، ويفقأون بالعين العينين...، والسن بالسن، تقلع بها وسائر الجوارح قياس عليها في القصاص، والجروح قصاص، فهذا تعميم بعد تخصيص؛ لأنه ذكر العين والأنف والأذن والسن، ثم قال: والجروح قصاص، أي: فيما يمكن الاقتصاص منه كاليد والرجل واللسان ونحوها، وأما ما لا يمكن الاقتصاص فيه من كسر عظم أو جرح لحم كالجائفة ونحوها فلا قصاص فيه؛ لأنه لا يمكن الوقوف على نهايته"[٤].

"والمراد منه كل ما يمكن المساواة فيه من الأطراف كالذكر والأنثيين والإليتين والقدمين واليدين، ومن الجراحات المضبوطة كالموضحة مثلا وهي التي توضح العظم وتبدي وضحه وهو الضوء

---

[١] **تفسير النيسابوري** (٢/٥٩٧).

[٢] **تفسير البغوي**، (٢/٥٥).

[٣] **البحر المحيط** لأبي حيان (٤/٢٧١).

[٤] **تفسير البغوي** (٢/٥٥، ٥٦)، وينظر: **تفسير النسفي** (١/٤٥٠).

والبياض، وكذا منافع الأعضاء والأطراف كالسمع والبصر والبطش، فأما الذي لا يمكن القصاص فيه كرض في لحم أو كسر في عظم أو خدش وإدماء في جلد ففي ذلك أرش أو حكومة"[١].

وقوله: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ "أي: عفا عن القصاص الذي وجب له ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ قال ابن عباس: مغفرة له عند الله وثواب عظيم، وقال الشعبي: كفارة لمن تصدق به"[٢]. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ قال السمرقندي: "يعني: يظلمون أنفسهم، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه؛ فالذي عرض نفسه للعقوبة، فقد وضع الشيء في غير موضعه"[٣].

المضامين المستنبطة من الآية:

١- في الآية: "توبيخ وتقريع لليهود؛ لأَن عندهم في نص التوراة: أن النفس بالنفس، وهم يخالفون حكم ذلك عمدًا وعنادًا، ويفرقون بين الخاصة والعامة في القصاص"[٤].

٢- وفي الآية "كما أمر الله تعالى بالقصاص، وجعله في هذا الباب هو الأساس، بالنسبة لأصحاب الحق فيه، الحريصين على استخلاصه بوجه شرعي، فقد فتح باب العفو وإسقاط القصاص في وجه أولئك الذين يفضلون العفو على المؤاخذة، ويسقطون حقهم في القصاص، إقفالاً لباب الفتنة، ونشرًا لروح التسامح بين الناس، وابتغاء المزيد من الطمأنينة والعيش في سلام ووئام، وذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ واعتبر الإسلام هذا النوع من العفو كفارة لذنوب القتيل"[٥].

٣- في الآية وصف لمن لم يحكم بما أنزل الله بأنه ظالم، فقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ "لينبه على أن الترغيب في العفو لا يقتضي الاستخفاف بالحكم وإبطال العمل به؛ لأن حكم القصاص شرع لحكم عظيمة: منها الزجر، ومنها جبر خاطر المعتدى عليه، ومنها التفادي من ترصد المعتدى عليهم للانتقام من المعتدين أو من أقوامهم. فإبطال الحكم بالقصاص يعطل هذه المصالح، وهو ظلم، لأنه غمص لحق المعتدى عليه أو وليه، وأما العفو عن الجاني فيحقق جميع المصالح ويزيد مصلحة التحابب؛ لأنه عن طيب نفس، وقد تغشى غباوة حكام بني إسرائيل على أفهامهم فيجعلوا إبطال الحكم بمنزلة العفو، فهذا وجه إعادة التحذير عقب استحباب العفو"[٦].

---

[١] **تفسير النيسابوري** (٥٩٧/٢).

[٢] **الوسيط** للواحدي (١٩٣/٢).

[٣] **بحر العلوم**، للسمرقندي (٤١٧/١).

[٤] **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، لمجموعة من العلماء (١٠٨١/٢).

[٥] **التيسير في أحاديث التفسير**، محمد المكي الناصري (ت: ١٤١٤هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، (٥٨/٢).

[٦] **التحرير والتنوير**، لابن عاشور (٢١٧/٦).

المبحث الرابع

استعمالات لفظ الكتابة في سياق آيات الجهاد والقتال

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: ليس كل مكروه ضارًا، ولا كل محبوب نافعًا.

المطلب الثاني: السبب في طلب بني إسرائيل القتال في سبيل الله ونكوص الكثير منهم عنه.

المطلب الثالث: مِنَنُ الله على المجاهدين يوم أحد وفضح المنافقين والرد على أقوالهم وأراجيفهم.

المطلب الرابع: القعود عن الجهاد خشية القتل أو الأسر عند المغترين بالدنيا.

المطلب الخامس: توجيه وطلب موسى عليه السلام من قومه دخول الأرض المقدسة.

المطلب السادس: عتاب الله للمتخلفين عن الجهاد في سبيله.

المطلب السابع: إجلاء بني النضير من ديارهم وحصونهم وقلاعهم.

المطلب الأول
ليس كل مكروه ضارًا ولا كل محبوب نافعًا

قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [سورة البقرة: ٢١٦].

مناسبة الآية لما قبلها:

و"مناسبة هذه الآية لما قبلها[١]، هو أنه: لما ذكر ما مس من تقدمنا من أتباع الرسل من البلايا، وأن دخول الجنة معروف بالصبر على ما يبتلى به المكلف، ثم ذكر الإنفاق على من ذكر، فهو جهاد النفس بالمال، انتقل إلى أعلى منه وهو الجهاد الذي يستقيم به الدين، وفيه الصبر على بذل المال والنفس"[٢].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

ودلالة لفظ ﴿كُتِبَ﴾ "معناه فرض"[٣]، قال مقاتل: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ "يعني: فرض عليكم القتال"[٤].

معنى الآية:

يقول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ قال الإمام الماتريدي: أن "الكراهة المذكورة هاهنا والمحبة: هي كراهة الطباع والنفس، ومحبة الطباع والنفس، لا كراهة الاختيار، ولا يكون في كراهة الطباع خطاب؛ لأن طبع كل أحد ينفر عن القتال والمجاهدة مع العدو، لا أنهم كرهوا ذلك كراهة الاختيار؛ لأنه لا يحتمل أن يكون أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يؤمرون بالقتال والمجاهدة مع العدو ثم هم يكرهون عما أمروا اختيارًا منهم؛ لأن ذلك دأب أهل النار، فثبت أنه على ما ذكرنا من نفور كل طبع عن احتمال الشدائد والمشقة وكراهيته.

---

[١] قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ [سورة البقرة: ٢١٤-٢١٥].

[٢] **البحر المحيط** لأبي حيان (٣٧٩/٢).

[٣] **تفسير القرطبي** (٣٨/٣)

[٤] **تفسير مقاتل** (٩٦/١).

وقوله: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡ﴾ يحتمل هذا في القتال خاصة، وهو أن يكونوا كرهوا القتال؛ لما فيه من المشقة والشدة، ﴿وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ لما فيه من الفتوح والظفر وسعة العيش ومنال الثواب والدرجات في الآخرة.

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا﴾ يعني: التعود على الجهاد، ﴿وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡ﴾ لما فيه من اجتراء العدو والأسر والقتل والذل والصغار وقطع الثواب في الآخرة، ويحتمل هذا في كل أمر يحب الرجل، في الابتداء، ويكون عاقبته شرًّا له، ويكره أمرًا فيكون عاقبته خيرًا له، هذا لجهلنا بعواقب الأمور وخواتيمها؛ ليعلم أن ليس إلينا من التدبير في شيء، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أي: ويعلم ما هو خير لكم في العواقب مما هو شر لكم، وأنتم لا تعلمون"[1].

ومما ورد في بيان معنى الآية: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ﴾ أي: " شاق عليكم مكروه طبعًا، وهو مصدر نعت به للمبالغة، أو فعل بمعنى مفعول كالخبز.

وقرئ بالفتح على أنه لغة فيه كالضعف والضعف، أو بمعنى الإكراه على المجاز كأنهم أكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته، كقوله تعالى: ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗا﴾ [سورة الأحقاف: ١٥].

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ وهو جميع ما كلفوا به؛ فإن الطبع يكرهه، وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم.

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡ﴾ وهو جميع ما نهوا عنه؛ فإن النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها إلى الردى، وإنما ذكر عَسى؛ لأن النفس إذا ارتاضت ينعكس الأمر عليها.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ ما هو خير لكم، ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ذلك، وفيه دليل على أن الأحكام تتبع المصالح الراجحة وإن لم يعرف عينها"[2].

المضامين المستنبطة من الآية:

١- في الآية يخبرنا الله تعالى و"يقول لنا: اعلم أن القتال كره لكم، ولكن أردت أن أشيع فيكم قضية، هذه القضية هي ألا تحكموا في القضايا الكبيرة في حدود علمكم؛ لأن علمكم دائمًا ناقص، بل خذوا القضايا من خلال علمي أنا؛ لأنني قد أشرع مكروها، ولكن يأتي منه الخير، وقد تَرَون حبا في شيء ويأتي منه الشر، ولذلك ينبهنا الحق إلى أن كثيرًا من الأمور المحبوبة عندنا يأتي منها الشر، فيقول الواحد منا كنت أتوقع الخير من هذا الأمر، لكن الشر هو ما جاءني منه، وهناك

---

[1] **تفسير الماتريدي** (٢/١١٢-١١٣).

[2] **تفسير البيضاوي** (١/١٣٦).

أمور أخرى نظن أن الشر يأتي منها، لكنها تأتي بالخير، ولذلك يترك الحق فلتات في المجتمع حتى يتأكد الناس أن الله سبحانه وتعالى لا يُجري أمور الخير على مقتضيات ومقاييس علم العباد، إنما يُجري الحكم على مقتضى ومقاييس وعلم رب العباد"[١].

٢- وفي الآية أنه "نبه أنه يجب على الإنسان أن لا يكره شيئًا ولا يحبه حتى يعرف كنهه، وما يؤول إليه، وهذا كالدواء؛ فإن النفوس تكرهه وفيه صلاحها، وعكسه الأغذية الغليظة الثقيلة؛ فإن النفوس تريدها وفيها فسادها وسقامها، فالطاعات كالأدوية والمعاصي كالأغذية المؤذية"[٢].

٣- وتشير الآية إلى إيجاب الله تعالى الجهاد "وإن كان مكروها لدى بعض الناس فإنه السبيل للحفاظ على كرامة الأمة، ومنعة البلاد واستقلالها ومصالح الأفراد، وسبب للذود عن الحرمات والأموال والأعراض، وطريق لدفع العدوان وقمع الأطماع، وأساس لتوفير عزة الأمة ومجدها، وبدونه تكون المصالح العامة والخاصة مهددة بالزوال؛ لذا فرضه تعالى للضرورة من أجل الحفاظ على هذه المقاصد، ولمنع الفتنة في الدين، وحماية المستضعفين، والتمكين لحرية انتشار الإسلام بالطرق السلمية، وكانت محبته أمرا مطلوبا لحياة المسلمين"[٣].

٤- ويستفاد من الآية أن "الغايات الحميدة في خبايا الأسباب المكروهة الشاقة، كما أن الغايات المكروهة المؤلمة في خبايا الأسباب المشتهاة المستلذة، وهذا من حين خلق الله سبحانه الجنة وحَفَّها بالمكاره، والنار وحَفَّها بالشهوات"[٤]، كما قال -صلى الله وعليه وسلم-: ((حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات))[٥]، وقال الشاعر:

وربما كان مكروه الأمور إلى ** محبوبها سببًا ما مثله سبب[٦]

ولذلك "فالعاقل لا ينظر إلى لذة المحبوب العاجل فيؤثره، وألم المكروه العاجل فيرغب عنه، فإنّ ذلك قد يكون شرّا له؛ بل قد يجلب عليه غاية الألم، ويفوّته أعظمَ اللذّة، بل عقلاء الدنيا يتحمّلون المشاقّ المكروهة لما يُعقِبهم من اللذة بعدها"[٧].

---

[١] **تفسير الشعراوي** (٩٢٢/٢).

[٢] **عمدة الحفاظ**، للسمين الحلبي (٣٩٢/٣).

[٣] **التفسير المنير**، للزحيلي (١٥٢/١٠).

[٤] **إغاثة اللهفان**،لابن قيم الجوزية (٢/ ١٠٩).

[٥] **صحيح مسلم**، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الاقتصاد في الموعظة، من حديث أنس بن مالك، رضي الله عنهما (٢١٧٤/٤)، برقم: (٢٨٢٢).

[٦] **البصائر والذخائر**، أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس، (ت ٤٠٠هـ)، تح: وداد القاضي، الناشر: دار صادر – بيروت، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، (١٩٠/٦).

[٧] **الداء والدواء**، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت٦٩١ - ٧٥١)، تح: محمد أجمل الإصلاحي خرج أحاديثه: زائد بن أحمد النشيري، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٩ هـ، (ص: ٤٥٣).

المطلب الثاني

السبب في طلب بني إسرائيل القتال في سبيل الله ونكوص الكثير منهم عنه

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٤٦].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

قال السمرقندي في بيان دلالة لفظ الكتابة في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ﴾ أي: "فرض عليهم القتال"[1].

معنى الآية:

يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾، أي: "استقبلوا الأمر بالاختيار، واقترحوا على نبيّهم بسؤال الإذن لهم في القتال، فلمّا أجيبوا إلى ما ضمنوه من أنفسهم ركنوا إلى التكاسل، وعرّجوا في أوطان التجادل والتغافل، ويقال: إنهم أظهروا التصلب والجد في القتال ذبّا عن أموالهم ومنازلهم حيث ﴿قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٤٦]، فلذلك لم يتم قصدهم؛ لأنه لم يخلص -لحقّ الله- عزمهم، ولو أنهم قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله لأنه قد أمرنا، وأوجب علينا، فإنه سيدنا ومولانا، ويجب علينا أمره لعلّهم وفّقوا لإتمام ما قصدوه"[2].

ويقصد "بالملأ من القوم: وجوههم وأشرافهم، وأصل الملأ: الجماعة من الناس ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ موت ﴿مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ﴾ هو أشموئيل، ومعناه بالعبرانية إسماعيل، مولده بقرية يقال لها: شيلوا، ويقال: إنها المشهورة يومئذ بالسيلة من أعمال نابلس، بعثه الله نبيا لما صار له أربعون سنة، فدبر بني إسرائيل، ولبثوا أربعين سنة بأحسن حال، وكان قوام أمر بني إسرائيل بالاجتماع على الملوك، وكان ملوكهم يطيعون أنبياءهم، فظهر لهم عدو عظيم، وهم قوم جالوت، وهم العمالقة، كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين، فظهروا على بني إسرائيل، وغلبوا على كثير من أرضهم، وسبوا منهم،

---

[1] **بحر العلوم**، للسمرقندي (١٨٧/١).

[2] **تفسير القشيري** (١٩١/١).

وأسروا، فقالوا لنبيهم أشموئيل: ﴿ٱبۡعَثۡ﴾ أي: آثر وأرسل ﴿لَنَا مَلِكٗا﴾ أي: معنا سلطانًا يتقدمنا ﴿نُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فلما قالوا له ذلك قال لهم: ﴿هَلۡ عَسَيۡتُمۡ﴾ استفهام شك.

يقول: لعلكم... ﴿إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ﴾ مع ذلك الملك ﴿أَلَّا﴾ تقوموا بما تقولون، ولا ﴿نُقَٰتِلُواْ﴾ معه، تلخيصه: أنتم جبناء عن القتال، فكيف تقاتلون؟ فثم استفهموا منكرين، و﴿قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ المعنى: أي: عذر لنا في ترك الجهاد ﴿وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَا﴾ المعنى: أخرج بعضنا؛ لأن القائلين كانوا في ديارهم ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ﴾ أعرضوا عن الجهاد، وضيعوا أمر الله ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡ﴾ وهم الذين عبروا النهر مع طالوت، واقتصروا على الغرفة، وكانوا ثلاث مئة رجل وثلاثة عشر رجلا كأهل بدر، ثم تهددهم، فقال: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بترك الجهاد"[1].

المضامين المستنبطة من الآية:

١- تشير الآية إلى التأني والتفكير وعدم العجلة في اتخاذ القرارات، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ﴾ "فأوضح لهم الحق أن فكروا جيدًا في أنكم طلبتم القتال وإياكم ألا تقاتلوا عندما نكتب عليكم هذا القتال لأنني لم أفرضه ابتداء، ولكنكم أنتم الذين طلبتم، ولأن الكلام مازال نظريا فقد قالوا متسائلين: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَا﴾ [سورة البقرة: ٢٤٦]"[2].

٢- في الآية عبرة "أن الأمم إذا قهرها العدو تهن قوّتها ويغلب عليها الجبن وتلبس ثوب الذل والمسكنة، فإذا أراد الله إحياءها بعد موتها نفخ روح الشجاعة والإقدام في خيارها وهم الأقلون، فيعملون ما لا يعمله الأكثرون... وأن الأمم حين الضعف قد تفكر في الدفاع حين الحاجة إليه، وتعزم على القيام به إذا توافرت الشرائط التي يتخيلونها، فإذا توافرت لهم ضعفوا وجبنوا وزعموا أن ما هم عليه من القوة غير كاف لمقاومة الأعداء، والتمسوا لأنفسهم المعاذير، وأكثروا من التعليلات الواهية"[3].

كما قال الشاعر:

وإذا مـــا خـــلا الجبـــان بـــأرض ** طلـــب الطعـــن وحـــده والنـــزالا[4]

---

[1] **فتح الرحمن**، لمجير الدين المقدسي (١/٣٥٠-٣٥١).

[2] **تفسير الشعراوي** (٤/٢٣٩٧).

[3] **تفسير المراغي** (٢/٢١٦-٢١٧).

[4] **ديوان أبي الطيب المتنبي**، أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين الكوفي (ت٣٠٣ هـ -٣٥٤ هـ)، صححها وقارن نسخها وجمع تعليقاتها: عبد الوهاب عزام، الناشر: لجنة التأليف والترجمة والنشر، د، ط ت، (ص: ٤٠٥).

٣- وفي الآية بيان للحال والسبب، والعلة التي "وصل إليها بنو إسرائيل، من ذهاب بلادهم، وسبي أولادهم. فطلبوا نتيجة لذلك من نبي لهم أن ينصب عليهم ملكا يقاتلون تحت إمرته، وبفراسة النبي سألهم عما يتوقعه منهم، أنهم لو فرض عليهم القتال فسينكصون، ولكنهم أصروا، وكان واقع الحال ما توقعه منهم، أن الأكثرية منهم نكصوا عن القتال"[١]، وهكذا شأن الجبناء والمغرورين في كل زمان ومكان يرحبون بالمعارك قبل قدومها فإذا ما جد الجد كذبت أعمالهم أقوالهم، وأعطوا أدبارهم لأعدائهم! ثم حكى القرآن أن نبيهم كان صادقا فيما توقعه منهم من جبن وكذب، وأنهم قوم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ أي: فحين فرض عليهم القتال بعد أن الحوا في طلبه، أعرضوا عنه، ونفروا منه إلا عددًا قليلا منهم؛ فإنه ثبت على الحق، ووفى بعهده"[٢].

٤- وتشير الآية إلى "أن القتال كان مشروعًا في الأمم السابقة، وأن الدفاع عن الحقوق واجب شرعي، وأن لقائد الجيش اختبار مدى إخلاص الجنود وتضحياتهم، وأن إيتاء الملك والسلطة بيد الله تعالى لمن يستحقها من عباده"[٣]، كما قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة آل عمران: ٢٦].

٥- كما في الآية لفتة مهمة ينبغي على القادة، والعلماء، والدعاة، والمصلحين، وأصحاب القرار أن يتحلوا بها، وهي ضبط النفس فضبطها يقي صاحبها من مغبة انسياقه وراء ما يصوّر له خياله، ويراه في نظره هو الأسلم فعندئذٍ يغضب، ويندفع ويتعجل الأمور فيتورَّط، ولقد ذكر لنا القرآن الملأ من بنى إسرائيل: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فإن أشدَّ النَّاس حماسة واندفاعًا وتهورًا، قد يكون أشد النَّاس جزعًا وانهيارًا وهزيمة ونقضًا للعهد: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾"[٤].

فالكثير من الملأ نكثوا الوعد، وتفلَّتوا من الطاعة، ونكصوا عن التكليف، وهذا هو حال الذين لا يُقدِّرون الظروف، والذين لا يعرفون قيمة للتكاليف الملقاة على عاتقهم المتهورين المتسرّعين.

---

[١] **الأساس في التفسير**، سعيد حوى (٥٧٤/١).

[٢] **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، لمحمد سيد طنطاوي (٥٦٥/١).

[٣] **التفسير الوسيط** للزحيلي (١٣٩/١).

[٤] ينظر: **فقه التمكين عند دولة المرابطين**، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي الناشر: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة مصر، ط١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، (ص: ٣٠).

المطلب الثالث

مِنَنُ الله على المجاهدين يوم أحد وفضح المنافقين والرد على أقوالهم وأراجيفهم

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٥٤].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

قال ابن كثير: ﴿بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ "أي: هذا قدر مقدر من الله عز وجل، وحكم حتم لا يحاد"[١].

"فالذين قَدَّر الله عليهم القَتْلَ، لا بُدَّ وأن يُقْتَلُوا على كل تقديرٍ"[٢]، حيث "أن قضاء الله وتقديره، وعلمه لا يتغير، وأنه لا ينفع حذر من قدر"[٣]، وقد أشار الشاعر إلى هذا بقوله:

إذا مـــا حمـــام المـــرء كـــان ببلـــدة ** دعتـــه إليهـــا حاجـــةٌ فيطيـــرُ[٤]

وقد "قدر الله عليهم القتل وكتبه في اللوح المحفوظ"[٥].

معنى الآية:

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ "وذلك أنَّهم خافوا كرَّة المشركين عليهم وكانوا تحت الحَجَف[٦]، مُتأهِّبين للقتال فأمَّنهم الله تعالى أمنًا ينامون معه، وكان ذلك خاصًا

---

[١] **تفسير ابن كثير (٢/١٤٦).**

[٢] **اللباب في علوم الكتاب**، للنعماني (٦١٨/٥).

[٣] **تفسير الراغب الأصفهاني** (٩٣٥/٣).

[٤] البيت لمطر بن عكاش، ينظر: **ربيع الأبرار ونصوص الأخيار**، جار الله الزمخشري (ت: ٥٨٣هـ)، الناشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت ط ١، ١٤١٢هـ (١٤٠/٥).

[٥] **تفسير البيضاوي** (٤٤/٢).

[٦] الحجف وواحدها حجفة "هي من جلود الإبل يطارق بعضها ببعض" ينظر: **لسان العرب**، (٣٩/٩).

بالمؤمنين، وهو قوله: ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ وهم المنافقون كان همَّهم خلاص أنفسهم.

﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ أَيْ: يظنون أن أمر محمد عليه السلام مضمحل، وأنه لا ينصر، ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ أَيْ: كظنِّ أهل الجاهليَّة وهم الكفَّار.

﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ ليس لنا من النصر والظَّفر شيء كما وُعدنا يقولون ذلك على جهة التكذيب، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ أَيْ: النصر والشهادة والقدر والقضاء، ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ من الشك والنفاق ﴿مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ أَيْ: لو كان الاختيار إلينا، ﴿مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ يعنون: أنَّهم أخرجوا كُرهًا ولو كان الأمر بيدهم ما خرجوا وهذا تكذيبٌ منهم بالقدر، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ مصارعهم ولم يكن لِيُنجيهم قعودُهم ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ أيُّها المنافقون فعلَ الله ما فعلَ يوم أُحدٍ ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ ليظهر ويكشف ﴿مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ أيُّها المؤمنون من الرِّضا بقضاء الله ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بضمائرها"[1].

ولقد أنزل الله يوم أحد على الفئة المؤمنة المجاهدة الصابرة المخلصة المضحية الأمن والنعاس فقال: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ "أي: أمنة مفعول، ونعاسًا بدل منه، وهذا كما قال الزبير: لقد رأيتني مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين اشتد الخوف علينا أرسل الله علينا النوم فما منا من رجل إلا ذقنه في صدره....

﴿يَغْشَىٰ﴾ أي: النعاس ﴿طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾، وهم المؤمنون حقًا، ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ ما بهم إلا هَمُّ أنفسهم وطلب خلاصها، وهم المنافقون، ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ نصب ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ بالمصدر أي يظنون غير الظن الحق، وظن الجاهلية بدله أو هو مفعول مطلق، وغير الحق مصدر لمضمون الجملة أي يظنون ظن الجاهلية يقولون قولاً غير الحق، وهو أنَّهم يظنون أنه ما بقي من أمر محمد -صلى الله عليه وسلم- شيء.

﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ أي: هل لنا من النصر والغلبة شيء، ونصيب قط؛ وهذا إنكار منهم، ﴿قُلْ﴾ يا محمد، ﴿إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ النصر والظفر والقضاء والقدر، ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ من النفاق استئناف، أو حال من فاعل يقولون، ﴿مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ بدل من يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك أو استئناف، أي: إذا خلا بعضهم إلى بعض يقولون: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ

---

[1] **الوجيز**، للواحدي (ص: ٢٣٨).

شَيْءٌ﴾ أي: لو كنا على الحق، ﴿مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ لما قتل منا في هذه المعركة، ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ أي: لخرج الذين قدر القتل عليهم إلى مصارعهم ولم يستطيعوا الإقامة في المدينة.

﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ ليمتحن، ويظهر سرائركم من الإخلاص وعدمه، وهو عطف على محذوف أي برز لنفاذ القضاء وليبتلي، أو علة فعل محذوف، أي: فعلنا ذلك، ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ يكشفه، ويميزه أو يطهره، ويخلصه من الوساوس ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بضمائرها"[1].

المضامين المستنبطة من الآية:

١- تشير الآية إلى "أن النفاق نفاق متفق عليه، وليس كل واحد منهم ينافق في نفسه، لا أنها طائفة المنافقين، وقد كوَّنوا جماعة، ولهم سياسة مخصوصة، ولهم كلام مخصوص ولهم وحدة قول، تعرفهم من قول الحق: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾"[2].

٢- وفي الآية إشارة هي أن الله يدعوا خلقه "أن يستسلموا لحكمه، ويخضعوا لقدره، ويرضوا به، ويطمئنوا إليه؛ لأن الاطمئنان إلى القدر بعد أخذ الأسباب رضا بحكم الله وقبول لإرادته في خلقه، وعدم الرضا بالقدر تمرد على الخالق، وانزعاج نفسي لَا علاج له؛ وإذا كان من الناس من يعيب الرضا بالقدر فهي نزعة إلحاد في النفس، والذين يشكون من المقادير، ويتمردون عليها لَا يرضون برب المقادير حكما عدلا وهو اللطيف الخبير، السميع البصير، والرضا بالقدر يلقي في النفس بالاطمئنان والصبر والرضا والقدرة على الاحتمال، والاستعداد للقابل وعدم الالتفات إلى الوراء، فمن لَا يؤمن بالقضاء قصير النظر، ومن يؤمن به متجدد الفكر؛ نظره إلى الأمام دائما"[3].

٣- وفي الآية إشارة إلى عناية الله ولطفه بمن يحملون هم الدين والدعوة إليه، وحب الخير للناس مخلصين له في كل ذلك، فقد تجلت عناية الله وإحسانه بتلك الطائفة المخلصة المؤمنة المجاهدة يوم أحد، وثبت قلوبهم، وأنزل الطمأنينة والنعاس عليهم؛ "لأن الخائف لا يأتيه النعاس لما في قلبه من الخوف، فإذا زال الخوف عن القلب أمكن أن يأتيه النعاس، وهذه الطائفة التي أنعم الله عليها بالنعاس هم المؤمنون الذين ليس لهم هم إلا إقامة دين الله، ورضا الله ورسوله، ومصلحة إخوانهم المسلمين"[4].

---

[1] **تفسير الإيجي** (١/٣٠٣- ٣٠٥).

[2] **تفسير الشعراوي** (٣/١٨٢٧).

[3] **زهرة التفاسير**، لأبي زهرة (٣/١٤٦٤).

[4] **تفسير السعدي**، (١/١٥٣).

٤- كما تبين الآية أن "هناك أمور حتمية مقدّرة للإنسان لا تزيد ولا تنقص، مردها إلى الله عز وجل، كالحياة والموت، والعز والذل، والرزق والأجل، اختص الله بعلمها، وما على الإنسان إلا الرضا بالقضاء والقدر، وهذا يعدّ حافزا قويا للبطولة والشجاعة، والإقدام على خوض معارك الجهاد وغمار الموت، بنفس قوية، لا تخور ولا تتردد، ولا تضعف ولا تجبن ولا تتقاعس لأن الأجل محتوم، فليست المعارك والمخاطر مسرّعة للموت، وليس النوم في المنازل ولا على الأسرّة بمطيل للأجل، كما قال الله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡ﴾"[١].

و"لقد انتهز الكفار والمنافقون واليهود في المدينة ما أصاب المسلمين من الهزيمة والقتل والقرح، ليثبطوا عزائمهم، ويخوفوهم عاقبة السير مع محمد، ويصوروا لهم مخاوف القتال، وعواقب الاشتباك مع مشركي قريش وحلفائهم، وجو الهزيمة هو أصلح الأجواء لبلبلة القلوب، وخلخلة الصفوف، وإشاعة عدم الثقة في القيادة والتشكيك في جدوى الإصرار على المعركة مع الأقوياء، وتزيين الانسحاب منها، ومسالمة المنتصرين فيها! مع إثارة المواجع الشخصية، والآلام الفردية، وتحويلها كلها لهدم كيان الجماعة، ثم لهدم كيان العقيدة، ثم للاستسلام للأقوياء الغالبين"[٢].

٥- في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ ترغيب وترهيب، وتنبيه إلى أن الله غنى عن الابتلاء والامتحان، وإنما يظهر ذلك على هذه الصورة لحكم يعلمها كمران المؤمنين على الصبر وتحمل المشاق وإظهار حال المنافقين؛ لأن الحقائق قد تخفى على أربابها، فينخدعون للشعور العارض بدون تمحيص ولا ابتلاء[٣].

---

[١] **التفسير الوسيط** للزحيلي (١/٢٤٤).

[٢] في ظلال القرآن، لسيد قطب (١/٤٩٠- ٤٩١).

[٣] ينظر: **تفسير المراغي** (٤/١٠٥-١٠٦).

المطلب الرابع

القعود عن الجهاد خشية القتل أو الأسر عند المغترين بالدنيا

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [سورة النساء: ٧٧].

سبب نزول الآية:

ذكر الواحدي: "عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما[١]، وأصحابه أتوا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- بمكة، فقالوا: يا نبي الله كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة! فقال: "إني أمرت بالعفو، فلا تقاتلوا القوم، فلما حوله الله إلى المدينة أمره بالقتال فكفوا، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ "[٢].

توجيه اختلاف المفسرين في الآية

قال الإمام الماتريدي موجهًا تأويلات المفسرين لقوله: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ﴾ **توجيه القول الأول: من قال أن الآية في المنافقين أجاب بقوله** فإن كانت الآية في المنافقين، فهو على الإنكار قالوا ذلك.

توجيه القول الثاني: من قال أن الآية في المؤمنين أجاب بقوله: وإن كانت في المؤمنين فهو يخرج على طلب الحكمة في فرض القتال عليهم، طلبوا أي حكمة في فرض القتال علينا؟ وقد

---

[١] عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب، القُرشِيّ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى الذي أخبر عمر، عَن رسول الله صَلى الله عَلَيه وسَلم أنه توفي وهو عنهم راض وأسند رفقته أمرهم إليه، ولد بعد الفيل بعشر سنين، وأسلم قديما قبل دخول دار الأرقم وهاجر الهجرتين وشَهِدَ بَدْرًا وسائر المشاهد، وتصدق في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بشطر ماله ثم تصدق بعد بأربعين ألف دينار ثم حمل على خمسمِئَة فرس في سبيل الله وخمسمِئَة راحلة، وهو الذي رجع عمر بحديثه من سرغ ولم يدخل الشام من أجل الطاعون، (ت: ٣١)، وقيل غير ذلك، ينظر: **الإصابة في تميز الصحابة**، لابن حجر (٤/٢٩٠- ٢٩٣).

[٢] **أسباب النزول القرآن**، للواحدي (ص/٣٥٣)، **والسنن الصغرى للنسائي**، كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد، من حديث ابن عباس رضي عنه، (٢/٦)، برقم: (٣٠٨٦)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ينظر: **المستدرك**، كتاب الجهاد، باب الجهاد، (٢/٧٦). برقم: (٢٣٧٧)، وقال الشيخ مقبل الوادعي "هذا حديث صحيحٌ، رجاله رجال الصحيح" ينظر: **الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين**، أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي (ت: ١٤٢٢ هـ)، الناشر: دار الآثار للنشر والتوزيع، صنعاء – اليمن، ط١، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م، (٥/٥٨٠)، برقم: (٣٩٩٥).

تطلب الحكمة في الأشياء، ولا عيب يدخل في ذلك، وأصله: أن كل آمر في الظاهر من هو فوقه فذلك سؤال له في الحقيقة لا أمر؛ فيخرج سؤاله مخرج الخضوع والتضرع له، ومن أمر من دونه فهو في الحقيقة ليس بسؤال، فهو يخرج على الأمر والنهي، وهو الأمر الظاهر في الناس[1].

"واحتج الذاهبون إلى هذا القول بأن الذين يحتاج الرسول أن يقول لهم: كفوا عن القتال هم الراغبون في القتال، والراغبون في القتال هم المؤمنون، فدل هذا على أن الآية نازلة في حق المؤمنين كما احتج أصحاب هذا القول: "بأن حب الحياة والنفرة عن القتل من لوازم الطباع، فالخشية المذكورة في هذه الآية محمولة على هذا المعنى، وقولهم: لم كتبت علينا القتال محمول على التمني لتخفيف التكليف لا على وجه الإنكار لا يجاب الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ مذكور لا، لأن القوم كانوا منكرين لذلك، بل لأجل إسماع الله لهم هذا الكلام مما يهون على القلب أمر هذه الحياة، فحينئذ يزول من قلبهم نفرة القتال وحب الحياة ويقدمون على الجهاد بقلب قوي[2].

الراجح: **الذي يظهر للباحث**: أن القول الثاني هو الراجح، وهو ما ذهب إليه ابن عباس، ويؤيده سبب النزول.

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

قال البغوي: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ﴾ أي: "فرض عليهم القتال"[3]، وقال السمرقندي أي: "فرض عليهم القتال بالمدينة"[4].

وعلى هذا تكون دلالة لفظ الكتابة على معنى واحد وهو الفرض ويؤكد هذا من تأمل في سياق الآية، ولم أطلع على خلاف بين المفسرين في هذا.

معنى الآية:

قال الطبري: فتأويل قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ﴾ ألم تر بقلبك يا محمد فتعلم إلى الذين قيل لهم من أصحابك حين سألوك أن تسأل ربك أن يفرض عليهم القتال: كفوا أيديكم، فأمسكوها عن قتال المشركين وحربهم ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وأدوا الصلاة التي فرضها الله عليكم بحدودها ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يقول: وأعطوا الزكاة أهلها، الذين جعلها الله لهم من أموالكم، تطهيرا لأبدانكم وأموالكم؛ كرهوا ما أمروا به من كف الأيدي عن قتال المشركين، وشق ذلك عليهم.

---

[1] ينظر: **تفسير الماتريدي** (٢٦٣/٣).

[2] ينظر: **مفاتيح الغيب** (١٤٣/١٠).

[3] **تفسير البغوي** (٦٦٤/١).

[4] **بحر العلوم**، للسمرقندي (٣٤٤/١).

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ﴾ يقول: فلما فرض عليهم القتال الذي كانوا سألوا أن يفرض عليهم ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني: جماعة منهم ﴿يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ﴾ يقول: يخافون الناس أن يقاتلوهم ﴿ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ أو أشد خوفًا، وقالوا: جزعًا من القتال الذي فرض الله عليهم ﴿لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ﴾ لم فرضت علينا القتال، ركونا منهم إلى الدنيا، وإيثارا للدعة فيها والخفض، على مكروه لقاء العدو ومشقة حربهم وقتالهم ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ﴾ يخبر عنهم قالوا: هلا أخرتنا ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ يعني إلى أن يموتوا على فرشهم وفي منازلهم"[1].

وقد "كانوا مع النبي –صلى الله عليه وسلم– بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة، وكانوا يلقون من المشركين أذى كثيرا؛ فقالوا: يا نبي الله ألا تأذن لنا في قتال هؤلاء القوم؛ فإنهم قد آذونا؟ فقال لهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كفوا أيديكم عنهم؛ فإني لم أؤمر بقتالهم فلما هاجر رسول الله عليه السلام وسار إلى بدر عرفوا أنه القتال كرهوا، أو بعضهم قال الله: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ﴾ هلا ﴿أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ إلى الموت قال الله للنبي: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ أي: إنكم على كل حال ميتون، والقتل خير لكم"[2].

المضامين المستنبطة من الآية:

١– يفهم من قوله تعالى: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ "يعني: أنهم ليسوا سواء، ففريق منهم أصابه الضعف، وفريق آخر بقي على شدته وصلابته في إيمانه لم تلن له قناة ولم ينله وهن ولا ضعف، ثم انظر أدب الأداء، لم يقل: فلان أو فلان، بل قال: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ وهذا يستدعي أن يبحث كل إنسان في نفسه، وهذه عملية أراد بها الحق الستر للعبد، وما دام الستر قد جاء من الرب، فلنعلم أن ربنا أغير على عبده من نفسه، ولذلك نقول دائما: ساعة يستر ربنا غيب الناس على الناس فهذا معناه: تكريم للناس جميعًا"[3].

٢– وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ هذا "سؤال على وجه الحكمة في فرض القتال عليهم لا اعتراض لحكمه بدليل أنهم لم يوبخوا على هذا السؤال بل أجيبوا بقوله: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ متاع الدنيا قليل زائل، ومتاع الآخرة كثير دائم، والكثير إذا كان على شرف الزوال فهو قليل، فكيف القليل الزائل"[4].

٣– ويستفاد من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أنه "إذا كان الموت لا مفر عنه ولا عاصم، وكان المرء يخوض معامع القتال فيصاب ولا يموت، ويخاطر بنفسه

---

[1] **تفسير الطبري** (٧/٢٣٠–٢٣١).

[2] **تفسير القرآن العزيز**، لأبن أبي زَمَنِين (١/٣٨٨).

[3] **تفسير الشعراوي** (٤/٢٤٢٥).

[4] **تفسير النسفي** (١/٣٧٦).

فيها أحيانا فلا يصاب بجرح ولا يقتل، وقد يموت المعتصم في البروج والحصون"[١]، فالموت آتٍ لا محاله، قال الشاعر:

ومـــن هـــاب أســـباب المنايـــا ينلنـــه ** ولـــو نـــال أســـباب الســـماء بســـلم[٢]

ولكن شتان بين موتٍ في سبل الله، وفي سبيل الدفاع عن الحق والدين، وبين موتٍ على الفراش، وقد صدق الشاعر حيث قال:

إذا غـــامرت فـــي شـــرفٍ مـــرومٍ ** فـــلا تقنـــع بمـــا دون النجـــوم

فطعـــم المـــوت فـــي أمـــرٍ حقيـــرٍ ** كطعـــم المـــوت فـــي أمـــرٍ عظـــيمِ[٣]

٤- تبين الآية أن الناس يتفاوتون "في القيام بالواجب بحسب استعداداتهم وطبائعهم، وبمقدار درجة تأثير الإيمان، ومحبة الديار والأوطان في نفوسهم، كما أنهم يتفاوتون بسبب وجود ظاهرة الخوف، وغريزة حب البقاء والحياة، ولكن المؤمن الواعي لمستقبله، وبناء مجد أمته، وتحقيق الدرجة العالية له عند ربه هو الذي يبادر إلى أداء الواجب، وصون الكرامة، والحفاظ على العزة، ورفع منار البلاد"[٤]، لأنه يعلم أن "متاع الدنيا قليل سريع الفناء لا يدوم لصاحبه، وثواب الآخرة خير"[٥]، وأبقى كما قال الله: ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧﴾ [سورة الأعلى: ١٧].

٥- كما "دلت الآية على أن إيجاب الصلاة والزكاة كان مقدما على إيجاب الجهاد، وهذا هو الترتيب المطابق لما في العقول، لأن الصلاة عبارة عن التعظيم لأمر الله، والزكاة عبارة عن الشفقة على خلق الله، ولا شك أنهما مقدمان على الجهاد"[٦]، إضافة إلى "أن من حكمة الباري تعالى أن يشرع لعباده الشرائع على وجه لا يشق عليهم؛ ويبدأ بالأهم فالأهم، والأسهل فالأسهل، كما أنه لو فرض عليهم القتال -مع قلة عَدَدِهِم وعُدَدِهِم وكثرة أعدائهم- لأدى ذلك إلى اضمحلال الإسلام، فروعي جانب المصلحة العظمى على ما دونها ولغير ذلك من الحِكَم"[٧].

---

[١] **تفسير المنار**، للقلموني (٢١٦/٥).

[٢] **سر صناعة الإعراب**، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، (٢٧٨/١).

[٣] **ديوان أبي الطيب المتنبي**، أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين الكوفي (ت٣٠٣هـ-٣٥٤هـ)، صححها وقارن نسخها وجمع تعليقاتها: عبد الوهاب عزام، الناشر: لجنة التأليف والترجمة والنشر، د، ت، (ص: ٢١٦).

[٤] **التفسير الوسيط** للزحيلي (٣٤٦/١).

[٥] **فتح القدير**، للشوكاني (٥٦٤/١).

[٦] **مفاتيح الغيب**، للرازي (١٤٣/١٠).

[٧] **تفسير السعدي** (ص: ١٨٧).

المطلب الخامس

توجيه وطلب موسى عليه السلام من قومه دخول الأرض المقدسة

قال الله تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ٢١﴾ [سورة المائدة: ٢١].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

دل لفظ الكتابة في سياق الآية على عدة معانٍ منها "قسمها لكم أو سماها أو كتب في اللوح المحفوظ أنها مساكن لكم"[١].

قال مقاتل: "يعني التي أمركم الله -تعالى-"[٢]، وقال السمرقندي: ﴿كَتَبَ﴾ أي: وعد أو جعل[٣]، وقيل: "وهبها الله لكم"[٤]، وقيل: "فرض الله لكم أن تدخلوها"[٥]، فهذه المعاني تتلخص من خلال كلام المفسرين في الآتي:

إحداها: قسمها لكم، **ثانيها**: سماها لكم، **ثالثها**: كتبها في اللوح المحفوظ، **رابعها**: أمركم الله بدخولها، **خامسها**: وعدكم أو جعلها لكم، **سادسها**: وهبها الله لكم، **ثامنها**: فرض لكم دخلوها.

معنى الآية:

يقول الله عز وجل: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ﴾ أي: "أرض بيت المقدس[٦]، سميت بذلك؛ لأنها كانت قرار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومسكن المؤمنين، وقيل: الطور[٧]، وما حوله.

---

[١] **تفسير النسفي** (٤٣٩/١).

[٢] **تفسير مقاتل** (٣٢٨/٣).

[٣] ينظر: **بحر العلوم**، للسمرقندي (٤٠٥/١).

[٤] **مفاتيح الغيب**، للرازي (٣٣٢/١١).

[٥] **تفسير السمعاني** (٢٦/٢).

[٦] رجح ابن كثير أنها بيت المقدس فقال: "أصح القولين أن هذه البلدة هي بيت المقدس، كما نص على ذلك السدي، والربيع بن أنس، وقتادة، وأبو مسلم الأصفهاني وغير واحد" ينظر: **تفسير ابن كثير** (٢٧٣/١).

[٧] جبل في فلسطين، معزول من كافة الجهات ويقع قريبا من بحيرة طبرية *. تسلقه سهل ولا يستغرق أكثر من ساعة. توجد على قمته بعض الآثار والأطلال. انظر: **المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية**، موستراس قنصل روسية في إزمير (ت: ١٨٧١ م)، تح: عصام محمد الشحادات، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م (ص:٢٢٩).

وقيل: دمشق وفلسطين وبعض الأردن، وقيل: الشام ﴿ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: قسمها لكم أو كتب في اللوح أنها تكون مسكنًا لكم، ولكن إن آمنتم وأطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة المائدة: ٢٦].

﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾ ولا ترجعوا مدبرين خوفًا من الجبابرة، قيل: لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا، وقالوا: ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأسًا ينصرف بنا إلى مصر، أو لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله سبحانه وتعالى.

﴿فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ﴾ ثواب الدارين، ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب"[1]، فـ "لما ذكر موسى قومه ما أنعم الله عليهم أمرهم بالخروج إلى جهاد عدوهم، فقال: يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة المباركة.

قال الكلبي: صعد إبراهيم عليه السلام جبل لبنان[2]، فقيل له: انظر فما أدرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك والأرض هي الطور، وما حوله، وقيل: هي أريحاء[3]، وفلسطين وبعض الأردن.

وقيل: هي دمشق، وقيل: هي الشام، كلها، قال كعب الأحبار[4]: ووجدت في كتاب الله المنزل أن الشام كنز الله في أرضه، وبها أكثر عباده التي كتب الله لكم، يعني: كتب الله في اللوح المحفوظ إنها لكم مساكن، وقيل: فرض الله عليكم دخولها وأمركم بسكناها، وقيل: وهبها لكم.

فإن قلت: كيف؟ قال الله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾، وقال: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ﴾ كيف الجمع بينهما"[5]، يجيب صاحب كتاب مفاتيح الغيب على هذا بوجوه:

---

[1] **تفسير البضاوي** (١٢١/٢).

[2] سلسلة جبلية في سورية، تبدأ قريبا من طرابلس وتتجه نحو الجنوب الشرقي مقتربة من البحر، ينظر: **المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية**، (ص: ٢٣٠).

[3] هي مدينة الجبّارين في الغور من أرض الأردنّ بالشام، بينها وبين بيت المقدس يوم للفارس في جبال صعبة المسلك، سمّيت فيما قيل بأريحا بن مالك بن أرفخشد بن سام بن نوح، عليه السلام، ينظر: **معجم البلدان**، للرومي الحموي(١٦٥/١).

[4] كعب الأحبار بن ماتع، ويكنى أبا إسحاق وهو من حمير من آل ذي رعينو وكان على دين يهود فأسلم وقدم المدينة ثم خرج إلى الشام فسكن حمص في خلافة عثمان بن عفان، قال العباس لكعب: ما منعك أن تسلم على عهد رسول الله، وأبي بكر حتى أسلمت الآن على عهد عمر؟ فقال كعب: إن أبي كتب لي كتابا من التوراة ودفعه إلي وقال: اعمل بهذا. وختم على سائر كتبه وأخذ علي بحق الوالد على ولده أن لا أفض الخاتم. فلما كان الآن ورأيت الإسلام يظهر ولم أر بأسا قالت لي نفسي: لعل أباك غيب عنك علما كتمك فلو قرأته. ففضضت الخاتم فقرأته فوجدت فيه صفة محمد وأمته فجئت الآن مسلما. فوالى العباس، (ت: ٣٢هـ) ينظر: **الطبقات الكبرى**، لابن سعد (٣٠٩/٧، ٣١٠).

[5] **لباب التأويل**، للخازن (٢٧/٢).

الوجه الأول: أنها كانت هبة ثم حرمها عليهم بشؤم تمردهم وعصيانهم.

الوجه الثاني: قيل: أن اللفظ وإن كان عاما لكن المراد هو الخصوص، فصار كأنه مكتوب لبعضهم وحرام على بعضهم.

الوجه الثالث: قيل: إن الوعد بقوله كتب الله لكم مشروط بقيد الطاعة، فلما لم يوجد الشرط لا جرم لم يوجد المشروط.

الوجه الرابع: قيل: إنها محرمة عليهم أربعين سنة، فلما مضى الأربعون حصل ما كتب[1].

﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾ "يعني: ولا ترجعوا القهقرى مرتدّين على أعقابكم إلى ورائكم، ولكن امضوا لأمر الله الذي أمركم به، وإن فعلتم خلاف ما أمركم الله به ﴿فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ يعني: فترجعوا خائبين لأنكم رددتم أمر الله"[2].

المضامين المستنبطة من الآية:

١- تشير لنا الآية أنه "لم يكن بنو إسرائيل في عهد موسى إلّا قومًا أذلَّهم الخضوع وضربت عليهم الذلة، وأمرضتهم الطاعة الذليلة التي كانت رقًّا أو ما يشبهه، وقد بدا ضعف نفوسهم في عهد موسى، فقد أراد أن يدخل بهم الأرض المقدسة، فضعفوا ووهنوا وتلمَّسوا لأنفسهم المعاذير، وما هي إلَّا معاذير المستكين المؤثر للاستكانة، والرضا من الحياة بأدناها"[3].

٢- توحي لنا الآية أن بني إسرائيل أفضل العالم في زمانهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة البقرة: ٤٧]؛ لأنهم في ذلك الوقت هم أهل الإيمان؛ ولذلك كُتب لهم النصر على أعدائهم العمالقة، فقيل لهم: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾؛ والأرض المقدسة هي فلسطين؛ وإنما كتب الله أرض فلسطين لبني إسرائيل في عهد موسى؛ لأنهم هم عباد الله الصالحون؛ والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٥].

وقال موسى لقومه: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [سورة الأعراف: ١٢٨]، إذًا المتقون هم الوارثون للأرض؛ لكن بني إسرائيل اليوم لا يستحقون هذه الأرض المقدسة؛ لأنهم ليسوا من عباد الله الصالحين؛ لأنه لما جاء الإسلام الذي بُعث به النبي -صلى الله عليه وسلم- صار أحق الناس بهذه الأرض المسلمون لا العرب؛ ففلسطين ليست للعرب بوصفهم عربًا؛ بل إن أهلها

---

[1] ينظر: **مفاتيح الغيب**، للرازي (٣٣٢/١١).

[2] **لباب التأويل**، للخازن (٢٧/٢).

[3] **المعجزة الكبرى القرآن**، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، الناشر: دار الفكر العربي، د، ط ت، (ص: ١٣٧).

المسلمون بوصفهم مسلمين، ومهما حاول العرب، ومهما ملؤوا الدنيا من الأقوال والاحتجاجات، فإنهم لن يفلحوا أبدًا حتى ينادوا بإخراج اليهود منها باسم دين الإسلام. بعد أن يطبقوه في أنفسهم، وبوصفهم عبادًا لله عزّ وجلّ صالحين؛ على ما كان عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٢٨][1].

٣- وفي الآية أنه "كان بنو إسرائيل قد نشأوا في حياة العبودية والذل والاضطهاد والسخرة الظالمة وماتت رجولتهم وأباؤهم ووردوا على الخنوع والاستكانة والخضوع للقوي الغالب وعلى الجبن والحرص الشديد على الحياة والخوف الشديد من الموت وأسبابه حتى قال لهم نبيهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة المائدة: ٢١-٢٢]، ولم يشجعهم على التقدم والقتال قول موسى عليه السلام كتب الله لكم مع أنه كان ضمانا لانتصارهم، وأخيرًا قالوا بكل صراحة ووقاحة: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة المائدة: ٢٤]"[2].

٤- يستفاد من الآية: أن الأمة التي تقبل بالذل والهوان والخضوع للطواغيت أمة ميتة لا قيمة لها ولا قدر؛ ولذلك لما خضع من خضع من بني إسرائيل لفرعون وعاشوا في ظل طغيانه، نكصوا على أعقابهم وارتدوا خاسرين، وهكذا هو حالنا اليوم عندما ارتضى كثير من العرب والمسلمين بالدون وتخلفوا عن منهج الإسلام هانوا على أعدائهم مع أن العزة في التمسك بهذا الدين، والله قد قال في كتابه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة المنافقون: ٨].

---

[1] ينظر: **تفسير الفاتحة والبقرة**، لابن عثيمين (١/١٦٨- ١٦٩).

[2] **الإسلام والحكم**، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (ت: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، (ص: ٢٥-٢٦).

المطلب السادس

عتاب الله للمتخلفين عن الجهاد في سبيله

وفيه آيتان:

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [سورة التوبة: ١٢٠-١٢١].

توطئة:

هاتان الآيتان متصلتان بموضوع، وقضية واحدة، وهي التخلف عن الجهاد مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في غزوة تبوك خاصة، وفي كل الغزوات عامة، وكما تدل أيضًا أن كل ما قدمه الإنسان في سبيل ربه، وفي مرضاته من صنوف الأعمال سواءً كانت جهادًا في سبيله، أو كانت غير ذلك إلا كتب له من الأجر والمثوبة بأحسن ما قدم.

قال صاحب المحرر الوجيز: "هذه معاتبة للمؤمنين من أهل يثرب وقبائل العرب المجاورة لها[1]، على التخلف عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في غزوه، وقوة الكلام تعطي الأمر بصحبته إلى توجهه غازيًا وبذل النفوس دونه، واختلف المتأولون، فقال قتادة: كان هذا الإلزام خاصا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- ووجوب النفر إلى الغزو إذا خرج هو بنفسه، ولم يبق هذا الحكم مع غيره من الخلفاء، وقيل: كان هذا الأمر والإلزام في قلة الإسلام والاحتياج إلى اتصال الأيدي، ثم نسخ عند قوة الإسلام بقوله: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ﴾ [سورة التوبة: ١٢٢]، ورجح صاحب المحرر الوجيز بقوله: وهذا كله في الانبعاث إلى غزو العدو على الدخول في الإسلام، وأما إذا ألم العدو بجهة فمتعين على كل أحد القيام بذبه ومكافحته"[2].

---

[1] هذه القبائل هي "مزينة، وجهينة، وأشجع، وأسلم، وغفار، قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وقيل: بل هذا يتناول جميع الأعراب الذين كانوا حول المدينة فإن اللفظ عام، والتخصيص تحكم، وعلى القولين فليس لهم أن يتخلفوا عن رسول الله، ولا يطلبوا لأنفسهم الحفظ والدعة حال ما يكون رسول الله في الحر والمشقة" ينظر: **مفاتيح الغيب**، للرازي (١٦٩/١٦).

[2] ينظر: **المحرر الوجيز**، لابن عطية (٩٥/٣).

مناسبة الآية الأولى لما قبلها:

"ومناسبتها لما قبلها[1]: أنه لما أمر المؤمنين بتقوى الله، وأمر بكينونتهم مع الصادقين، وأفضل الصادقين رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ثم المهاجرون والأنصار، اقتضى ذلك موافقة الرسول وصحبته أنى توجه من الغزوات والمشاهد، فعوتب العتاب الشديد من تخلف عن الرسول في غزوة، واقتضى ذلك الأمر لصحبته وبذل النفوس دونه"[2]، بأن يصحبوه على البأساء. والضراء، وأن يكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط واغتباط، وأن يلقوا أنفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه، علما بأنها أعزُ نفس عند الله وأكرمها عليه، فإذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدّة وهول، وجب على سائر الأنفس أن تتهافت فيما تعرضت له، ولا يكترث لها أصحابها ولا يقيموا لها وزنا، وتكون أخف شيء عليهم وأهونه، فضلا عن أن يربئوا بأنفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه"[3]، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [سورة الأحزاب: ٦].

دلالة لفظ الكتابة في الآيتين من خلال السياق:

دل لفظ الكتابة في الآيتين السابقتين على الإثبات ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم﴾ "أي: أثبت لهم أجر ذلك"[4]، أو الكتابة الحقيقية كما بيَّنا في إثبات صفة الكتابة سابقًا.

معنى الآيتان:

يقول ابن كثير: "يعاتب تعالى المتخلفين عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في غزوة تبوك، من أهل المدينة ومن حولها من أحياء العرب، ورغبتهم بأنفسهم عن مواساته فيما حصل من المشقة، فإنهم نقصوا أنفسهم من الأجر؛ لأنهم ﴿لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ﴾ وهو: العطش وَلَا نَصَبٞوهو: التعب ﴿وَلَا مَخۡمَصَةٞ﴾ وهي: المجاعة ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ أي: ينزلون منزلا يرهب عدوهم ﴿وَلَا يَنَالُونَ﴾ منه ظفرًا وغلبة عليه إلا كتب الله لهم بهذه الأعمال التي ليست داخلة تحت قدرتهم، وإنما هي ناشئة عن أفعالهم، أعمالاً صالحة وثوابًا جزيلاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلٗا ٣٠﴾ [سورة الكهف: ٣٠].

---

[1] قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [سورة التوبة:١١٩].

[2] **البحر المحيط في التفسير**، لأبي حيان (٥/٥٢٢).

[3] **الكشاف**، للزمخشري (٢/٣٢١).

[4] **زاد المسير**، لابن الجوزي (٢/٣٠٩).

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [سورة التوبة: ١٢١]، يقول تعالى: ولا ينفق هؤلاء الغزاة في سبيل الله ﴿نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ أي: قليلاً ولا كثيرًا ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ أي: في السير إلى الأعداء.

﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ ولم يقل ها هنا به؛ لأن هذه أفعال صادرة عنهم؛ ولهذا قال: ﴿ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾ "[1].

ولذلك "لا يجوز لهم أن يؤثروا على النبي –صلى الله عليه وسلم– شيئا من نفس وروح، ومال وولد وأهل، وليسوا يخسرون على الله وأنّى ذلك؟ وإنهم لا يرفعون لأجله خطوة إلّا قابلهم بألف خطوة، ولا ينقلون إليه قدما إلا لقّاهم لطفًا وكرمًا، ولا يقاسون فيه عطشًا إلا سقاهم من شراب محابّه كاسا، ولا يتحملون لأجله مشقة إلا لقّاهم لطفا وإيناسا، ولا ينالون من الأعداء أذىّ إلا شكر الله سعيهم بما يوجب لهم سعادة الدارين"[2].

والإنفاق له صلة بالجهاد، فقال: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ "قال المفسرون: يريد تمرة فما فوقها، وعلاقة سيف أو سوط وما أربى عليها مثل ما أنفق عثمان في جيش العسرة[3]، ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾، أي: أرضًا في ذهابهم ومجيئهم، وهذا شائع في استعمال العرب.

يقولون: لا تصل في وادي غيرك، وهو في الأصل فاعل من ودى إذا سال، والوادي كل منعطف بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل.

﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ ذلك الإنفاق والقطع أو ذلك العمل الصالح المعهود في الآية المتقدمة.

ثم ذكر غاية الكتب فقال: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أثبت في صحائفهم لأجل الجزاء جزاء أحسن من أعمالهم وأجل.

وقيل: الأحسن من صفة الفعل أي يجزيهم على الأحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح. واعلم أنه سبحانه عدد أشياء بعضها ليس من أعمال المجاهدين وهو الظمأ والنصب والمخمصة،

---

[1] **تفسير ابن كثير**(٤/٢٣٤-٢٣٥).

[2] **تفسير القشيري** (٢/٧٢).

[3] قال الحافظ أبو نعيم: "وأجمعوا على أن جيش العسرة هي غزوة تبوك" سببها الهجوم على المدينة من قبل الروم "تدب رسول الله أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب إلى الجهاد، وأعلمهم بغزو الروم، وذلك في رجب من سنة تسع. ينظر: **الفصول في السيرة**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تح وتعليق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو، الناشر: مؤسسة علوم القرآن، ط ٣، ١٤٠٣هـ، (ص: ٢١٠)، وينظر: **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر**، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي الحضرمي الشافعي، (ت٨٧٠ – ٩٤٧هـ)، عُني به: بو جمعة مكري، خالد زواري، الناشر: دار المنهاج – جدة، ط١، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٨ م، (١/٨٢).

وباقيها من أعمالهم، وهي الوطء والنيل والإنفاق وقطع الأرض، وقسم هذا الباقي قسمين فضم شطرًا منه إلى ما ليس من أعمالهم تنبيها على أنه في الثواب جار مجرى عملهم ولهذا صرح بذلك فقال: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ أي: جزاء عمل صالح وأكد ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ .

ثم أورد الشطر الباقي لغرض آخر وهو الوعد بأحسن الجزاء، واقتصر هاهنا على قوله: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم﴾؛ لأن هذا القسم من عملهم، فلم يحتج إلى تصريح بذلك، أو اكتفاء بما تقدم، أو لأن الضمير عائد إلى المصدر الدال عليه الفعل والله تعالى أعلم بمراده"[1]

وقد ذكر الله الإنفاق في سبيله، وجعله من أنواع الجهاد؛ لأن به تقام الجيوش وتجهز، وتعد، ويخلف الغازي في أهله من قضاء حاجة لأهله، أو إنفاق عليهم، ومساعدتهم، والقيام بأمرهم، وغير ذلك، وقد جاء في الصحيحين عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ما يبين هذا فقال: ((من جهز غازيًا في سبيل الله، فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير، فقد غزا))[2].

وبين الله أنه حتى لو كان المنفَق قيلاً فإنه عند الله بمكان، والمقصود بذكر النفقة في الآية النفقة في الجهاد في سبل الله وكل ما يتعلق به.

قال السمرقندي: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً﴾ "يعني: في الجهاد ﴿صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ ، يعني: قليلاً ولا كثيرًا ﴿وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا﴾ من الأودية مقبلين إلى العدو أو مدبرين ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ﴾ يعني: كتب لهم ثواب.

﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ يقول: ليجزيهم بأعمالهم، ويقال: يجزيهم أحسن من أعمالهم، لأنه يعطي بحسنة واحدة عشرة، إلى سبعمائة، إلى ما لا يدرك حسابه، ويقال: ليجزيهم بأحسن أعمالهم وتصير سائر أعمالهم فضلا[3]".

إذا فكل عمل يعمله ابن آدام لله يجد ثوابه عند ربه بأحسن ما كان يعمل؛ ولذا قال الله: ﴿وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا﴾ "أي: أرضًا في ذهابهم ومجيئهم، وهو كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذًا للسيل وهو في الأصل فاعل من ودى إذا سال ومنه الوَدْيُ، وقد شاع في الاستعمال بمعنى الأرض ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم﴾ من الإنفاق وقطع الوادى ﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ متعلق بكتب أي أثبت في صحائفهم

---

[1] **تفسير النيسابوري** (٣/٥٤٦-٥٤٧).

[2] **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جهز غازيا أو خلفه بخير، (٤/٢٨)، برقم: (٢٨٤٣)، **وصحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير، من حديث زيد بن خالد الجهني، (٦/١٥٠٦)، برقم: (١٨٩٥).

[3] **بحر العلوم**، للسمرقندي (٢/٩٧).

لأجل الجزاء ﴿أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾، أي: يجزيهم على كل واحد جزاء أحسن عمل كان لهم فيلحق ما دونه به توفيرًا لأجرهم"[1].

المضامين المستنبطة من الآية:

١- تشير الآية إلى "إن إيجاب الجهاد على الأمة يختلف بحسب الأحوال والظروف والحاجات، ففي وقت الشدة والأزمة الخانقة والخطر المحدق يكون الجهاد فرضًا عينيًا، وفي وقت قلة المؤمنين في بدء إيجاد الأمة والدولة يكون أيضًا فرض عين؛ فإذا زالت الظروف الخطرة المحدقة وكثر المؤمنون، واستقرت الأحوال وهدأت البلاد، صار الجهاد فرض كفاية على فئة من الناس، وكان على الباقين مناصرتهم، والتفرغ لشؤون الحياة، والاسهام في إقامة صرح المدنية والحضارة، من طريق تنمية العلوم والمعارف، وازدهار الحقل العلمي بالمتابعة والتأمل والتجربة والتجديد.

قال الله تعالى مبينًا هذه الأصول الحضارية ولفت النظر لأهمية العلم: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢﴾ [سورة التوبة: ١٢٢]"[2].

٢- وفي الآية "دليل على أن من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله، وكذا القول في طرف المعصية ولكن بالضد فما أعظم بركة الطاعة وما أشد شؤم المعصية"[3].

وقد جاء في الصحيحين عن ابن عباس-رضي الله عنهما- عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، فيما يروي عن ربه -عز وجل- قال: ((إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة))[4].

٣- ويفهم من الآية أن الله حينما عاتبهم وجاء بأسلوب الإنكار عليهم يعني أنه أمر ملزم لهم أن يكونوا مع رسول الله حيث يكون، ومن لم يستجب لهذا الأمر فهو على خلاف لله ورسوله، ومشاقة لله ورسوله، يلقى جزاء المخالفين، وينزل منازل الظالمين، ويصلى في الآخرة ما يصلاه الكفار والمنافقون من عذاب السعير وقد خصّ أهل المدينة ومن حولهم بالذّكر هنا لأنهم مع رسول

---

[1] **تفسير النسفي** (٧١٧/١).

[2] **التفسير الوسيط** للزحيلي (٩٣٠/١).

[3] **تفسير النيسابوري** (٥٤٦/٣).

[4] **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة أو بسيئة، (١٠٣/٨)، برقم: (٦٤٩١)، **وصحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب (١١٨/١)، برقم: (١٣١).

الله، وبين يديه، فكيف يسوغ لهم أن يروه قائما على أمر يعالج منه حملا ثقيلا، ثم يقفون موقف المتفرج، لا يشاركونه، ولا يحملون عنه بعض ما يحمل؟ إن ذلك وإن لم يقض به الدين قضت به المروءة، وأوجبته حقوق الجار على الجار! فكيف وهو أمر الله، وعدهم بالجزاء العظيم عليه، وتوعدهم بالعقاب الأليم على النكوص عنه[1].

٤- كما أن في الآية "أن الله تعالى لما أمر بقوله: وكونوا مع الصادقين بوجوب الكون في موافقة الرسول عليه السلام في جميع الغزوات والمشاهد، أكد ذلك فنهى في هذه الآية عن التخلف عنه. فقال: ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله"[2].

---

[1] ينظر: **التفسير القرآني للقرآن**، لعبد الكريم الخطيب (٩١٤/٦).

[2] **مفاتيح الغيب**، للرازي (١٦٩/١٦).

المطلب السابع

إجلاء بني النضير من ديارهم وحصونهم وقلاعهم.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ﴾ **[سورة الحشر: ٣]**.

سبب إجلاء بني النظير:

هو أنه لما خرج رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى بني النضير يستعينهم، ويسألهم المعونة في دية قتيلين قتلهما أحد المسلمين خطأ، وهما من حلفاء بني النضير، وقد كان بينهما عقد وحلف، فوعدوًا خيرا في الظاهر، وقالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، ورسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد، فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة ويريحنا منه، فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب[1].

فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال، وكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي، فأتى رسول الله الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعا إلى المدينة، فلما استلبث[2]، النبي –صلى الله عليه وسلم– أصحابه فقاموا في طلبه، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة، فسألوه عنه، فقال: رأيته داخلا المدينة، فأقبل أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– حتى انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به، ثم بعث إليهم من يأمرهم بالخروج من جواره وبلده، فما كان من أهل النفاق إلا أن بعثوا إليهم يثبتونهم ويحرضونهم على المقام، ويعدونهم النصر، فقويت عند ذلك نفوسهم، وبعثوا إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أنهم لا يخرجون، ونابذوه بنقض العهود، فعند ذلك أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم وحاصروهم ست ليال، وقيل خمسة عشر ليلة، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وسألوا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أن يجليهم، ويكفّ عن دمائهم، على أن

---

[1] عَمْرو بْن جحاش بْن كعب بْن بسيل النضري، وهو الذي صعد على ظهر البيت، ليلقي على محمد صخرة، ليقتله، فلما أشرف بها جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر بما هموا به فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا كأنه يريد حاجة، ينظر: **الطبقات الكبرى**، لابن سعد (٤٤/٢)، وينظر: **دلائل النبوة**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، تح: محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، الناشر: دار النفائس، بيروت، ط ٢، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م، (٤٩٠/١).

[2] استلبث هو استفعل من اللبث أي: الإبطاء والتأخر، ينظر: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لابن الأثير، (٢٢٤/٤).

لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة[١]، فقبل، ثم خرج بعضهم إلى خيبر[٢]، وبعضهم إلى الشام[٣].

دلالة لفظ الكتابة من خلال السياق:

قال الواحدي في بيان مدلول الكتابة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾، "أي: حكم بإخراجهم من دورهم"[٤]، وقيل: "لولا أن أوجب عليهم الجلاء من ديارهم"[٥]، وقال السمرقندي: "لولا أن قضى الله عليهم لإخراج من جزيرة العرب إلى الشام"[٦].

معنى الآية:

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ "أي: لولا أنه قضى أنه سيجليهم عن دارهم، وأنهم يبقون مدة فيؤمن بعضهم ويولد لهم من يؤمن.

﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ أي: بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة[٧]، والجلاء مفارقة الوطن يقال: جلا بنفسه جلاء، وأجلاه غيره إجلاء، والفرق بين الجلاء والإخراج وإن كان معناهما في الإبعاد واحدا من وجهين:

أحدهما: أن الجلاء ما كان مع الأهل والولد، والإخراج قد يكون مع بقاء الأهل والولد.

---

[١] الحلقة المقصودة هي: "اسم لجمع السلاح والدروع وما أشبهها"، ينظر: **غريب الحديث**، لابن الجوزي (٢٣٥/١).

[٢] أرض خيبر على ثمانية برد من المدينة، وبها حصون كبيرة، وأول حد خيبر الدومة وهو واد، وسوق خيبر اليوم المرطة، ينظر: **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ)، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ، (٥٢١/٢).

[٣] ينظر: **السيرة النبوية**، لابن هشام (٥٦٣/١)، و**البداية والنهاية**، لابن كثير، (٨٦/٤- ٨٧).

[٤] **التَّفْسِيرُ البَسِيْط** للواحدي (٥٢٩/٣).

[٥] **عمدة الحفاظ**، للسمين الحلبي (٣٧٢/٣).

[٦] **بحر العلوم**، للسمرقندي (٤٠٣/٣).

[٧] بني قريظة هم الذين نقضوا العهد يوم الخندق (معركة الأحزاب) مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والمسلمين حيث حاولوا فتحت ثغرة لتمر الأحزاب إلى داخل المدينة، ويتم القضاء التام على المسلمين، ولكن الله خيب ظنهم، فلمّا اشتدّ بهم الحصار نزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه، وكانوا حلفاءه، وكان قد أصيب بسهم يوم الخندق فحكم فيهم بقتل رجالهم وسبي نسائهم وذراريّهم، وقسمة أموالهم، فقال صلى الله عليه وسلم: "لقد وافقت حكم الله تعالى" ينظر: **السيرة النبوية**، لابن هشام (٢٢٠/٢-٢٢١)، **والبداية والنهاية**، لابن كثير، (١٣٥/٤)، **وحدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار**، محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي، (ت: ٩٣٠هـ)، الناشر: دار المنهاج – جدة، تح: محمد غسان نصوح عزقول، ط ١، ١٤١٩هـ، (ص: ٦٩).

الثاني: أن الجلاء لا يكون إلا لجماعة، والإخراج يكون لواحد ولجماعة"[1]، "ومعنى الجلاء في اللغة، الخروج من الوطن والتحول عنه، فإن قيل: أن لولا تفيد انتفاء الشيء لثبوت غيره فيلزم من ثبوت الجلاء عدم التعذيب في الدنيا، لكن الجلاء نوع من أنواع التعذيب، فإذا يلزم من ثبوت الجلاء عدمه وهو محال، قلنا معناه: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ نوع من أنواع التعذيب، فإذا يلزم من ثبوت الجلاء عدمه وهو محال، قلنا معناه: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ لعذبهم في الدنيا بالقتل كما فعل بإخوانهم بني قريظة.

وأما قوله: ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ فهو كلام مبتدأ وغير معطوف على ما قبله، إذ لو كان معطوفا على ما قبله لزم أن لا يوجد لما بينا، أن لولا تقتضي انتفاء الجزاء لحصول الشرط"[2]، وهذا "يعنى: أنّ الله قد عزم على تطهير أرض المدينة منهم وإراحة المسلمين من جوارهم وتوريثهم أموالهم، فلولا أنه كتب عليهم الجلاء واقتضته حكمته ودعاه إلى اختياره أنه أشق عليهم من الموت ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل كما فعل بإخوانهم بنى قريظة ﴿وَلَهُمْ﴾ سواء أجلوا أو قتلوا ﴿عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ يعنى: إن نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة"[3].

المضامين المستنبطة من الآية:

١- "إنما قدر الله لهم الجلاء دون التعذيب في الدنيا لمصلحة اقتضتها حكمته، وهي أن يأخذ المسلمون أرضهم وديارهم وحوائطهم دون إتلاف من نفوس المسلمين مما لا يخلو منه القتال لأن الله أراد استبقاء قوة المسلمين لما يستقبل من الفتوح، فليس تقدير الجلاء لهم لقصد اللطف بهم وكرامتهم وإن كانوا قد آثروه على الحرب"[4]، "وفيه دليل على أن الإخراج مثل العذاب في الشدة إذ جعل بدله"[5].

٢- ذكر الإمام الماتريدي في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ "قال هذا في قوم علم أنهم يموتون على الكفر، وما روي أن أحدًا منهم مات على الإسلام؛ فيكون فيه دلالة أن رسول الله –

---

[1] **تفسير القرطبي** (٥/١٨-٦).

[2] **مفاتيح الغيب**، للرازي(٥٠٤/٢٩).

[3] **الكشاف**، للزمخشري (٥٠٠/٤).

[4] **التحرير والتنوير**، لابن عاشور (٧٣/٢٨).

[5] **البرهان في علوم القرآن**، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، (٢٠/١).

صلى الله عليه وسلم- كان يخبر ذلك بالوحي والتنزيل، لا من تلقاء نفسه، والله أعلم"[1]، و"لأن عذاب النار ثابت لهم مطلقا سواء كتب عليهم الجلاء، أو لم يكتب"[2].

٣- يتبين من الآية: "أن يهود بني النضير حسبوا كل شيء وأحاطوا بجميع الأسباب الأرضية، لكن جاءتهم الهزيمة من مكان اطمأنوا إليه وهو أنفسهم فإذا الرعب يأتي من داخلهم؛ فإذا بهم ينهارون في أسرع لحظة، لذلك يجب على كل إنسان عاقل أن يعتبر بهذه الغزوة، وأن يعرف أن الله هو المتصرف في الأمور، وأنه لا تقف أمام قدرته العظيمة لا الأسباب ولا المسببات فهو القادر على كل شيء فعلى الناس أن يؤمنوا به تعالى ويصلحوا أمرهم، فإذا اتبعوا أمر الله أصلح الله لهم كل شيء وأخرج أعداءهم من حيث لم يحتسبوا"[3].

---

[1] **تفسير الماتريدي**، (٥٨٢/٩).

[2] **تفسير ابن عرفة**، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، (ت: ٨٠٣هـ)، **تح**: جلال الأسيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٨ م، (٣٤٤/٢).

[3] **السِّيرةُ النّبوية عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث**، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٧، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، (ص: ٥٥٤).

الخاتمة:

أحمد الله سبحانه وتعالى الذي وفقني الإتمام هذا البحث، وأرجو منه القبول، وسأله أن يكون خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين،

أما بعد:

فقد منَّ الله علي بإكمال هذه الرسالة بعد أن قضيت فيها عامًا كاملاً فتعرفت من خلالها على كثير من المصادر، والمراجع في التفسير، وسائر علوم الشريعة الإسلامية.

ولقد كان مضمون بحثي يرتكز على تفسير لفظة الكتابة واستعمالاتها في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية مستوفيًا ما يتعلق بالآية من المعاني، مع الإيضاح والبيان، وذكر سبب النزول، ودلالة لفظ الكتابة من خلال السياق، ثم ذكر الأحكام المتعلقة بلفظة الكتابة بطريقة استنباطية، أو جمعًا لما ذكره أئمة التفسير من حكم، أو استنباط فقهي.

ثم استنبط من كل آية أهم المضامين التربوية، والعلمية، والعملية المتعلقة بها، وربطها وبيان أثرها في واقع الحياة المعاصرة.

مع ذكر بعض المسائل أو الإشارة إليها فيما يتعلق ببعض الآيات

ومن ثمَّ خرجت بنتائج، وتوصيات على ما يأتي:

أولاً: أهم النتائج:

١- أن لفظ الكتابة يطلق على معانٍ متعددة ذات دلالات مختلفة.

٢- أن لفظ الكتابة في القرآن الكريم يفيد القطع، والتوكيد في إثبات الأحكام، والعقوبات.

٣- أن لفظ الكتابة وسيلة لإثبات الحقوق، وحفظها.

٤- أن لفظ الكتابة ورد ذكره في القرآن خمس وأربعين مرة غير المكرر في الآية الواحدة.

٥- أن لفظ الكتابة صفة فعلية خبرية لله عز وجل.

٦- أن لفظ الكتابة فيه دلالة حسية، ودلالة معنوية.

ثانيًا: التوصيات:

١ – الدراسة الموضوعية لكلمات أخرى وردت في القرآن الكريم لها دلالات مختلفة مثل: مصطلح القراءة.

٢- دراسة موضوعية تهتم بالمقاصد القرآنية في التشريع، والعبادات، والقيم الأخلاقية في ضوء الدلالات المختلفة لألفاظ القرآن الكريم.

٣- بيان الدلالات الحسية، والمعنوية المختلفة وبيان أثرها من الوسائل، والآلات المذكورة في القرآن، مثل: الحبل، والحديد، والعصا، والحجارة.

ثالثًا: المقترحات:

١- الاهتمام بدراسة الوسائل، الآيات المذكورة في القرآن الكريم، وبيان أثرها.

٢- الحاجة إلى دراسات مستفيضة في الربط بين الدلالة الحسية، والدلالة المعنوية في القرآن الكريم.

٣- العلاقة بين ذكر الأحكام، والوعد والوعيد، والترهيب والترغيب المتضمنة في استعمالات الكتابة.

هذا ما توصلت إليه من نتائج، وتوصيات، ومقترحات بعد الانتهاء من هذه الرسالة التي لا أدعي أنني بلغت ذرو الكمال، ولكن حاولت أن آتي بها على أحسن الأوجه وأكمل الأحوال.

فإن أحسنت فذلك توفيق من الله، وإنعامه، وإن أسأت فأسأل الله أن يغفر لي ما حصل فيها من خطأ وزلل.

وهكذا كل عمل بشري يعتريه النقص، ويصيبه الخلل، والكمال لله وحده.

وأسال الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لله وحده، وأن ينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢ ﴾ [سورة الصافات: ١٨٠-١٨٢]

فهرس الآيات:

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	٢-سورة البقرة		
١	﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ ...﴾	٩٧-٩٨	٦٦
٢	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا ...﴾	٨٤-٨٥	١٦٦
٣	﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾	٤٧	١٨٨
٤	﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ ...﴾	٧٩	٦٩
٥	﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	١٤٦	٨١
٦	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ...﴾	١٧٠	٦٢
٧	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ ...﴾	١٧٨	٨، ١١، ١٩، ١٢٥، ١٥٧
٨	﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ ...﴾	١٧٩	١٥٩، ١٦٣، ١٦٤
٩	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن ...﴾	١٨٠	١٢٥
١٠	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا ...﴾	١٨٣	٩، ١١، ١٩، ٩١، ١٢٠، ١٢٢
١١	﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ...﴾	١٨٥	٨٥، ١٢٢
١٢	﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾	١٨٧	ز، ١٣٠، ١٣٣
١٣	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ ...﴾	٢١٦	١٧٢
١٤	﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾	٢٣٧	١٦٤
١٥	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ...﴾	٢٤٦	١٧٥، ١٧٦
١٦	﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾	٢٧٢	١٢٦
١٧	﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا ...﴾	٢٨٢	ز، ١٤، ١٣٩
١٨	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ ...﴾	٢٨٣	١٩، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ١٤٢، ١٤٦

٣-سورة آل عمران

١٩	﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ...﴾	١٦	٧٤
٢٠	﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن ...﴾	٢٦	١٧٧
٢١	﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ...﴾	٣١	٧٥
٢٢	﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾	٥٣	١٢، ٧٣، ٧٤
٢٣	﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾	٥٤	٤٤
٢٤	﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ...﴾	١١٥	٤٧
٢٥	﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً ...﴾	١٥٤	١٧٨
٢٦	﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾	١٦٠	٩٩
٢٧	﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾	١٨١	١٤، ٢٨، ٢٩
٢٨	﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ...﴾	١٩٥	٤٦

٤-سورة النساء

٢٩	﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا ...﴾	٦٦-٦٨	٨٥
٣٠	﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾	٣	١٣٥، ١٣٦
٣١	﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ ...﴾	٥٨	١٥٠
٣٢	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا ...﴾	٦٥	٨٤
٣٣	﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ...﴾	٦٦	٨٣، ٨٥
٣٤	﴿لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ﴾	٧٧	ز، ١٨٢
٣٥	﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾	٨١	١٤، ٣٦، ٣٩
٣٦	﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ ...﴾	١١٤	٣٦
٣٧	﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ ...﴾	١٢٧	١٣٥
٣٨	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ ...﴾	١٤٤	١٠١

٥-سورة المائدة

٣٩	﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ...﴾	٦	٨٥
٤٠	﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ ...﴾	٢١-٢٢	١٨٩
٤١	﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ ...﴾	٢١	١٢، ٨٦، ١٨٦

٤٢	﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ ...﴾	٢٤	١٨٩
٤٣	﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾	٢٦	١٨٧
٤٤	﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾	٣٠	١٦٧
٤٥	﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾	٣١	١٦٧
٤٦	﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ...﴾	٣٢	١٤، ٢٠، ١٦٤، ١٦٥
٤٧	﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ ﴾	٤٥	١٤، ٣١، ١٥٨، ١٥٩، ١٦١، ١٦٩
٤٨	﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ ...﴾	٤٨	١٢٠
٤٩	﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ ...﴾	٥٥	١٠٧
٥٠	﴿فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾	٨٣	١٢، ٧٦، ٧٧

٦–سورة الأنعام

٥١	﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ...﴾	١٢	٧، ١٠٩
٥٢	﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ ...﴾	١٩	٢٠
٥٣	﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾	٥٤	٧، ١٥، ٣١، ٣٤، ١١١، ١١٢، ١١٤
٥٤	﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ ...﴾	٩٤	٥١

٧–سورة الأعراف

٥٥	﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ ...﴾	٤٤	٥٣
٥٦	﴿إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ ...﴾	١٢٨	٩٨، ١٨٨، ١٨٩
٥٧	﴿ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ ...﴾	١٤٥	ز، ٣٢، ٩١
٥٨	﴿**وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي** ...﴾	**١٥٦**	ب، ١٢، ١١٥
٥٩	﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ ﴾	١٥٧	١٤، ٢١، ٨٠، ٩٤، ١٥٩

٨–سورة الأنفال

٦٠	﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ ...﴾	٢	٧٩

٦١	﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾	٣٠	٤٤، ٤٥
٦٢	﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ ...﴾	٤٦	١٠١
٦٣	﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾	٦٠	٩٩، ١٠٠

٩-سورة التوبة

٦٤	﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ ...﴾	٥١	٤٠
٦٥	﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ...﴾	١٢٠-١٢١	١٩٠
٦٦	﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا ...﴾	١٢١	١٩٢
٦٧	﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾	١٢٢	١٩٠، ١٩٤

١٠-سورة يونس

٦٨	﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾	٢١	١٥، ٤٣، ٤٥

١١-سورة هود

٦٩	﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا ...﴾	١١٧	١٠٠

١٤-سورة إبراهيم

٧٠	﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ ...﴾	١٧	١٢٥

١٦-سورة النحل

٧١	﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ ...﴾	٢٥	٥٧

١٧-سورة الإسراء

٧٢	﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾	١٠٩	٧٩

١٨-سورة الكهف

٧٣	﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ...﴾	٣٠	١٩١
٧٤	﴿ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا ...﴾	٥١	٦٢
٧٥	﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ...﴾	١٠٣-١٠٥	٤٨

١٩-سورة مريم

٧٦	﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ ...﴾	٢٦	١٢١
٧٧	﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ ...﴾	٦٦	٥٢

٧٨	﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا ...﴾	٧٧-٧٩	٤٩
٧٩	﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ ...﴾	٧٩	٤٩، ٥١، ١١٠
٨٠	﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾	٨٠	٥١

٢٠-سورة طه

٨١	﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ ...﴾	٥٢	٥٥

٢١-سورة الأنبياء

٨٢	﴿ثُمَّ صَدَقْنَـٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَـٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ...﴾	٩	٩٩
٨٣	﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا ...﴾	١٨	٩٨
٨٤	﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَـٰتِبُونَ﴾	٩٤	٢٩، ٤٦، ٤٧
٨٥	﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾	١٠٥	١٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٨٨
٨٦	﴿إِنَّ فِى هَـٰذَا لَبَلَـٰغًا لِّقَوْمٍ عَـٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾	١٠٦	٩٧

٢٢-سورة الحج

٨٧	﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ ...﴾	٤	١٢، ١٠٢
٨٨	﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾	٢٩	٨٩
٨٩	﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾	٧٨	٨٥

٢٣-سورة المؤمنون

٩٠	﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ ...﴾	١٠-١١	٩٧

٢٤-سورة النور

٩١	﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ ...﴾	٣١	١١٤
٩٢	﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾	٣٣	٢٠، ١٥١، ١٥٢
٩٣	﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ ...﴾	٤٧	٣٩
٩٤	﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ...﴾	٥٥-٥٦	١٠٠

٢٥-سورة الفرقان

٩٥	﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ...﴾	٤-٥	٩٥

٩٦	﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ ...﴾	٥	٣، ٩٣، ٩٤
٩٧	﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ...﴾	٦	٩٤
٩٨	﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي ...﴾	٧	٩٥
٩٩	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ...﴾	٦٠	٩٥

٢٦-سورة الشعراء

١٠٠	﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾	٨٤	٥٧

٢٧-سورة النمل

١٠١	﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ ...﴾	١٤	٦٤
١٠٢	﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ...﴾	٥٠	٤٥
١٠٣	﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ...﴾	٦٥	٦٢

٢٨-سورة القصص

١٠٤	﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾	٧٧	١٤٣

٢٩-سورة العنكبوت

١٠٥	﴿ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ ...﴾	١٣	٦٢
١٠٦	﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ...﴾	٦١	١١٠

٣٠-سورة الروم

١٠٧	﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ ...﴾	٢٧	٥٢
١٠٨	﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾	٤٧	٩٩

٣٣-سورة الأحزاب

١٠٩	﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾	٦	١٩١
١١٠	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ ...﴾	٦٩	١١٤

٣٥-سورة فاطر

١١١	﴿وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ ...﴾	٤٣	٤٤

٣٦-سورة يس

١١٢	﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ ...﴾	١٢	٣٤، ٥٤، ٥٥

١١٣	﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ ...﴾	٧٧-٧٩	٥٢
١١٤	﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ ...﴾	٧٨	٥٢

٣٧-سورة الصافات

١١٥	﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾	١٥٠	٦١، ٦٢
١١٦	﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ...﴾	١٥١-١٥٢	٦١
١١٧	﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ ...﴾	١٧١-١٧٣	٩٨
١١٨	﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ ...﴾	١٧١-١٧٢	١٠
١١٩	﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ ...﴾	١٨٠-١٨٢	٢٠١

٣٩-سورة الزمر

١٢٠	﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ ...﴾	٢٣	٧٩
١٢١	﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ...﴾	٥٣	١١٧

٤١-سورة فصلت

١٢٢	﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ ...﴾	٤٦	٤٧

٤٣-سورة الزخرف

١٢٣	﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾	١٩	٦٠، ٦٢
١٢٤	﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ ...﴾	٣٦-٣٧	١٠٣
١٢٥	﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾	٨٠	١٥، ٥٨، ٥٩

٤٦-سورة الأحقاف

١٢٦	﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾	١٥	١٧٣

٤٨-سورة الفتح

١٢٧	﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾	٢٩	٨٦

٤٩-سورة الحجرات

١٢٨	﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ ...﴾	١٤	١٠٦

٥٠-سورة ق

١٢٩	﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ ...﴾	١٨	٣٦، ٥٠

٥٢-سورة الطور

١٣٠	﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾	٤١	١٢، ٦٣، ٦٤

٥٣-سورة النجم

١٣١	﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ...﴾	٢٣	٦١

٥٤-سورة القمر

١٣٢	﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ ...﴾	٥٢-٥٣	٥٥

٥٧-سورة الحديد

١٣٣	﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ...﴾	٢٧	٨٦

٥٨-سورة المجادلة

١٣٤	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ...﴾	٨	٣٦
١٣٥	﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾	١٩	١٠٦
١٣٦	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ...﴾	٢٠-٢١	٩٩
١٣٧	﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ...﴾	٢١	٩، ١٠، ١١، ٣١، ٩٦
١٣٨	﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾	٢٢	١٢، ٧٠، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧

٥٩-سورة الحشر

١٣٩	﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾	٣	٧، ١٩٦

٦٣-سورة المنافقون

١٤٠	﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾	٨	١٨٩

٦٥-سورة الطلاق

١٤١	﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ ...﴾	٢-٣	١٥٤

٦٩-سورة الحاقة

١٤٢	﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا ...﴾	٤٤-٤٦	٩٤

٧٥-سورة القيامة

١٤٣	﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾	١٣	٥٥

٨٢–سورة الانفطار

١٤٤	﴿كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢﴾	١٢–١١	٢٩
١٤٥	﴿كِرَامٗا كَٰتِبِينَ﴾	١١	٦٥

٨٧–سورة الأعلى

١٤٦	﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧﴾	١٧	١٨٥

٩٦–سورة العلق

١٤٧	﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ...﴾	٤–١	ز
١٤٨	﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾	٥	ز

٩٨–سورة البينة

١٤٩	﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ...﴾	٥	٧٥

فهرس الأحاديث:

م	طرف الحديث	الصفحة
١	((اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح...)).	١٠٠
٢	((احتج آدم وموسى-عليهما السلام- عند ربهما، فحج آدم موسى...)).	٣١
٣	((أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك)).	١٥٠
٤	((اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك)).	٨٣
٥	((... ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله...)).	١٥٠
٦	((الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، ولقائه ...)).	٦٦
٧	((إن الله حين خلق الخلق كتب بيده على نفسه ...)).	٣٢
٨	((إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب...)).	١١٣
٩	((إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك...)).	١٩٤
١٠	((إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي...)).	٣٠
١١	((إن الله ينهاكم عن التعري، فاستحيوا من ملائكة ...)).	٦٦
١٢	((إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك أصابعه)).	١٦٨
١٣	((أن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودي طعامًا ...)).	١٤٨
١٤	((أن غلامًا قُتل غيلة....)).	١٦٠
١٥	((إنما مثل الجليس الصالح، والجليس السوء، كحامل المسك...)).	٧٥
١٦	((إنه يكتب آثاركم)).	٥٤
١٧	((إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث)).	٦١
١٨	((بني الإسلام على خمس...)).	١٢٢
١٩	((ثلاثة حق على الله عونهم...)).	١٥٣
٢٠	((حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات)).	١٧٤
٢١	((سبع يجري للعبد أجرهن من بعد موته...)).	٥٥
٢٢	((كاتبه)).	٢٤
٢٣	((كان أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- إذا كان الرجل صائمًا ...)).	١٣٠
٢٤	((كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء...)).	٣٣
٢٥	((كان يصبح جنبًا، وهو صائم ثم يغتسل)).	١٣٣
٢٦	((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض...)).	٣١
٢٧	((كنت رجلًا قينا...)).	٤٩

م	طرف الحديث	الصفحة
٢٨	((لا أعفي عن أحد قتل بعد أخذ الدية)).	١٥٩
٢٩	((لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله...)).	١٦٠
٣٠	((لا يرث المسلم الكافر، ولا يرث الكافر المسلم)).	١٢٨
٣١	((لتتبعن سنَنَ من قبلكم شبرا بشبر...)).	٦٢-١٠١
٣٢	((ما الذي حملك على ما صنعت؟)).	٢٩
٣٣	((ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر...)).	٨٨
٣٤	((ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه ...)).	١٢٧
٣٥	((ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان...)).	١٥٥
٣٦	((مطرنا بنوء كذا)).	٤٣
٣٧	((من أكل من هذه البقلة، الثوم...)).	٦٦
٣٨	((من جهز غازيًا في سبيل الله، فقد غزا...)).	١٩٣
٣٩	((من سن في الإسلام سنة حسنة، فعمل بها بعده...)).	٥٥
٤٠	((من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه)).	٨٩
٤١	((هلك المتنطعون قالها ثلاثًا)).	٨٨
٤٢	((وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن شر الأمور محدثاتها...)).	٧٠
٤٣	((... وخط لك التوراة بيده...)).	٣٢
٤٤	((... وشر الأمور محدثاتها)).	٧٠
٤٥	((... وكتب التوراة بيده...)).	٣٢
٤٦	((... وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار)).	٧٠
٤٧	((... يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين...)).	٨٨
٤٨	((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج...)).	١٥١
٤٩	((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار...)).	٦٧
٥٠	((يقول الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له أن يكذبني....)).	٥٢

فهرس الآثار:

رقم	طرف الأثر	رقم الصفحة
١	((بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها، قرشيان وثقفي...)).	٥٨
٢	((روي أن عليًا كرم الله وجهه دخل على رجل يعوده...)).	١٢٩
٣	((فاكتبنا مع الشاهدين، قال: أمة محمد –صلى الله عليه وسلم–)).	٧٣
٤	((في التوراة والإنجيل أن الإسلام دين الله...)).	٨٢
٥	((كان الله أمرهم أن يتبعوا النبي الأمي)).	٨٢
٦	((ناس كانوا يقولون عند رسول الله –صلى الله عليه وسلم– آمنا ...)).	٣٦
٧	((نزلت هذه الآية في النجاشي)).	٧٦
٨	((يريد النجاشي وأصحابه لما قرأ عليهم جعفر بن أبي طالب)).	٧٦

فهرس الأعلام:

م	العلم	رقم الصفحة
١	ابن الأعْرَابيّ	١٣
٢	ابن الجوزي	١١
٣	ابن العربي	١٢٧
٤	ابن القيم	٣٤
٥	ابن جزي الكلبي	١٣
٦	ابن عباس	٣٦
٧	ابن عطية	١٣
٨	ابن قدامة	٢٠
٩	ابن كثير	٣٨
١٠	ابن نجيم	١٧
١١	أبو الحسن الأخفش	٣٨
١٢	أبو بكر بن أبي علي الذكواني	٤
١٣	أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري	٩
١٤	أبو حيان	٣١
١٥	أبو سعيد الخدري	٥٤
١٦	أبو عبيد	١٧
١٧	أبو عبيدة	٣٧
١٨	أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي	١٠
١٩	أبو هريرة	٣٠
٢٠	أحمد بن علي أبو بكر الرازي	٨
٢١	الزبير بن العوام	٨٣
٢٢	السبكي	١٨
٢٣	السرخسي	٢٣
٢٤	الشعبي	١٦٢
٢٥	الضحاك	٣٨
٢٦	الطيبي	٣٣
٢٧	العاص بن وائل	٤٩

م	العلم	رقم الصفحة
٢٨	القرطبي	٨
٢٩	القفال	٢٣
٣٠	الكيا الهراسي	١٢٧
٣١	الليث بن سعد	١٧
٣٢	الماتريدي	٧٠
٣٣	الماوردي	١٩
٣٤	المراغي	٢١
٣٥	النجاشي	٧٦
٣٦	النووي	١٢٣
٣٧	الواحدي	٢٨
٣٨	أنس بن مالك	٥٥
٣٩	بهاء الدين المقدسي	١٢٨
٤٠	جابر بن عبد الله	٦٦
٤١	جعفر بن أبي طالب	٧٦
٤٢	خباب بن الأرت	٤٩
٤٣	عامر بن عبد الله بن الجراح	١٠٤
٤٤	عائشة	١٣٥
٤٥	عبد الرحمن بن عوف	١٨٢
٤٦	عبد الله بن أبي ابن سلول	١٥٢
٤٧	عبد الله بن الزبير	٧٦
٤٨	عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري	٣٧
٤٩	عروة بن الزبير	٨٣
٥٠	عمرو بن جحاش بن كعب	١٩٦
٥١	فنحص بن عازورا	٢٨
٥٢	قابيل	١٦٤
٥٣	قتادة	٣٧
٥٤	قيس بن صرمة الأنصاري	١٣٠
٥٥	كعب الأحبار	١٨٧

م	العلم	رقم الصفحة
٥٦	مجاهد	١٤٩
٥٧	محمد بن كعب القرظي	٥٨
٥٨	مقاتل بن سليمان	٢٩
٥٩	نافع	١٦٦
٦٠	نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي	١٥
٦١	هابيل	١٦٤

فهرس الأماكن والبلدان:

م	المكان	رقم الصفحة
١	أريحاء	١٨٧
٢	الطور	١٨٦
٣	بني قينقاع	١٦٥
٤	جبل لبنان	١٨٧
٥	خيبر	١٩٧

فهرس الكلمات الغريبة:

م	الكلمة الغريبة	رقم الصفحة
١	استلبث	١٩٦
٢	الْأَلَّ	١٠٤
٣	الحلقة	١٩٧
٤	الحَجَف	١٧٨
٥	الراهب	٧٧
٦	السوائب	٦٤
٧	الشرجة	٨٣
٨	القين	٤٩
٩	المشاكلة	٤٥
١٠	بني قريظة	١٩٧
١١	حائط	٦٦
١٢	ربعة	٦٩
١٣	سبط الشعر	٦٩
١٤	غيلة	١٦٠
١٥	مِدْرَاس اليهود	٢٨

فهرس الأشعار:

م	الشطر الأول	الشطر الثاني	الصفحة
	حرف الألف		
١	وإذا مـــا خـــلا الجبـــان بأرض	طلـــب الطعـــن وحـــده والنـــزالا	١٧٦
	حرف الباء		
٢	وربمـــا كـــان مكـــروه الأمـــور إلى	محبوبهـــا ســـببا مـــا مثلـــه ســـبب	١٧٤
	حرف الثاء		
٣	ويمنـــع الشـــخص مـــن المـــيراث	واحـــدة مـــن علـــل ثـــلاث	١٢٨
	حرف الراء		
٤	إذا مـــا حمـــام المـــرء كـــان ببلـــدة	دعتـــه إليهـــا حاجـــةٌ فيطـــير	١٧٨
	حرف السين		
٥	إذا مـــا الضّـــجيع ثـــنى جيـــدها	تثنّـــت عليـــه فكانـــت لباســـا	١٣١
	حرف العين		
٦	فباتـــت بنـــات الليـــل حـــولي عكفـــا	عكـــوف البـــواكي بيـــنهن صـــريع	١٣٢
	حرف اللام		
٧	كُتـــبَ القَتْـــلُ والقتَـــالُ عَلَيْنَـــا	وعلَـــى الغَانيَـــات جـــرُّ الـــذّيول	١٥٨
	حرف الميم		
٨	إذا غـــامرت في شـــرف مـــروم	فـــلا تقنـــع بمـــا دون النجـــوم	١٨٥
٩	مشـــين كمـــا اهتـــزت رمـــاح تسـفّهت	أعاليهـــا مـــر الـــرياح النّواســـم	١٤٠
١٠	ومـــن هـــاب أســـباب المنـــايا ينلنـــه	ولـــو نال أســـباب الســـماء بســـلم	١٨٥

فهرس المصادر والمراجع:

١) **الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما**، ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت: ٦٤٣هـ)، دراسة وتح: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م.

٢) **أحكام القرآن للشافعي – جمع البيهقي**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، كتب هوامشه: عبد الغني عبد الخالق، قدم له: محمد زاهد الكوثري، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة، ط٢، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٣) **أحكام القرآن**، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠هـ)، تح: عبد السلام محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط ١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٤) **أحكام القرآن**، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ٣، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٥) **أحكام القرآن**، علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي (ت: ٥٠٤هـ)، تح: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ.

٦) **الأحكام الوسطى من حديث النبي –صلى الله عليه وسلم–**، عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد إبراهيم الأزدي، الأندلسي الأشبيلي، المعروف بابن الخراط (ت: ٥٨١هـ)، تح: حمدي السلفي، صبحي السامرائي، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

٧) **أخبار القضاة**، أَبو بكْر محمّد بن خلفِ بنِ حيَّان بْنِ صدقَةَ الضَبي، المُلَقَّب بِوكِيع" (ت: ٣٠٦هـ)، تح: صححه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، بشارع محمد علي بمصر لصاحبها: مصطفى محمد، ط ١، ١٣٦٦هـ=١٩٤٧م.

٨) **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، د، ط ت.

٩) **الأساس في التفسير**، سعيد حوّى (ت١٤٠٩هـ)، الناشر: دار السلام – القاهرة، ط ٦، ١٤٢٤هـ.

١٠) **أسباب النزول**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تح: ماهر ياسين الفحل، الناشر: دار الميمان، ط١، تاريخ النشر:١٤٢٦هـ.

١١) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تح: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

١٢) **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، تح: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، ط ١، سنة النشر: ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م.

١٣) **الإسلام والحكم**، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (ت: ١٤٢٠ هـ)، الناشر: المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨م.

١٤) **الأسماء والصفات**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، باب ما جاء في إثبات اليدين صفتين، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: مقبل بن هادي الوادعي، الناشر: مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

١٥) **الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية**، نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عيد الكريم الطوفي الحنبلي (ت ٧١٦ هـ)، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

١٦) **الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان**، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (ت: ٩٧٠هـ)، وضع حواشيه وخرج أحاديثه: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط ١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

١٧) **الأشباه والنظائر**، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: ٧٧١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١هـ– ١٩٩١م.

١٨) **الإصابة في تميز الصحابة**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١– ١٤١٥هـ.

١٩) **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٢٠) **إعراب القرآن**، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، (ت: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية– بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ.

٢١) **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تح: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، د، ت.

٢٢) **الإقناع في مسائل الإجماع**، علي بن محمد بن عبد الملك الحميري الفاسي، أبو الحسن ابن القطان (ت: ٦٢٨هـ)، تح: حسن فوزي الصعيدي، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

٢٣) **الأم**، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت: ٢٠٤هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، سنة النشر: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، د، ط.

٢٤) **الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار**، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (ت: ٥٥٨هـ)، تح: سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٢٥) **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط ١، – ١٤١٨هـ.

٢٦) **أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء**، قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي (ت: ٩٧٨هـ)، تح: يحيى حسن مراد، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، (١٢٠٠٤م–١٤٢٤هـ).

٢٧) **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ٥، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٨) **بحر العلوم**، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣ هـ، دار النشر: دار الفكر – بيروت، محمود مطرجي، د، ط ت.

٢٩) **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تح: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ، د، ط.

٣٠) **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ)، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، وحسن عباس زكي – القاهرة، ط١: ١٤١٩هـ.

٣١) **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (ت: ٥٩٥ هـ)، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٤، ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥م.

٣٢) **البداية والنهاية**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت:٧٧٤هـ)، تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م).

٣٣) **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (ت: ٥٨٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

٣٤) **البرهان في علوم القرآن**، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م.

٣٥) **البصائر والذخائر**، أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس، (ت ٤٠٠هـ)، تح: وداد القاضي، الناشر: دار صادر – بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٣٦) **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية – لبنان، صيدا، د، ت، ط.

٣٧) **تاج التراجم**، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني الجمالي الحنفي، تح: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤١٣ هـ –١٩٩٢م.

٣٨) **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تح: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، د، ط ت.

٣٩) **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ، باب أنشأ، تح: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، د، ط ت.

٤٠) **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تح: بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٣م.

٤١) **تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس**، حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري (ت: ٩٦٦هـ)، الناشر: دار صادر– بيروت، د، ط ت.

٤٢) **تاريخ الفكر الديني الجاهلي**، محمد إبراهيم الفيومي (ت: ١٤٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر العربي، ط ٤، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٤٣) **التاريخ الكبير**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ)، دائرة المعارف العثمانية، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، حيدر آباد – الدكن، د، ط ت.

٤٤) **تاريخ بغداد**، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية بيروت، د، ط ت.

٤٥) **تاريخ دمشق**، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، تح: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٤٦) **تأويلات أهل السنة**، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تح: مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٤٧) **التحرير والتنوير تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس: ١٩٨٤ هـ، د، ط.

٤٨) **تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة**، القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، **تح:** لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، عام النشر: ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

٤٩) **تذكرة الحفاظ**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، ط١، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.

٥٠) **التسهيل لعلوم التنزيل**، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي (ت: ٧٤١هـ) تح: عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم– بيروت، ط١،– ١٤١٦ هـ.

٥١) **تعريف عام بدين الإسلام**، علي بن مصطفى الطنطاوي (ت: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

٥٢) **تفسير ابن عرفة**، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، (ت: ٨٠٣هـ)، **تح**: جلال الأسيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٨ م.

٥٣) **تفسير الإمام الشافعي**، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي المكي (ت: ٢٠٤هـ)، جمع وتح، ودراسة: أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، الناشر: دار التدمرية – المملكة العربية السعودية، ط ١: ١٤٢٧–٢٠٠٦م.

٥٤) **التَّفْسِيرُ البَسِيْط** أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تح: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي –جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٣٠ هـ.

٥٥) **تفسير التستري**، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (ت: ٢٨٣هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تح: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٣.

٥٦) **تفسير الجلالين**، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، الناشر: دار الحديث – القاهرة، ط ١، د، ت.

٥٧) **تفسير الراغب الأصفهاني**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تح: محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب – جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٥٨) **تفسير الشعراوي – الخواطر**، محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، نشر عام ١٩٩٧ م، د، ط.

٥٩) **تفسير الفاتحة والبقرة**، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت:١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٣هـ.

٦٠) **تفسير القرآن العزيز**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت: ٣٩٩هـ)، أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة – مصر/القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

٦١) **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، تح: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط ٣، – ١٤١٩هـ.

٦٢) **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تح: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٦٣) **تفسير القرآن**، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، ط ١، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

٦٤) **التفسير القرآني للقرآن**، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، د، ت.

٦٥) **تفسير المراغي**، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط ١، ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م.

٦٦) **تفسير المنار**، ومحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن علي خليفة الحسيني، (ت: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م، د، ط.

٦٧) **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ.

٦٨) **التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه**، أحمد بن عبد الله الزهراني، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة– الطبعة: الأعداد ٨٥– ١٠٠ السنوات ٢٢– ٢٥ المحرم ١٤١٠– ذو الحجة ١٤١٣هـ.

٦٩) **التفسير الواضح**، الحجازي، محمد محمود، الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت، ط١٠، ١٤١٣هـ.

٧٠) **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط١، (١٣٩٣هـ١٩٧٣م) - (١٤١٤هـ- ١٩٩٣م).

٧١) **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط ١، أجزاء ٨ – ١٤: فبراير ١٩٩٨م.

٧٢) **التفسير الوسيط** وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر – دمشق، ط١ – ١٤٢٢هـ.

٧٣) **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت– لبنان ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

٧٤) **تفسير مقاتل بن سليمان**، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت: ١٥٠هـ)، تح: أحمد فريد، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

٧٥) **التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث**، فضل حسن عبَّاس، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.

٧٦) **التفسير والمفسرون**، محمد السيد حسين الذهبي (ت: ١٣٩٨هـ): الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، د، ط ت.

٧٧) **تفسير يحيى بن سلام**، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت: ٢٠٠هـ)، تقديم وتح: هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنا، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٧٨) **تقريب التهذيب**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)، تح: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد، سوريا، ط١، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م.

٧٩) **تقويم أساليب تعليم القرآن الكريم وعلومه في وسائل الإعلام**، محمد حسن محمد سبتان، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، د، ت.

٨٠) **التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد**، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، ابن نقطة الحنبلي البغدادي (ت: ٦٢٩هـ)، تح: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٨١) **تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرف الآيات والنبأ العظيم**، عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد ابن برَّجان الإشبيلي (ت:٥٣٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٨٢) **تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الجاهلين**، محيي الدين أبو زكريا أحمد بن إبراهيم ابن النحاس الدمشقي (ت: ٨١٤ هـ)، حققه وعلق عليه: عماد الدين عباس سعيد، إشراف: المكتب السلفي لتحقيق التراث، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٨٣) **التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ**، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (ت: ١١٨٢هـ)، تح: محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، ط ١، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١م.

٨٤) **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (ت: ٧٤٢هـ)، تح: بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط ١، ١٤٠٠ – ١٩٨٠م.

٨٥) **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تح: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ط١، ٢٠٠١م.

٨٦) **توضيح الأحكام شرح تحفة الحكام**، عثمان بن المكي التوزري الزبيدي، الناشر: المطبعة التونسية، ط١، ١٣٣٩ هـ.

٨٧) **توضِيحُ الأحكَامِ مِن بُلوُغ المَرَام**، أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم التميمي (ت: ١٤٢٣هـ)، الناشر: مكتَبة الأسدي، مكّة المكرّمة، ط ٥، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

٨٨) **تيسير البيان لأحكام القرآن**، محمد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم بن الخطيب اليمني الشافعي، (ت: ٨٢٥هـ)، بعناية: عبد المعين الحرش، الناشر: دار النوادر، سوريا، ط ١، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

٨٩) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م.

٩٠) **التيسير بشرح الجامع الصغير**، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ –١٩٨٨م.

٩١) **التيسير في أحاديث التفسير**، محمد المكي الناصري (ت: ١٤١٤هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٩٢) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

٩٣) **جامع البيان في تفسير القرآن**، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ (ت: ٩٠٥هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٩٤) **الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين**، أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي (ت: ١٤٢٢ هـ)، الناشر: دار الآثار للنشر والتوزيع، صنعاء - اليمن، ط١، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.

٩٥) **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط ١، ١٤٢٢هـ.

٩٦) **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تح: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣ م، د، ط .

٩٧) **جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تح: شعيب الأرناؤوط عبد القادر الأرناؤوط الناشر: دار العروبة - الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٧.

٩٨) **جمل من أنساب الأشراف**، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت: ٢٧٩هـ)، تح: سهيل زكار ورياض الزركلي، الناشر: دار الفكر - بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٩٩) **جهود محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف**، عبد العزيز ين صالح بن إبراهيم الطويان، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

١٠٠) **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)، تح: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، - ١٤١٨هـ.

١٠١) **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (ت: ٧٧٥هـ)، الناشر: مير محمد كتب خانه – كراتشي، د، ط ت.

١٠٢) **حاشيتا القونوي وابن التمجيد عَلَى البيضاوي**، عصام الدين إسْمَاعيل بن مُحَمَّد الحنفي (صاحب: «حاشية القونوي» على البيضاوي). (ت: ١١٩٥هـ) مصلح الدين بن إبْرَاهيم الرومي الحنفي (صاحب: حاشية ابن التمجيد» على البيضاوي). (٨٨٠ هـ)، تح: عبد الله محمود مُحَمَّد عمر، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، سنة النشر: ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١٠٣) **حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار**، محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي، (ت: ٩٣٠هـ)، الناشر: دار المنهاج – جدة، تح: محمد غسان نصوح عزقول، ط ١، ١٤١٩هـ.

١٠٤) **حسن السلوك الحافظ دولة الملوك**، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان بن عبد العزيز البعلي شمس الدين، ابن الموصلي (ت: ٧٧٤هـ)، تح: فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: دار الوطن – الرياض، د، ت.

١٠٥) **حكم الإسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض**، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت: ١٤٢٠هـ)، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: السنة السابعة، العدد الأول، رجب ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

١٠٦) **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م، ثم صورتها عدة دور منها، دار الكتاب العربي بيروت، وغيرها (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تح).

١٠٧) **حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء**، سيف الدين أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي القفال، حققه وعلق عليه: ياسين أحمد إبراهيم درادكه، الأستاذ المساعد في كلية الشريعة – الجامعة الأردنية، الناشر: مكتبة الرسالة الحديثة – المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ط١، ٩٨٨ م.

١٠٨) **خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم**، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ) الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، ١٤٢٥هـ.

١٠٩) **خلق أفعال العباد للبخاري**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ)، تح: عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار المعارف السعودية – الرياض، د، ت.

١١٠) **الداء والدواء**، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت٦٩١ – ٧٥١)، تح: محمد أجمل الإصلاحي خرج أحاديثه: زائد بن أحمد النشيري، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٩ هـ.

١١١) **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تح: أحمد محمد الخراط الناشر: دار القلم، دمشق، د، ط ت.

١١٢) **دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر**، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ)، تحقيق: طلعت صلاح الفرحان، ومحمد أديب شكور أمرير، الناشر: دار الفكر – عمان، الأردن، ط ١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

١١٣) **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تح: مراقبة محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/الهند، ط٢، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

١١٤) **دلائل النبوة**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، تح: محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، الناشر: دار النفائس، بيروت، ط ٢، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م.

١١٥) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين الكوفي (ت٣٠٣هـ –٣٥٤هـ)، صححها وقارن نسخها وجمع تعليقاتها: عبد الوهاب عزام، الناشر: لجنة التأليف والترجمة والنشر، د، ط ت.

١١٦) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين الكوفي (ت٣٠٣هـ –٣٥٤هـ)، صححها وقارن نسخها وجمع تعليقاتها: عبد الوهاب عزام، الناشر: لجنة التأليف والترجمة والنشر، د، ت.

١١٧) **ديوان الإسلام**، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (ت: ١١٦٧هـ)، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

١١٨) **ديوان الاعشى**، ميمون بن قيس بن جندل بن ثعلبة الوائلي، المعروف بأعشى قيس، (ت: ٦٢٩ م)، د، ط ت.

١١٩) **ديوان الطرماح**، الطرماح بن حكيم بن الحكم (ت: ١٢٥ هـ)، الناشر: دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

١٢٠) **ديوان عمر بن أبي ربيعة**، عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، (ت: ٧١١ م /٩٣ هـ)، تح: أحمد أكرم الطباع، الناشر: دار القلم، بيروت – لبنان، د، ط ت.

١٢١) **ذيل طبقات الحنابلة**، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض، ط ١، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥م.

١٢٢) **ربيع الأبرار ونصوص الأخيار**، جار الله الزمخشري (ت: ٥٨٣هـ)، الناشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت ط ١، ١٤١٢ هـ.

١٢٣) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

١٢٤) **زاد المسير في علم التفسير**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط ١، – ١٤٢٢هـ.

١٢٥) **زهرة التفاسير**، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي، د، ت.

١٢٦) **سر صناعة الإعراب**، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م.

١٢٧) **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ)، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥هـ.

١٢٨) **سنن ابن ماجه**، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، د، ت.

١٢٩) **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

١٣٠) **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، (ت: ٢٧٩هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض،

الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

١٣١) **السنن الكبرى**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م.

١٣٢) **السنن الكبرى**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، ط٣، ٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م.

١٣٣) **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تح: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

١٣٤) **السيرة النبوية – دروس وعبر**، مصطفى بن حسني السباعي (ت: ١٣٨٤هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

١٣٥) **السِّيرةُ النّبوية عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث**، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٧، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

١٣٦) **السيرة النبوية لابن هشام**، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، (ت: ٢١٣هـ)، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ٢، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م.

١٣٧) **السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن حزم، ط ١، د، ت.

١٣٨) **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ابن العماد شهاب الدين عبد الرحمن بن أحمد العكبري الحنبلي، إشراف وتخريج وتح: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط دار بن كثير – بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

١٣٩) **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي للالكائي (ت: ٤١٨هـ)، تح: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة – السعودية، ط ٨، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م.

١٤٠) **شرح السنة**، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٦هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط–محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

١٤١) **شرح الطيبي على مشكاة المصابيح**، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: ٧٤٣هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة – الرياض، ط ١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧.

١٤٢) **شرح العقيدة الواسطية**، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ٦، ١٤٢١هـ.

١٤٣) **شرح سنن النسائي المسمى ذخيرة العقبى في شرح المجتبى**، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي الناشر: دار المعراج الدولية للنشر جـ ١-٥- دار آل بروم للنشر والتوزيع جـ ٦ -٤٠، ط١، جـ (١٣-٤٠) /١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

١٤٤) **شرح منظومة القواعد والأصول لابن عثيمين**، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، المصدر: الشاملة الذهبية، د، ط ت.

١٤٥) **الشريعة**، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (ت: ٣٦٠هـ)، تح: عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الناشر: دار الوطن، الرياض، السعودية، ط ٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

١٤٦) **شعب الإيمان**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف: على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

١٤٧) **الشعر والشعراء**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٣ هـ، د، ط.

١٤٨) **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين، ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ) تح وتعليق: عصام فارس الحرستاني، خرج أحاديثه: محمد إبراهيم الزغلي، الناشر: دار الجيل – بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

١٤٩) **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت: ٨٢١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، د، ط ت.

١٥٠) **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، د، ط ت.

١٥١) **الطب النبوي**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين، ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تح: السيد الجميلي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٠ هـ/١٩٩٠ م.

١٥٢) **طبقات الحفاظ**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١، ١٤٠٣.

١٥٣) **طبقات الشافعية**، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٧٧٢ هـ)، **تح**: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٢ م.

١٥٤) **طبقات الشافعيين**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تح: أحمد عمر هاشم، محمد زينهم محمد عزب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، (ص: ٩١٣).

١٥٥) **طبقات الفقهاء**، أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت: ٤٧٦هـ)، هذبهُ: محمد بن مكرم ابن منظور (ت: ٧١١هـ)، تح: إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٧٠.

١٥٦) **الطبقات الكبرى**، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.

١٥٧) **طبقات المفسرين العشرين**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تح: علي محمد عمر، مكتبة وهبة – القاهرة، ط ١، ١٣٩٦م، (ص:٩٢)، وينظر: **طبقات المفسرين** للداوودي.

١٥٨) **طبقات المفسرين**، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت: ٩٤٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر د، ط ت.

١٥٩) **طبقات النحاة واللغويين**، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الدمشقي، ابن قاضي شهبة (ت: ٨٥١ هـ)، د، ط ت.

١٦٠) **العدة شرح العمدة**، عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد، أبو محمد بهاء الدين المقدسي (ت: ٦٢٤هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة، تاريخ النشر: ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣ م، د، ط.

١٦١) **العظمة**، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني (ت: ٣٦٩هـ)، باب خلق آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام،

من حديث عبد الله بن الحارث، تح: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة – الرياض، ط ١، ١٤٠٨هـ.

١٦٢) **العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تح: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الناشر: أضواء السلف–الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م.

١٦٣) **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

١٦٤) **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي (ت: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، د، ت.

١٦٥) **غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني**، أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، شهاب الدين الشافعيّ ثم الحنفي (ت: ٨٩٣هـ)، من أول سورة النجم إلى آخر سورة الناس، تح: محمد مصطفي كوكصو (رسالة دكتوراه)، الناشر: جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية – تركيا، عام النشر: ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

١٦٦) **غرائب التفسير وعجائب التأويل**، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت: نحو ٥٠٥هـ)، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية –جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت، د، ت.

١٦٧) **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ)، تح: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، ط ١، – ١٤١٦هـ.

١٦٨) **غريب الحديث**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تح: عبد المعطي أمين القلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٥ – ١٩٨٥.

١٦٩) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

١٧٠) **فتحُ البيان في مقاصد القرآن** أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

١٧١) **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (ت: ٩٢٧ هـ)، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر إصدارات وزارة الأوقاف والشُؤُون الإسلاميّة –إدارَة الشؤُون الإسلاميّة، ط ١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

١٧٢) **فتح القدير**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط ١، – ١٤١٤هـ.

١٧٣) **الفصول في السيرة**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تح وتعليق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو، الناشر: مؤسسة علوم القرآن، ط ٣، ١٤٠٣هـ.

١٧٤) **فقه التمكين عند دولة المرابطين**، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي الناشر: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة مصر، ط١، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م.

١٧٥) **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية**، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت: ٩٢٠هـ)، الناشر: دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، ط ١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.

١٧٦) **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، وتعليق بعض الزوائد عليه: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، طبع بمطبعة دار السعادة بجوار محافظة مصر، لصاحبها محمد إسماعيل، ط١، ١٣٢٤ هـ.

١٧٧) **في ظلال القرآن**، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط ١٧، –١٤١٢هـ.

١٧٨) **قاعدة في المحبة**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تح: محمد رشاد سالم، الناشر: مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، د، ت.

١٧٩) **القاموس المحيط** مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت: ٨١٧هـ)، تح: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي،

الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط ٨، (١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م).

١٨٠) **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر**، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي الحضرمي الشافعي، (ت٨٧٠ – ٩٤٧ هـ)، عُني به: بو جمعة مكري، خالد زواري، الناشر: دار المنهاج – جدة، ط١، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٨ م.

١٨١) **الكافي في فقه الإمام أحمد**، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

١٨٢) **الكامل في اللغة والأدب**، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت: ٢٨٥هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

١٨٣) **كتاب الحاوي الكبير**، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠ هـ)، دار النشر: دار الفكر . بيروت د، ط ت.

١٨٤) **كتاب تفسير القرآن**، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت: ٣١٩هـ)، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، حققه وعلق عليه: سعد بن محمد السعد، دار النشر: دار المآثر – المدينة النبوية، ط١، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢م.

١٨٥) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ.

١٨٦) **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تح: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض، د، ت.

١٨٧) **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، (ت: ٤٢٧هـ)، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق، نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م.

١٨٨) **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، تح: عدنان درويش، ومحمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، د، ط ت.

١٨٩) **الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود الحنبلي الدمشقي الصالحي (ت: ٨٥٦هـ)، تح: مصطفى عثمان صميدة،

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين بالقاهرة، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م.

١٩٠) **الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (المسمَّى: الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج)**، محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، نزيل مكة المكرمة والمجاور بها، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة، هاشم محمد علي مهدي، المستشار برابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة، الناشر: دار المنهاج – دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

١٩١) **لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت:٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

١٩٢) **لباب النقول في أسباب النزول**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

١٩٣) **اللباب في علوم الكتاب**، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت /لبنان، ط١، ١٤١٩هـ –١٩٩٨م.

١٩٤) **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى (ت:٧١١هـ)، الناشر: دار صادر– بيروت، ط ٣، (١٤١٤هـ).

١٩٥) **لطائف الإشارات**، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، تح: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط ٣، د، ت.

١٩٦) **المبدع في شرح المقنع**، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (ت: ٨٨٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

١٩٧) **المبسوط** محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت: ٤٨٣هـ)، دار المعرفة – بيروت، د، ط تاريخ النشر: ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

١٩٨) **متن الرحبية بغيه الباحث عن جمل الموارث**، موفق الدين أبو عبد الله – توفي ٥٧٩ سنة، الناشر: دار المطبوعات الحديثة، د، ط ١٤٠٦/١/٢١هـ.

١٩٩) **مجالس التذكير من حديث البشير النذير**، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (ت: ١٣٥٩هـ)، الناشر: مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط ١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٢٠٠) **المجتبى من السنن، السنن الصغرى للنسائي**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، باب كيفية الخطبة، (ت: ٣٠٣هـ)، تح: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط ٢، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م.

٢٠١) **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، تح: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٢٠٢) **المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث**، محمد بن عمر بن أحمد بن عمر الأصبهاني المديني، أبو موسى (ت: ٥٨١هـ)، تح: عبد الكريم العزباوي، الناشر: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية– مكة المكرمة– دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، ط:١.

٢٠٣) **المجموع شرح المهذب مع تكملة السبكي والمطيعي**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ) الناشر: دار الفكر، د، ط ت.

٢٠٤) **مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي)**، أبو محمد مكي بن أبي طالب بن محمد بن مختار القيسي القيرواني القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ)، تح: جامعة الشارقة، بإشراف، الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية– جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م.

٢٠٥) **محاسن التأويل**، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، **تح**: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ.

٢٠٦) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ.

٢٠٧) **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

٢٠٨) **المدينة بين الماضي والحاضر**، إبراهيم بن علي العياشي، الناشر: مكتبة الثقافة المدينة المنورة، ط١، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م، ط٢، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٢٠٩) **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١ – ١٩٩٠م.

٢١٠) **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق المعروف بالبزار، (ت: ٢٩٢هـ)، تح: المحفوظ الرحمن زين الله، وأخرون، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط ١، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

٢١١) **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، د. ط. ت.

٢١٢) **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ.

[٢١٣]**معاني الحروف الثنائية والثلاثية**، رزاق عبد الأمير مهدي الطيَّار، إشراف: نعمة رحيم العزاوي.

٢١٤) **معاني القرآن وإعرابه**، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تح: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٢١٥) **المعجزة الكبرى القرآن**، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، الناشر: دار الفكر العربي، د، ط ت.

٢١٦) **معجم البلدان**، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥م، (٤/٤٢٤).

٢١٧) **المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية**، موستراس قنصل روسية في إزمير (ت: ١٨٧١م)، تح: عصام محمد الشحادات، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

٢١٨) **معجم لغة الفقهاء**، محمد رواس قلعجي، وحامد صادق قنيبي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط: ٢، (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م).

٢١٩) **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ)، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

٢٢٠) **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تح: محمد إبراهيم عبادة، الناشر: مكتبة الآداب القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٢٢١) **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكرياء الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تح: عبدالسلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) د، ط.

٢٢٢) **المغرب في ترتيب المعرب**، ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، برهان الدين الخوارزمي (ت: ٦١٠هـ)، تح: محمود فاخوري وعبدالحميد مختار الناشر: مكتبة أسامة بن زيد – حلب، ط ١، ١٩٧٩م.

٢٢٣) **المغني شرح مختصر الخرقي**، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ) الناشر: دار إحيار التراث العربي، ط: ١، سنة النشر: ١٤٠٥هـ /١٩٨٥ م.

٢٢٤) **مفاتيح الغيب**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط ٣، ١٤٢٠ هـ.

٢٢٥) **مفتاح العلوم**، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي (ت: ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٢٦) **المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تح: محمد سيد كيلاني، الناشر: دار المعرفة، مكان النشر: لبنان، د، ط ت.

٢٢٧) **المفصل في أحكام الربا**، علي بن نايف الشحود، المصدر: الشاملة الذهبية، د، ط ت.

٢٢٨) **مقاصد الشريعة الإسلامية**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، عام النشر: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م، د، ط .

٢٢٩) **المقدمات الممهدات**، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت: ٥٢٠هـ)، تح: محمد حجي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٣٠) **المنتقى شرح الموطإ**، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (ت: ٤٧٤هـ)، الناشر: مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر، ط ١، ١٣٣٢هـ.

٢٣١) **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت: ٨٧٤هـ)، حققه ووضع حواشيه: محمد محمد أمين تقديم: سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د، ط ت.

٢٣٢) **موسوعة الفقه الإسلامي**، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، الناشر: بيت الأفكار الدولية، ط ١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م.

٢٣٣) **الموسوعة الفقهية الكويتية**، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الطبعة: (من ١٤٠٤ – ١٤٢٧هـ).

٢٣٤) **موسوعة فقه القلوب**، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، الناشر: بيت الأفكار الدولية، د، ت.

٢٣٥) **موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام**، أحمد بن سليمان أيوب، ونخبة من الباحثين، وإشراف: سليمان الدريع الناشر: دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع، دار وقفية دعوية، ط ١، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م.

٢٣٦) **النبوات**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تح: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٢٣٧) **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تح: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة– لبنان/بيروت، ط ١، (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م).

٢٣٨) **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، (ت: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د، ط ت.

٢٣٩) **النكت والعيون**، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٢٤٠) **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير(ت: ٦٠٦هـ)، تح: طاهر

أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، د، ط .

٢٤١) **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه**، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني (ت: ٤٣٧هـ)، تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٢٤٢) **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٢٤٣) **الوجوه والنظائر في القرآن العظيم**، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت: ١٥٠هـ)، تح: حاتم صالح الضامن، الناشر: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث دبي، د، ط ت.

٢٤٤) **الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، هارون بن موسى القارئ (ت: ١٧٠هـ)، تح: حاتم صالح الضامن، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام العراقية، د، ط ت.

٢٤٥) **الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري**، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة-، ط ،١، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م).

٢٤٦) **الوجوه**، إسماعيل الحيري (ت:٤٣١ هـ)، المصدر: الشاملة الذهبية، د، ت، ط.

٢٤٧) **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تح: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٢٤٨) **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تح وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، وآخرون، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٢٤٩) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي (ت: ٦٨١هـ)، تح: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، ط١، ١٩٧١م.

فهرس المحتويات:

الإهداء..... ج

شكـــر وعرفـــان.....**د**

ملخص البحث:.....**هـ**

المقدمة:.....**ز**

أهمية الموضوع: .....**ح**

أسباب اختيار الموضوع:.....**ط**

أهداف البحث: .....**ط**

الدراسات السابقة:.....**ط**

حدود البحث:.....**ك**

منهجية البحث: .....**ك**

تقسيمات البحث:.....**ل**

الفصل الأول: الكتابة (مفهومها، أهميتها، أوجه استعمالاتها في القرآن الكريم، ضوابطها) ٣

المبحث الأول: مفهوم الكتابة لغة واصطلاحاً:..... ٢

المطلب الأول: مفهوم الكتابة لغة ٣

المطلب الثاني: مفهوم الكتابة في الاصطلاح..... ٤

المبحث الثاني: أهمية الكتابة في ضوء القرآن الكريم وأوجه استعمالاتها فيه..... ٦

المطلب الأول: أهمية الكتابة في ضوء القرآن الكريم..... ٧

المطلب الثاني: أوجه استعمالات الكتابة في القرآن الكريم..... ١١

المبحث الثالث: ضوابط الكتابة من خلال القرآن الكريم.....١٦

المطلب الثاني: ضوابط الكتابة من خلال القرآن الكريم ١٩

الفصل الثاني: استعمالات لفظ الكتابة في سياق آيات الاعتقاد، والإتباع والابتداع، والتشريع، والتمكين والولاء والبراء ٣١

المبحث الأول: استعمال لفظ الكتابة في سياق آيات الاعتقاد..... ٢٧

المطلب الأول: علم الله وإحاطته بما يقوله أهل الكتاب والمنافقين ٢٨

المسألة الأولى: علم الله وإحاطته بما يقوله أهل الكتاب..... ٢٨

المسألة الثانية: علم الله وإحاطته بأقوال المنافقين..... ٣٦

المطلب الثاني: الإيمان والرضى والتسليم بقدر الله واعتقاد الخير فيه..... ٤٠

المطلب الثالث: كتابة الملائكة مكر الماكرين واحصائها للأعمال الصالحة..... ٤٣

المسألة الأولى: كتابة الملائكة مكر الماكرين ٤٣

المسألة الثانية: إحصاء الملائكة للأعمال الصالحة. ٤٦

المطلب الرابع: إنكار البعث والاستهزاء به والكفر بآيات الله وبرسوله..... ٤٩

المطلب الخامس: كتابة أعمال الإنسان في حياته وآثاره الخالدة بعد موته..... ٥٤

المطلب السادس: إحاطة الله وعلمه بكيد المشركين وسرِّهم ونجواهم ٥٨

المطلب السابع: إنكار فِريَة وزعم الكفار بأن الملائكة إناث..... ٦٠

المطلب الثامن: إبطال الله دعاوى المشركين وزعمهم علم الغيب..... ٦٣

المطلب التاسع: وجوب الإيمان بأعمال الملائكة المتعلقة بالإنسان ٦٥

المبحث الثاني: استعمال لفظ الكتابة في سياق آيات الاتباع والابتداع ٦٨

المطلب الأول: خطورة التكسب بتحريف كلام الله والمتاجرة بالدين ٦٩

المطلب الثاني: إتباع الحواريين لعيسى- عليه السلام- وتصديقهم به..... ٧٣

المطلب الثالث: اتباع بعض النصارى للنبي- صلى الله عليه وسلم- وإيمانهم به ٧٦

المطلب الرابع: بيان صفة النبي -صلى الله عليه وسلم- في التوراة والإنجيل ٨٠

المطلب الخامس: وجوب الاتباع والتسليم لله في كل الأمور والرضا بذلك ٨٣

المطلب السادس: التشدد والابتداع في رهبانية النصارى ٨٦
المبحث الثالث: استعمالات لفظ الكتابة في سياق الآيات الدالة على التشريع والتمكين والولاء والبراء ٩٠
المطلب الأول: التشريعات والتوجيهات المنزلة على موسى عليه السلام، لإصلاح قومه ... ٩١
المطلب الثاني: اتهام المشركين لمصدر التشريع بأنه اختلاق من رسول الله صلى الله عليه وسلم ٩٣
المطلب الثالث: وعد الله بإظهار دينه وغلبة رسله وتمكين عباده الصالحين في الأرض ... ٩٦
المطلب الرابع: موالاة الشيطان وأثرها في حياة الإنسان ١٠٢
المطلب الخامس: تناقض الإيمان بموادّة وموالاة أعداء الله ورسوله..... ١٠٤
المبحث الرابع: استعمالات لفظ الكتابة في سياق الآيات الدالة على الرحمة ١٠٨
المطلب الأول: تودد الله للمعرضين عنه للإقبال إليه ١٠٩
المطلب الثاني: إرشاد وتوجيه الله لرسوله إلى الطريقة المثلى في الدعوة إليه ١١٢
المطلب الثالث: سعة رحمة الله تعالى وشموليتها ١١٥
الفصل الثالث: استعمالات لفظ الكتابة في آي القرآن الكريم حسب السياقات الفقهية ١٢٣
المبحث الأول: استعمالات لفظ الكتابة في سياق آيات العبادات ١١٩
المطلب الأول: فرض الصيام علينا وعلى من قبلنا إشعارًا بوحدة الدين..... ١٢٠
المطلب الثاني: مشروعية الوصية عند الموت..... ١٢٥
المطلب الثالث: إباحة الأكل والشرب والجماع في ليالي رمضان ١٣٠
المطلب الرابع: مراعاة حقوق الضعيفين المرأة واليتيم..... ١٣٥
المبحث الثاني: استعمالات لفظ الكتابة في سياق آيات المعاملات ١٣٨
المطلب الأول: الأمر بكتابة الديون والإشهاد عليها..... ١٣٩
المطلب الثاني: مشروعية الرهن عوضًا عن الكتابة والتوثيق ١٤٦

المطلب الثالث: مشروعية مكاتبة العبيد..... ١٥١
المبحث الثالث: استعمال لفظ الكتابة في سياق آيات القصاص والحدود..... ١٥٦
المطلب الأول: حكم القصاص وعدالة التشريع فيه ١٥٧
المطلب الثاني: تحريم قتل النفس المعصومة..... ١٦٥
المطلب الثالث: وجوب القود في النفس والقصاص في الجراحات..... ١٦٩
المبحث الرابع: استعمالات لفظ الكتابة في سياق آيات الجهاد والقتال..... ١٧١
المطلب الأول: ليس كل مكروه ضارًا ولا كل محبوب نافعًا..... ١٧٢
المطلب الثاني: السبب في طلب بني إسرائيل القتال في سبيل..... ١٧٥
المطلب الثالث: مِنَنُ الله على المجاهدين يوم أحد وفضح المنافقين والرد على أقوالهم
وأراجيفهم..... ١٧٨
المطلب الرابع: القعود عن الجهاد خشية القتل أو الأسر عند المغترين بالدنيا ١٨٢
المطلب الخامس: توجيه وطلب موسى عليه السلام من قومه دخول الأرض المقدسة ... ١٨٦
المطلب السادس: عتاب الله للمتخلفين عن الجهاد في سبيله ١٩٠
المطلب السابع: إجلاء بني النضير من ديارهم وحصونهم وقلاعهم..... ١٩٦
الخاتمة:..... ٢٠٠
أولاً: أهم النتائج: ٢٠٠
ثانيًا: التوصيات:..... ٢٠٠
ثالثًا: المقترحات: ٢٠١
فهرس الآيات: ٢٠٢
فهرس الأحاديث:..... ٢١١
فهرس الآثار: ٢١٣
فهرس الأعلام:..... ٢١٤

فهرس الأماكن والبلدان: ٢١٧

فهرس الكلمات الغريبة: ٢١٨

فهرس الأشعار: ٢١٩

فهرس المصادر والمراجع: ٢٢٠

فهرس المحتويات: ٢٤٥

Research Summary

Praise be to Allah and blessing and peace be upon our prophet Mohammed , his Family
and his companions .
After that:
The Holy Quran is an objectives study and the study aimed at the following :

1) A statement at the meaning at writing in the Noble Quran , It'S importance ,
uses ,and controls
2) To highlight the meaning at the uses at the word Writing in the context at the verses belief the following and innovation legislation , empowerment , loyalty , disavowal , and mercy.
3) Demonstrating the concept of using the word writing and the related legal ruling in the context of verses of worship, transactions , punishments, holy war (Jihad), fighting and others.
4) Revealing the hidden meanings at the significance at the words related to writing ,
and linking them to the ruling , and contemporary reality according to the context
at the verse in which the words at writing are mentioned to achieve the objectives
this study ,it included an introduction three chapters , and a conclusion .
the concept of writing , It'S importance . It's the uses of verses , be life , following innovation , legislation , empowerment , loyalty disavowal , and mercy . And the third
chapter on the uses of the words writing in the verses of the noble Quran according to
jurisprudential contexts , in collecting this thesis , followed the descriptive approach based
on induction , collective verses related to the pronunciation of writing , and categorizing
them according to the topics related to the meaning of the verses and according to order of verses , unless .
there were verses close to the meaning , which I collected in one demand , and then Analysis was through reference to the sources interpretation approved by the scholars,
and most of the Islamic law , as I deduced and this was according to my opinion with focus and care on the principles of research from graduation attribution , and translation

the flags , countries and definition of strange meaning . This thesis and concluded with the
findings and recommendations related to the research and summarized then in that the word "writing" was mentioned in the holy Quran in forty-five places that are not repeated
in one verses , and the word "writing" carried different connotations , so it was sometimes
useful for imposition , and once the command , and sometimes that proof and other times
the clarification , or judgment , knowledge , making and sometimes it may be mentioned and what is meant by the real writing and other different indications .
in light of the search results , I also recommended the following :

1) The objective study of other words mentioned in the holy Quran that have different
Connotations , such as :
The term reading .
2) An objective study of concerned with Quran purpose in legislation , worship and moral values in the light of the different connotations of the words of the holy Quran .
3) Explanation of the different sensory and moral connotations and their impact from
The meaning and machines . mentioned in the Quran , such as :rope , iron , stick and
Stations . I ask Allah Almighty that I have been successful in this study .

And thank Allah the god of everything

Researcher:
Mohammed AL-Sagheer Abdullah Qaa'ed

Writing and Its Uses in Light of the Holy Quran

Objective Study

Republic of Yemen
Ministry of Higher Education and Scientific Research
Alandalus University
Deanship of Graduate Studies
Faculty of Arts and Humanities
Department of Islamic Studies

Writing and Its Uses in Light of the Holy Quran

Objective Study

Complementary research to obtain a master's degree in the Holy Quran and its sciences

Submitted by

Mohammed Al-Saghir Abdullah Qaed Al-Hajj

Supervisor

Professor: Rifat Hussain Aboura

2021/1442